المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد السابع والسبعين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٠ — ٩ جمادى الاول سنة ١٣٤٩

خواطر في التاريخ والعمران

كل جيل يجب ان يعيد كتابة التاريخ لكثرة الحقائق الجديدة التي يكشف عنها البحث والحقائق القديمة التي يعاد النظر فيها لتعليلها تعليلاً يتفق والحقائق الجديدة . ففي القرن الماضي وقف المؤرخون مواقف مختلفة من التاريخ ونظروا اليه نظرات متباينة ولعلَّ اهمَّ هذه المواقف واخطر هذه النظرات محاولة تفسير التاريخ تفسيراً اقتصادياً. ولكنَّ الانقلاب الكبير الذي وقع في كتابة التاريخ انما يعود الى توسيع مداه. فمن مائة سنة كان التاريخ يبدأ سنة ٧٠٠ ق.م. وكل ما حدث قبل ذلك التاريخ ، كان في نظر المؤرخين خرافات واساطير . وما جاء في التوراة ذكر على حدة وتناوله الكتَّاب على انهُ تاريخ مقدَّس تميزاً لهُ من تاريخ البشر العادي

بدأ اتساع نظرنا التاريخي لما فاز العالم الفرنسي شمبوليون بحل الرموز الهيروغليفية. واذا كان كولمبوس قد ضاعف ميدان البحث الجغرافي باكتشافه لاميركا فشمبوليون ضاعف ميدان البحث التاريخي سنة ١٨٢١ لانهُ مكَّن المؤرخين من ترجمة بعض الوثائق التاريخية التي يرجع عهدها الى بضعة آلاف سنة ق.م. وبعد ذلك بجيل واحد فاز رولنصن بحل رموز اللغة المسمارية التي كتبت بها حوادث بلاد العراق القديمة في الواح من الدلغان فنتج عن ذلك ان التاريخ يمتد الآن الى جوف الماضي ضعفي امتداده من قرن واحد

ان اول تاريخ معروف عن ثقة هو تاريخ الكسوف الكلي الذي وقع في الساعة الحادية عشرة من صباح ٨ مارس سنة ٢٢٨٣ ق. م. متقدماً انتصار اور شوة على ايدي العيلاميين فكان ذلك مؤذناً بنهاية الدولة الثالثة في اور . واور هذه يمتدُّ تاريخها الى عهد طوفان نوح الذي لم يغرقها بل ترك في احيائها الواطئة طبقة من الطمي كثافتها ثماني اقدام . اما تاريخ هذا الطوفان فلا يزال في معرض الشك والراجح انهُ وقع بين الالف الرابعة والالف الخامسة ق . م . والمستر ولي (زعيم المنقبين في اطلال اور) واثق كل الثقة من تواريخ الحوادث المتوالية في جنوب العراق ابتداء من ٣٥٠٠ ق . م . مع ان التواريخ التي بينها قد تخطىء قرناً زيادة او نقصاً . والظاهر ان التاريخ المصري احدث من ذلك

اما حيث لا نعثر على وثائق مدوّنة — كالواح الفرانيت في مصر والدلغات في العراق — فجلُّ ما عملهُ الباحثون هو تصوير الحوادث الكبيرة تصويراً لا يبلغ من الدقة مبلغ الصور التاريخية المبنية على الوثائق المدونة . فالادلة المستمدة مثلا من التغيرات الفجائية في اشكال الجماجم في المدافن والادوات المدفونة معها تشير الى غزو بلاد الانكليز غزوتين سابقتين لعهد التاريخ المدوّن . وقبل ذلك تقسم التاريخ الى عصور حجرية مختلفة لكل منها شكل جمجمي خاص به وفن يتميز به عن غيره . ومتى وصلنا الى عصر البرنز نال اصبحت معارفنا التاريخية ضئيلة جداً . فجلُّ ما نعرفه عن هذا العصر ان جماجم الناس الذين عاشوا فيه كانت بارزة الحاجبين مرتدة الذقون . وكانوا يصنعون الادوات الصوانية ورغم بقائهم في اوربا عشرات الالوف من السنين لم يتركوا فيها اثراً فنيًّا واحداً

هذا هو الماضي المتوحش الذي اقيم عليه صرح التاريخ

يتعذر علينا ان نكتب التاريخ من غير وثائق مدونة . اما علماء الاركيولوجيا فقد وصلوا بنا الى مطلع عهد التدوين ، الى منشأ اللغة « الصورية » في مصر والعراق . والمرجح ان كل بحث مقبل لا يُسفر عن توسيع نطاق معرفتنا التاريخية حتى تشمل من الماضي اكثر مما تشمل الآن . واني ارجح اننا لن نعرف اسم رجل او مدينة او امة قبل سنة ٥٠٠٠ ق.م. فالبحث التاريخي في المستقبل سيعنى في الغالب بملء الفراغ المبهم بين الحوادث المعروفة . وعليه تتمكن الآن لاول مرة ، ان تنظر الى التاريخ نظرة جملة

وهذه النظرة تبين لنا ان التاريخ كما يعلَّم في المدارس الآن دقيق في تفاصيله ولكنهُ مضلل في اتجاهه. فالطلاب الانكليز مثلاً يدرسون تاريخ بلادهم على انه ارتقاء مطرد في النظام الاجتماعي لم يعتورهُ نقص الا في زمن انحلال الحضارة الرومانية والتغلب النهائي عليها بواسطة شعوب الانجلس والكسون . كذلك يرتدّون باصول ثقافتنا الى الرومان واليونان الذين انشأوا حضارة تامة ذات ادب راقٍ وفن وقانون . والى اليهود من جهة اخرى

الذين ابتدعوا اكثر المذاهب الدينية والادبية المسيطرة على اوربا الآن

والواقع ان الحقيقة غير ذلك . فالآثار ترتفع عن اور ومدن اخرى في بلاد تدعى « شنعر » في جنوب العراق حوالي السنة ٣٥٠٠ ق.م. فيكشف لنا عن حضارة بالغة اعلى درجة من الرقي. فقد كانوا حينئذ يبنون بناء محكماً معتمدين على القناطر التي لم تصل الى اوربا الا حوالي سنة ٣٠٠٠ ق. م. وكان عندهم ملابس ومركبات ذات عجلات ، وخزف وبرز وكتابة يدونونها على اقراص الدلغان، واختام ونظام اجتماعي تام . ويظهر لكل من يزور المتحف البريطاني ان مستوى ذوقهم الفني كان اعلى من مستوى ذوقنا الآن . فهم كانوا يقتلون الخدم ليحرسوا الامراء الماثلين ولكن هذه العادة الاجتماعية زالت حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م. ومع اننا لا نستطيع ان نسوّغ هذه العادة الهمجية يجب الا يندّ عن بالنا ان في هذا العصر المستنير قتل من الناس في اربع سنوات نتيجة لموت (اغتيال) الدوق فرانز فرديناند جوزف اكثر من كل الذين قدموا ضحايا في التاريخ الشرعي من اوله الى آخره

واذا تفحصنا في درس حضارتهم حوالي القرن الخامس والعشرين ق . م تبين لنا انهم كانوا قد بنوا من الوسائل الصحية مصارف للبيوت تفضل مصارف الاكواخ الانكليزية في هذا العصر . وكان لهم جيش عامل قائم على أساس فدائي اي كل مقاطعة او امير اقطاع كان يقدم عدداً من الجند للجيش العامل . وكان التجنيد اجباريًا في الملمات . وكان عندهم عبيد ولكن هذه الطائفة كان لها بعض الحقوق مناحق الملكية . وكان عندهم قانون مدني وقانون جنائي وقضاء متفرغون للقضاء . فالعراق كان من اربعة آلاف وخمسمائة سنة اعلى كعباً في الحضارة من نصف المعمورة اليوم . ومصر كذلك كانت متمدنة رغم ان حالة الافراد فيها رجالاً ونساء كانت اسوأ منها في العراق. وازدهرت في وادي السند حضارة جلّ ما نعرفه عنها انها كانت متصلة على ما يرجّح بحضارة العراق او انهما مشتقتان من اصل واحد

— ٢ —

انا لا نعلم حتى الآن اين نشأت الحضارة اولاً والاقوال في ذلك متضاربة. ولكننا في هذا العصر وقفنا على مفتاح لحلّ هذا اللغز في ناحية غير منتظرة — اعني علم التناسل النباتي Plant genetics . فالحضارة لا تقوم على الرجال فقط بل تقوم على النباتات والحيوانات كذلك . فهي تحتاج الى نباتات داجنة تزرع فتغلّ غلة كبيرة وتخزن في حبوبها قدر من الطعام . وتحتاج كذلك الى حيوانات لنقل الاحمال وجرّ المركبات والمحاريث . ولا بد كذلك من مصدر نباتي او حيواني تستمدّ منهُ الخيوط للنسيج . فالكتان مثلٌ على الاول ودود الحرير وصوف الغنم على الآخر . واشهر النباتات هي نباتات القطن وفول صوية

والبطاطس . وقيمتها الغذائية تختلف اختلافاً كبيراً لاسباب بيولوجية كيماوية . فالذرة مثلاً ينقصها كثير من فيتامين « F » اذا قيست بالحنطة والشوفان لذلك ترى الشعوب التي تعتمد في غذائها على الذرة تصاب بمرض جلدي يعرف بالبلاغرا . ولعلنا نعثر هنا على تعليل لتخلف حضارات اميركا الوسطى عن بلوغ مستوى الحضارات في العالم القديم . فالمعروف ان شعوب اميركا الوسطى كانت تعتمد على الذرة في غذائها وشعوب العالم القديم على الحنطة والشعير والارز . ومن الاسباب الاخرى لتخلف الحضارات الاميركية قلة الحيوانات الصالحة للتدجين . فالجاموس لا يحل محل البقرة ولا اللاما محل الحصان والخروف

فاذا استطعنا ان نعين اين دُجّنت النباتات الغذائية والماشية اولاً نكون قد قطعنا شوطاً بعيداً في تتبع الحضارة الى منشأها . هذا العمل يضطلع باعبائه الآن الاستاذ فافيلوف وزملاؤه الروسيون . ان كتاب كارل ماركس في « رأس المال » قد حلّ محلّ التوراة في روسيا ومن مبادىء ماركس انهُ اذا عرفنا نظام الانتاج في مجتمع ما عرفنا اهم شيء عنهُ ، ومنهُ نستطيع ان نستنتج عقائدهُ الدينية ومذاهبهُ الفلسفية الى حدٍ بعيد . وعليهِ ترى علماء الروس اليوم لا يكتفون بدرس النباتات والحيوانات التي تُزرع وتدجن في هذا العصر بل يرتدون الى فجر التاريخ لدرس اسلافها ، لانها كانت اساس نظام الانتاج في المجتمعات الاولى

ويظهر ان النتائج ، فيما يتعلق بالحنطة ، جلية كلّ الجلاء

فانواع الحنطة طائفتان مختلفتان يستطاع تهجين نوع من الواحدة بنوع من الاخرى ولكن بصعوبة . ويمكن ارتقاء اركل طائفة الى موطن معين . واحد هذين الموطنين بلاد الحبشة والآخر افغانستان في الجنوب الشرقي منها . فالاول — على ما يظن — كان الموطن الاصلي للزراعة التي مهدت السبيل للحضارة المصرية والآخر الموطن الاصلي لانواع الحنطة الهندية والعراقية وما تفرع عنها من الضروب في اوربا وشمال اميركا في هذا العصر . اضف الى ذلك ان طائفة كبيرة من النباتات المزروعة نشأت في احد هذين الموطنين . فالجويدار rye والجزر والفت وبعض انواع الفاصوليا والعدس والكتان والقطن من اصل افغاني على ما يظهر . ومن الغريب ان البحث الاثري لم يمتدّ بعد الى هذه البلاد ولابدَّ ان يثمر ثماراً دانية القطوف متى بلغها . وبالطريقة نفسها اذا عرفنا موطن الكلب الاول التمسنا هذه المعرفة كثيراً من النور على العصور السابقة للتاريخ . فالكلاب دجنت في العصور الحجرية الحديثة — نيولثك — قبل تدجين الماشية بزمن طويل ولعلنا نجد في هذا ما يعلل لنا انتظام الكلب في المجتمع البشري انتظاماً احكم من انتظام الماشية . ولكننا والحق يقال لا نعرف باحثاً واحداً يقول برأي في موطن الكلب الاصلي يصحّ احترامهُ والنظر فيه

[مترجمة بتصرف قليل عن الانكليزية للاستاذ هلدين وطاهر بية]

مياه القاهرة : ترشيحها ومراقبة نقاوتها

للدكتور باسيلي فرج
اخصائي ابحاث المياه بعامل مصلحة الصحة العمومية

منذ نحو عشرين سنة كانت مدينة القاهرة تشرب من مياه الآبار وظلت كذلك زمناً طويلاً الى ان رؤي العدول عن استعمال مياه الآبار والاستعاضة عنها بمياه النيل المرشحة بالطرق الحديثة . ومنذ عام ١٩٠٠ ومياه القاهرة تؤخذ من نقطة معينة شمالي المدينة في روض الفرج

موقع الاجهزة

وأجهزة الترشيح قائمة على ضفة النيل الشرقية وعلى بعد نحو كيلو متر واحد شمالي كبري امبابه . وقد اختير هذا الموقع في سنة ١٩٠٠ يوم كانت مباني القاهرة غير ممتدة امتدادها اليوم وبني الاختيار على اسباب منها بعد الموقع عن مكان التلوث وقربه من المدينة تسهيلا لمد انابيب المياه الى احيائها بنفقات قليلة

والاجهزة مؤلفة من عدة ابنية يشتمل احدها على آلات الرفع التي تسحب المياه بواسطة انابيب ممتدة الى النيل على قنطرة تجتاز عرض النهر الى منتصفه تقريباً لكي تسحب الماء من وسط المجرى لامن الشاطىء . وقوة هذه الآلات ٧٧٠ حصاناً ومتوسط ما يرفع بها من الماء في اليوم يقدر بنحو مائة الف متر مكعب وهو المقدار الذي يكفي سكان القاهرة مدة اربع وعشرين ساعة . وتوجد في هذا البناء احواض الشب التي تشتمل على محلول مركز من سلفات الشب بنسبة ٤ في المائة ويقطر هذا المحلول تقطيراً منتظماً متتابعاً حتى يمزج بالماء المكر . وعلى مقربة من هذا البناء احواض الترويق . واما الابنية الاخرى ففيها المرشحات والآلة الضاغطة التي تدفع الماء في الانابيب الى المدينة ومسكن المهندس المقيم

احواض الترويق

اما احواض الترويق فعددها تسعة كل واحد منها ٤٠٠٠ متر مكعب تقريباً . وعندما يرفع الماء يمزج بمحلول الشب المركز بنسبة ٢٠ الى ٧٠ جراماً في كل متر مكعب من الماء . في ايام الفيضان مثلاً يبلغ مقدار الشب الذي يضاف نحو ٧٠ جراماً لكل متر مكعب . اما في ايام التحاريق فيندر ان يزيد هذا القدر عن الحد الادنى المقرر لذلك

وبعد ان تصل المياه الى احواض الترويق تمر فيها ببطء حتى يمكن ترسيب المواد الدقيقة المعلقة في المياه الى قاعها . وقد اضيف حديثاً الى احواض الترويق حوض جديد من طراز «دور» وهو يقي المياه من نحو ٨٠ في المائة من المواد المعلقة فيها قبل وصولها الى احواض الترويق . وبذلك يكون الماء على جانب كبير من النقاوة قبل وصوله الى هذه الاحواض ومن ثم تكون عملية ترشيح الماء في المرشحات افضل منها لو لم يمر الماء اولاً بهذا الحوض

قبل الاحواض الاخرى . ويمكن التحقق من ذلك اذا ما اخذنا قليلاً من ماء النهر في ايام الفيضان ووضعناه في انبوبة الاختبار لما استطعنا رؤية سلك من البلاتين يتراوح قطره من ٣ مليمترات الى ٥ لو وضع بداخلها الاّ على بعد ١٥ مليتراً ولكن هذا الماء اذا مرّ في حوض «دور» واحواض الترويق فانهُ يمكن رؤية السلك على بعد ٣٥ سنتمتراً وعند ما يتم ترشيحه بالمرشحات يمكن رؤيته على بعد مائة سنتمتر او اكثر . وتعرف هذه الابعاد بدرجة شفوف الماء

المرشحات

ان المرشحات المستعملة في اجهزة ترشيح المياه بمدينة القاهرة هي من نوع المرشحات الرملية السريعة وهي طرازان احدهما اميركي ويعرف بطراز جول وعددها ٣٢ مرشحاً والثاني انكليزي ويعرف بطراز بترسون وعددها ١٢ مرشحاً

اما الفرق بين النوعين فيرجع الى الطريقة المستعملة في غسل المرشحات وتنظيفها فالمرشحات الاميركية تنظف بواسطة اذرع حديدية تدور في الرمل وتحركه وفي الوقت نفسه يدفع الماء بضغط شديد فيمر بين ذراته فيغسله اما في الطراز الانكليزي فيدفع اولاً هواء مضغوط في طبقات الرمل ثم يدفع الماء بعدئذٍ لاتمام الغسل . والطريقة الاخيرة اشد اتقاناً من الاولى في غسل طبقات الرمل الذي لهُ شأن كبير في تنقية الماء من الوجهة البكتريولوجية

وهناك فرق آخر بين الطرازين وهو ان مرشحات (باترسون) تشتمل على جهاز آلي ينقل الماء بعد غسل المرشح من تلقاء نفسه الى خزان المياه الصافية اي انهُ بعد غسل احد المرشحات يظلُّ الماء الذي يمرُّ فيه منصرفاً الى النهر من فتحة لكي يتمّ الغسل وبعد مضي ربع ساعة تقفل هذه الفتحة من نفسها وتفتح فتحة اخرى توصل الماء المرشح الى الخزان . اما في مرشحات (جول) فلا بد من اجراء هذه العملية باليد وذلك بقفل صمام المرشح المغسول وفتح صمام الماء النظيف . اما الوقت الذي لابدَّ من انقضائه في غسل المرشحات فلا يمكن تحديده لان ذلك راجع الى نتائج التحاليل البكتريولوجية الدقيقة في المعامل . والعادة ان يغسل كل مرشح مرة كل يوم . اما في ايام التحاريق عند ما تكثر المواد الطحلية في الماء فان المرشح يغسل اكثر من مرة كل يوم لان الطحلب يسدّ مسام الرمل . ويخرج كل مرشح نحو ٣٠ لتراً من الماء النقي المتوفّ في الثانية الواحدة او نحو ١٨٠٠ لتراً في الدقيقة او ١٠٨ متراً مكعباً في الساعة . على انهُ يجب ألاّ يزيد متوسط مقدار الماء الذي يرشحهُ كل مرشح على مائة متر مكعب في الساعة

وفي المرشح طبقات مختلفة من الرمل ففي مرشحات جول توجد ثلاث طبقات سُفلاها طبقة من الحصى ثم تعلوها طبقة من الرمل الخشن ثم اخرى من الرمل الناعم . اما في مرشحات باترسون فهناك خمس طبقات . وينصرف الماء المرشح الخارج من المرشحات

الى حوض كبير مقفل قفلاً محكماً لا ينفذ اليه الهواء لكي لا يتلوث وهذا يوزع على سكان القاهرة تحت ضغط شديد تولده آلة ذات ست اسطوانات قوتها نحو ٣٠٠ حصان

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ان قدماء المصريين كانوا يكسرون حصى نوى المشمش ويضعونها في قطعة من القماش الرقيق ويحركون بها الماء المكدر قليلاً فلا تنقضي بضع ساعات على الطمي الدقيق المعلق في الماء حتى يرسب الى قاع الاناء فيحصلون بذلك على ماء صاف ويستعمل الفلاحون الى يومنا هذا الطريقة ولذلك درج المثل السامي المشهور « مروّق بلوزة »

وهناك طائفة كبيرة من الناس تستعمل الزير والقلة ولكنها وسيلة غير مأمونة العاقبة فقد ثبت بتجربة اثبتت صحة هذا الرأي وذلك بأن لوّثت مقداراً من الماء باشلس (Prodigiosus) تلوثاً صناعيًّا ثم وضعتها في زير فوجدت ان هذا الباشلس قد مرّ مع الماء. وقد اجريت هذه التجربة في معامل مصلحة الصحة العمومية فاتضح ان القلل والازيار المصنوعة من الفخار تسمح للجراثيم المعلقة في الماء بالمرور من مسامها

استعمال الشب

اما موضوع استعمال الشب لترويق المياه من المواد المعلقة فيها فموضوع خاض فيه الباحثون في المعامل في مختلف انحاء العالم . وقد استعملت لذلك مواد كيماوية متعددة الانواع اشهرها املاح الحديد ككلوريد الحديديك وكبريتات الحديدوس والجير . على اننا اذا راعينا الوجهة الاقتصادية كنا اميل الى تفضيل الشب على غيره لرخص ثمنه مع ان المياه التي تروّق به لا تكون صافية كالمياه التي تروّق بأملاح الحديد مثلاً . على ان فعل المرشحات بعد احواض الترويق كفيل بتصفيتها تصفية نهائية

وقد ذكرنا قبلاً ان محلول الشب يقطّر تقطيراً منتظماً بآلة تؤدي ذلك من تلقاء نفسها بلا مراقبة . وهذه الآلة تدار بطريقة يمكننا من تعيين ما يقطر من محلول الشب في قدر معين من الماء وبذلك توفر نفقات المراقبة علاوة على ما في هذه الطريقة من الدقة . فاذا بدا لنا من طريقة تحليل الماء ان درجة التكدر تدعو الى استعمال كذا جرام من محلول الشب لترويق كل متر مكعب منه ترويقاً كافياً ضبطت الآلة حتى تقطر ذلك القدر. ثم اذا زاد مقدار الماء المسحوب من النهر الى احواض الترويق زاد بذلك مقدار محلول الشب الذي يقطر في الماء واذا نقص نقص مقدار المحلول من تلقاء نفسه ايضاً

وتضبط هذه الاحواض في فتحة دخول الماء اليها وفتحة خروجه منها حتى يمكث كل مقدار من الماء في داخلها مدة سبع ساعات فيتسنى ترويقه . وتقاس درجة الصفاء عند خروج المياه من هذه الاحواض ويجب ان لا تنقص عن حدّ معين . وكيفية قياسها هي ان يؤخذ قليل من الماء في انبوب في قعره قطعة من سلك من البلاتين يتراوح قطرها

من ٣ الى ٥ سنتمترات . ثم ينظر الى هذه الانبوبة من أعلى . والمدى الذي يمكن فيه رؤية السلك في قعر الانبوبة يجب ان لا يقل عن ٣٥ سنتمتراً . ومما يجدر ذكره ان درجة صفاء مياه النيل في ايام الفيضان تنقص حتى تبلغ ١٥ سنتمتراً

غاز الكلور

ثبت من التجارب العملية في مختلف انحاء العالم ان ترشيح المياه بالمرشحات الرملية وخصوصاً السريعة منها لا يكفي لتنقية المياه التقية التي تتطلبها الصحة العامة في العصر الحالي فكبّ الباحثون على التفتيش عن وسيلة لتعقيم المياه تعقيماً يبلغها من التقاوة البكتيريولوجية المرتبة المطلوبة وهذه الدرجة من التقاوة هي ألاّ يوجد في مائة سنتمتر مكعب من الماء ميكروب واحد من نوع باشلس انتولون . ولذلك استعملت وسائل مختلفة اشهرها اثنتان وهما غاز الكلور او غاز الاوزون . واستعمال الاول اكثر شيوعاً في بلدان العالم وتناتجهُ من وجهة صلاحيته لتنقية الماء مرضية عدا انه رخيص الثمن . اما استعمال الاوزون فيكاد يكون قاصراً على فرنسا وروسيا حيث نفقة التيار الكهربائي اللازم له قليلة . فلهذا السبب ولاسباب أخرى لا محل لتبسطها هنا اختير غاز الكلور للاستعمال بأجهزة روض الفرج لتعقيم المياه . والجهاز المستعمل هو جهاز بازرسون الذي يجمع بين بساطة الاسلوب ودقته جمعاً ليس بعده من مزيد

ويستحضر غاز الكلور من اوربا مضغوطاً في اسطوانات كالاسطوانات المستعملة لجلب ثاني [illegible] ولا كبريت ويضاف في [illegible] الماء المعقم مضروب . ويجدر بي ان اذكر انهُ قد انقضت سنة على معالجة مياه القاهرة بغاز الكلور ولم يشك احد من طعم الكلور او رائحته

المراقبة

تشرف مصلحة الصحة العمومية على تلقح ترشيح المياه في القاهرة وفي كل انحاء القطر . وقد انشىء فيها قسم خاص لهذا الغرض . فنوع الشب المستعمل لترسيب المواد المعلقة يفحص في المعامل ويجب ان يحتوي على كل الخواص التي تعينها المصلحة . وطبقات الحصى والرمل الخشن والرمل الناعم تفحص كذلك باسرارها في مناخل ذات ثقوب من قدر معيّن . ويحلل مقدار من مياه كل مرشح مرة كل اسبوع يؤخذ قبل الترشيح وبعده . وايضاً بعد معالجتها بأضافة ٠٫٣٥ جزء من المليون من الكلور لمعرفة درجة تقاوتها من الميكروبات وللتحقق من خلوها من رائحة الكلور وطعمه وكذلك يراقب قسم المياه تقاوة الماء المتصرف للاستهلاك وذلك بتحليل مثال منهُ يومياً يؤخذ من احدى الحنفيات ولا يسمح لشركة المياه باطلاق الماء في اية انبوبة جديدة الاّ بعد غسلها وتطهيرها بالكلور وتحليل الماء الذي جرى فيها واثبات خلوه من الجراثيم

تطوّر اللغة العربية

لمؤلفه

نص المحاضرة البليغة التي ألقيت في ردهة المحاضرات بجامعة القاهرة الاميركية في اوائل الصيف

أيها السادة والسيدات

لكل من الموضوعات جوٌّ أدبيٌّ يخيّمُ على الحاضرين ويحولُ لوقتٍ بينهم وبين الخارج. اما موضوعنا الليلة فعلى نقيض ذلك. إذ يخيلُ اليَّ انَّ جدران هذه القاعة الفسيحة تتوارى بغتةً لترتدَّ الى ما وراء القاهرة وتخوم القطر المصري، الى ما وراء البحار والقفار وسلاسل الجبال النائية لتشمل كل بلد يتكلم أهله اللغة العربية، بل ليشمل كل قبيلةٍ يتكلم اهلها ولو لهجة مجهولة مشوهة من اللغة العربية

ويخيلُ اليَّ ان الزمان يتسع باتساع المكان فيرجع بنا الى يوم بعيدٍ فيه كانت العربية نشيداً وجدانيًّا على لسان سائقي الاظعان ورواد الصحراء وكانت انجدية فلكية على لسان رعاة يرصدون دورة الفلك ويرقبون غروبَ قمرٍ وشروقَ كوكبٍ ليستأنفوا السير الى حيث ضرب الاحباب خيامهم وأشعلوا نارَ القرى

ويخطو بنا الزمنُ في تسجلٍ متجاوزاً مختلف العهود حتى يقف لحظة عند عهد الجاهلية الاقرب ايام كانت تنظم المعلقات لتنشد في سوق عكاظ، ومن حولها بلادُ العرب تعيش بالحركات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في جميع الانحاء. ومن ثمَّ فنحنُ في اوائل القرن السادس الميلاد. وبينا الرومان واليونان سادة الحضارة والثقافة في هاتيك الازمان، يجاهدون للاحتفاظ بالبقية الباقية من مدنيتهم المتأثرة — اذا بقوم مجهولين من قبل ينهضون في شبه الجزيرة تهتة الاسود فيقتحمون البلدان، ويفتحون الممالك والامصار، ويفاجئون العالم بصورة جديدة من الحيوية الانسانية، ويقيمون دولة عربية، وينشرون في العالمين رسالة جديدة باللغة العربية

وتوالى القرون واولئك القوم يوسّعون ملكهم ويوطدون مجدهم مستمدين الوحي والفائدة من كل ما يوحي ويفيدُ معالجين فنون الصناعة والتجارة والثقافة، ناقلين كتب

العلم والادب والطب والفلسفة من السريانية واليونانية والهندية ، مستخرجين من شتى المناهج الباقية السالفة طرازاً هندسيًّا ذا طابع خاص انيق ، مؤسسين الجامعات يقصد اليها المسلمون وغير المسلمين من الشرقيين والغربيين ليتلقوا العلم والحكمة بلغة ليست هي اليونانية ولا اللاتينية ولكنها لغة ذلك الكتاب الذي ناف في ستين عاماً انتشاراً لم يناله كتاب من قبل : لغة القرآن ، اللغة العربية

إن الصور المارة امامنا الآن في مثل لمح البصر هي صور الخيال والذكرى . على ان الرأي المتلخص فيها حقيقة تاريخية اجمع عليها المنصفون من مؤرخي الفرنجة . وها كم ما يقوله رينان في كتابه « التاريخ العام للغات السامية » عن انتشار اللغة العربية :

« لقد استفاض انتشار اللغة العربية فاستولت على اوسع المساقات وأبعد البلدان . اجل، لقد كان لليونانية واللاتينية مثل حظها في ان تصبحا لغتين عالميتين (universelles) تذيعان عقيدة دينية وتنشران انظمة سياسية تغلبت على تباين الشعوب والاجناس والمشارب في توحيد الكلمة وتعريف الغاية . فشاعت اللاتينية من كبانيا (ايطاليا الجنوبية) الى الجزر البريطانية ومن نهر الرين الى جبال أطلس . وشاعت اليونانية من صقلية الى شواطىء دجلة والفرات ومن البحر الاسود الى بلاد الحبشة . ولكن ما اضأل هذا الانتشار اذا ما قوبل بانتشار اللغة العربية التي تناولت اسبانيا وانتاوة الافريقية حتى خط الاستواء ، وسيطرت على آسيا الجنوبية حتى جاوه، واقتحمت من الروسيا ما افتحمت شاملة كاسوفيا »

ذلك كان انتشار اللغة العربية ابّان ازدهارها أيام كانت دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة عواصم العلم والحضارة في العالم. على ان التاريخ يصلُ بنا حتماً إلى يوم اكتسحت جيوشُ هولاكو قاعدة العباسيين فتضعضعت الرابطة العربية ولحقها الانحلال السياسي فتفرَّق شملها ودخلت الشعوب العربية في دور سبات عميق . ولما كان حظُّ اللغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحظّ الشعب مرتفعاً بارتفاعه ،هاوياً بهبوطه، فقد جمدت اللغة العربية بجمود الشعوب المتكلمة بها ووقفت حيث كانت

***

ثلاثة قرون او تزيد مرَّت في ذلك الهجوع المديد . ثلاثة قرون تنبَّهت في خلالها شعوبُ الغرب بعد استكانتهم في القرون الوسطى، وانقلب التنبه يقظةً حارة دائبة السعي، مرهفة العزم ، عديدة الفروع ، شاملة الانتشار في مختلف البلدان ، واكتشفت القارة الاميركية ، وتيقَّظت في العالم مصالح جديدة وأطماع جديدة ، فتخذوا من العلم والتجارة

والصناعة والادب والفن والتاريخ والسفر وركوب الاخطار وسائل لتحقيقها. سخّروا قوى الطبيعة لخدمتهم، وطوّقوا الكرة الارضية بسلك الحديد، وانفاس البخار، وموجات الكهربائية والنور والاثير، وكشفوا عن مكنون الاسرار في الكيمياء والطب والجراحة والهندسة والعلوم الرياضية والطبيعية والنفسية. وابتكروا المدهش الساحر من الادوات الميكانيكية والآلات ووسائل النقل واساليب المعيشة. وكان التجديدُ في اللغة يسايرالابتكار العلمي والميكانيكي والفنّي والاجتماعي والادبيّ خطوةً خطوة. فلكلّ حركةٍ لفظةٌ، ولكلّ آلةٍ او جزء من آلةٍ اسمٌ، ولكلّ سرٍّ معنىً يجلوه، ولكل فكرةٍ وعاطفةٍ وتأثير مفرداتٌ وكلمات وتعبيرات تقوم بشرحه وتبيانه

واستيقظت الشعوب المتكلمة بالعربية — ولم تكن يقظتها وهمية خيالية، بل كانت والحمد لله حقيقة محسوسة — فادركت تلك الشعوب ان بينا قافلتها كانت موغلةً في الرقاد كانت قوافلُ الشعوب الاخرى توغل في المسير. ولم يطلّ حتى اقتبس المتكلمون بالعربية ثقافة الامم الحية، واصطنعوا ادواتها وعلومها واساليبها الحيوية، وتشبّعت نفوسهم بجديد المعاني والنزعات والمطامح بعد ما اسبغتهُ الحضارة عليهم من الوحي العلمي والاجتماعي الجديد. وعند ما ارادوا ان يعبّروا عن حاجاتهم الجديدة وان يسموا المستحدثات والادوات والحركات باسمائها لم يجدوا بين يديهم ما ينطبق عليها ويصلح ان يكون مترجما وموفيا حقّها من الاداء والتسمية والتعبير

وامام هذه المشكلة العسيرة ترى الكاتبين في مختلف فروع اللغة والعلم والادب والاقتصاد والاجتماع «بين نارين»، كما يقولون: بين المحافظين الذين لا تقبل بعض طوائفهم ولا لفظة واحدة جديدة، وبين المجددين الذين تأبى بعض طوائفهم إلاّ ان تؤدي المعنى سواء اكان موافقاً لروح اللغة ام كان مستهيناً بقواعدها عابثاً بكرامتها

ومن ذا الذي لا يوافق المعتدلين من المحافظين على مفاخرتهم بهذه اللغة العربية التي تقبلُ علينا من اقاصي التاريخ وقد اندثرت جميع اخواتها السامية من آرامية وكنعانية وكلدانية وسريانية وآشورية وعبرانية قديمة وغيرها، في حين هي، على رغم ما مرّ بها من عصور الركود والجمود، ما تنثت تفيض قوة وحياة؟

من ذا الذي لا يعرف للكتاب الكريم فضله في بقاء هذه اللغة حيةً ومن ذا الذي يجهل ان اللغة العربية باقية ما بقيَ الاسلام حيًّا؟

منذا الذي لا يعترف بما ادّتهُ هذه اللغة من الخدم إلى العالم وبأنها كانت في حين ما الصلة الوحيدة بين حضارات الماضي وحضارة اليوم؟

هذا الذي لا يوافق المحافظين على قولهم ان ليس في مقدور امة ان تخلق نفسها في جيل واحد وان حكم البقاء يضطرها الى ان ترتبط بين ماضيها وحاضرها بعرى غير منفصمة وان من اهم تلك العرى الاحتفاظ بروح اللغة والحرص على نقاء الفاظها ونبل صيغها ؟

وهذا الذي لا يؤيد كذلك المجددين في قولهم : « وهل انا جان على كرامة اللغة ، عابث بروحها ، منكر فضلها ، جاحد تاريخها عند ما أبحث عن اسماء للمسميات التي اطالعها واسطتها كلَّ يوم وكلَّ ساعة في حياتي الفردية والاجتماعية والقومية ؟ اني اركب القاطرة والباخرة والسيارة والطيارة والبسيكلت (الدرَّاجة) ، واستخدم التلغراف السلكي واللاسلكي والتلفون والمكروفون والراديو ، واستفيد من كلّ ما ابتكر العلم والفنّ والصناعة والتجارة فاشعر بحركات جديدة تهزّ نفسي واريد ان اجد اسماء لقطع الاثاث الموضوعة في بيتي ولاجزاء الملابس التي ارتديها ولادوات الزينة والعمل والكتابة والدرس المنثورة على طاولتي وكلها من مبتكرات الاعوام المتأخّرة — فلا اجد لها سوى الاسم الذي تعرف به في اللغات الافرنجية . فما هو ذنبي إن أنا سميتُ الاشياء والحوائج بأسمائها حتى ولو غضب لذلك الخليل وسيبويه ؟ وهل أنا اكون جانياً على روح اللغة عابثاً بكرامتها إذا أدخلتُ عليها تعبيرات جديدة؟ ولماذا ترى أجد انا بيننا العالم حولي يتحرك ويسير ويجري؟»

***

وهناك جماعة لا ترى حلاً لهذا المشكل وخروجاً من هذا المأزق الا في تأليف مجمع لغوي يظهر أنها تنتظر منهُ المعجزات : فهو الذي سيقوم بوضع كتاب مختصر وافٍ لقواعد اللغة يمكّن كل طالب من الالمام بها في اقصر وقت ممكن ليتسنى له ان يكتب في التعبير عن مقاصده وتصريف اموره بلغة صحيحة لا لحن فيها ولا عوج

وهو الذي سينقي اللغة ويطهرها من الشوائب التي شابتها على ألسنة الحاكين، ويذود عن حرمتها من عجمات المجددين فيردُّ الخطأ من الفاظها صواباً والاعجمي عربيًّا . وهو الذي سيبحث في كتب العرب القديمة فيستخرج من بحرها الزاخر الالفاظ الرشيقة والمفردات البليغة التي تقوم بتأدية المعنى المطلوب وتغنينا عن الالفاظ الغريبة . وان لم يجد الجمع بغيته في كتب العرب فسيبتكر اسماء ومفردات وتعبيرات عن طريق النحت والاشتقاق والتعريب ويحكم بالفناء على الفاظ قديمة وكلمات حوشية عفا عليها الزمن أو نبا عنها الذوق

وهو الذي سيرجع الى طوائف العمال واصحاب المهن ورجال الصناعات وباعة الاقمشة والاثاث والمأكول وأدوات الزينة والاستصباح وسائر شؤون الحياة ومرافق المعيشة فيتعرف مصطلحات كل جماعة وطائفة ومهنة ويأخذ عنهم الكلمات والمفردات التي ألفوها وتواطأوا

على استعمالها . فيتناولها ويهذب منها ما هو خليق بالعقل والتهذيب فيضمها الى كل ما سبق فابتكره واقتطعه واقتبسه وعربه من المفردات ويسجلون جميعاً في قاموس جديد جامع يتحتم تأليفه

ويقوم المجمع بعدئذ بانشاء موسوعة (دائرة معارف) عربية كبرى تحوي كل ما حوته موسوعات الامم الغربية من علوم وفنون وسياسات وتواريخ وصناعات وميكانيكات وما الى ذلك مما لا يتم تحت حصر مما يضاف اليه من جديد كل يوم في شتى الفروع والمعارف

ان هذا الرأي رشيد وجميع ماينطوي عليه من المطالب منطقي معقول . ولكن اين هو هذا المجمع الذي يقتضي الجهود العظيمة والاعوان العديدين والاموال الوفيرة والاعوام التي لا تحصى ؟ وماذا يصنع الكاتبون بالعربية . ماذا يصنع المصريون — والعربية لغة دولتهم الرسمية — ريثما يتألف هذا المجمع الموقر ويقوم بجهوده الجبارة ؟

* * *

في انتظار هذا المجمع ، ايها السادة والسيدات ، يتابع التطور سيره والحياة التي هي اقوى قوة تنبض فينا جميعاً وتدفعنا الى الافصاح عما يجول في نفوسنا . في انتظار هذا المجمع يتخرج الشبان والشابات من المدارس ويكتب الحطباء والمؤرخون والادباء، وينظم الشعراء ويخطب الخطباء ، ويؤلف محمد فريد وجدي دائرة معارف القرن العشرين ، ويضع محمد حدي قاموسه الصغير للمصطلحات العلمية ، وينشىء الدكتور محمد شرف معجمه الكبير الذي اقرته الجمعية الطبية ، على ما قرأت في بعض الصحف — معجماً رسمياً لها

في انتظار هذا المجمع تنشط حركة التجارة والصناعة ويضع المؤلفون كتباً في العلوم المالية والاقتصادية ويجعل بنك مصر والشركات المتفرعة منه اللغة العربية لغة معاملاته الرسمية . في انتظار هذا المجمع تجتاح انحاء البلاد بعوامل النهضة الوطنية ويخلق الزعماء ورجال السياسة الفاظاً وتعبيرات تسري بين الجماهير سريان الدم في الجسد ، وتقوم الصحافة بخدم جليلة في الابتكار والاشتقاق والاقتباس والتعريب فتحذف شيئاً فشيئاً المهملات والكنايات والاستعارات والجناس والبديع لتأخذ بالكلمة المحكمة المطلوبة في تأدية المعنى

وفي نجاح هذه النهضة اللغوية المتنوعة العامة دليل على حيوية اللغة العربية . فهي شأن كل كائن حي من الناحية الواحدة تنمو وتتجدد بما تضم اليها من المعاني والمفردات ومن الناحية الاخرى تتخلص من الزوائد الاضافية باندثار الالفاظ الحوشية والكلمات التي لا حاجة بنا اليها في حياتنا الراهنة

فحال لغتنا الآن حال موقفنا السياسي والقومي والعلمي والاجتماعي . دلائل التقدم

بادية فيها تبشر باستطراد السير الى الامام في سبيل استيفاء ما يعوزها من الالفاظ والمعاني والاسماء المستجدة ونحن منها محافظون مجددون في آن واحد

***

بيد ان هناك صعوبة نصطدم بها وهي التضاعف بين لغة الكتابة ولغة الكلام ، أي بين اللغة الفصحى واللغة العامية . لكن هذه الصعوبة — وان كانت في العربية اظهر — موجودة عند جميع الشعوب. ففي قومية واحدة ذات لغة رسمية جامعة ترى لكل اقليم لهجته العامية المختلفة عن لهجات سائر الاقاليم. ويخلد هذه اللهجات الكتاب والشعراء «الاقليميون» الاوفياء «لوطنهم الصغير» دون ان يكون في مجهودهم ما يهدد كيان الوطن الاكبر ويحارب انتشار اللغة القومية

من مشاهير الكتاب الاقليميين في فرنسا « ميسترال » واضع رواية « ميراي — Mireille » التي عرضت في احدى دور السنما في القاهرة منذ عامين تقريباً . وقد نشأت شهرة ميسترال مما الفه بلهجة اقليمه « البروفنسالية » . وفي هذا العام الثلاثين من القرن العشرين تحتفي الشعوب اللاتينية بمرور مائة عام على مولد هذا الشاعر الكبير

ويعرف الذين قرأوا كتابات سر ولترسكوت تلك الجمل والكلمات المغلفة التي تتخلل رواياته لانها لم تكتب بالانجليزية بل بلهجته الاسكتلندية . . ومثله الشاعر برنز (Burns) الذي كتب بعض قصائده باللهجة الاسكتلندية ، وتوماس مور (Moore) الذي كتب بعض قصائده باللهجة الايرلندية ، ولم يهمل لاهذا ولاذاك اللغة الانجليزية القومية ، ونجد مثل هؤلاء عند جميع الشعوب

وان جاز لي ان افكر الى هذا الامر قلت ان ادباء مصر لم يقوموا بواجب الوفاء نحو لهجاتهم الاقليمية على ما فيها من طلاوة وبساطة و « نقاشة » . فان لكل اقليم يابانه الخاص المعبر عن روحه واعتقاداته واوهامه وآلامه ومطامحه في قصة او أسطورة او حكاية او اغنية . والادب الشعبي الاقليمي مؤرخون بعيد النور يحدث عن خلق الشعب وعاداته. فمن الخطأ ألا تسجل جميع هذه المستندات في كتب الادب قبل ان تهزم أو تتحور بفعل تقدم الحضارة . اننا نعنى بالحجارة القديمة وبقايا الآثار والاخربة الداثرة ، وحبذا نصنع. فما أحرانا بتدوين هذه الانسانية الزاخرة بمعاني الافراح والاتراح والبهجة والالم واليأس والحماسة على تقادم الدهور !

ولقد شعر بعضهم بصعوبة التضاعف بين اللغة العامية واللغة الفصحى فقام يدعو الى « تعصير » اللغة العربية

ايها السادة والسيدات

إننا برغم ما يصدمنا من صعوبة التجديد وصعوبة التضاعف لشعر في إخلاص بأننا نستطيع ان نمايل اللغتين في آن واحد . انَّ جميع الشعوب طامعة في نشر لغاتها أفتسعى نحن الى الامر المكوس ؟ إنَّ حظَّ اللغة العربية فريد بين حظوظ اللغات ، ولئن امتازت الانجليزية بأن لها آداباً اربعة هي الانجليزية المحضة والاسكتلندية والايرلندية والامريكية الجديدة فلكم ان تقدروا مبلغ امتياز اللغة العربية بآداب الاقطار التي تتكلمها فيها لو تكوَّنت تلك الآداب وأصبحت ذات طابع خاص في كلِّ قطر

وعلى كلٍّ ، فاللغة الفصحى يجب ان تبقى دائماً الحصن المنيع الذي نحتمي فيه جميعاً ، والرابطة النفيسة الغالية التي تجمع بين أهل الاقطار المتباعدة ، والصيغة الجميلة الحية التي تودعها مكنونات العقول والقلوب جيلاً بعد جيل حتى انتهاء الدهور

ليست اللغة اداة تعبير وكفى كما يزعمون . بل هي فكر وعاطفة وعلم وشوق ومطمح وفن وألم وأمل . هي صورة لكل شخصية كما هي صورة لكلِّ زمن . هي ملك الجميع وهي ملك كلِّ فردٍ ورثها فورث معها الحقَّ في استعمالها للتعبير عن حياته الخاصة . واذ يتصرف الفرد بحقه هذا يكون في نفس الوقت قائماً بواجبه نحو ماضي اللغة ومهيئاً لها مستقبلاً لا يكون محض صدى وتقليد وترجيع بل يكون صوت حياة وابداع وتوقع

لقد اعطينا الفرنجة من لغتنا فاخذوا الشيء الكثير ولم يخجلوا مما اخذوا . بل سجلوه في كتبهم ومعاجمهم وعلومهم ولم يستبدلوه بغيره رغم تقدُّم حضارتهم . فعلامَ نحن نتكبَّر ونأبى ونحن مثلهم جزء من الانسانية الذكية المتعاونة في السلم والحرب ، في الحب والشحناء ، على تأييد وجودها وعلى إثبات تفهُّمها ان التعاون في التبادل والتفاعل هو اصلُ لسنَّة التطوُّر ووسيلة لاستطراد الحياة ؟

اللغة يد الجميع من علماء وأدباء وعمال وموظفين وصحافيين . اللغة يد وزارة المعارف التي تستطيع ان تقدم للطلبة مُثُلاً جميلة بليغة في التفكير والبيان . اللغة يد المرأة التي تدور معها أعذب أحاديث العمر : أحاديث الانس والسمر والحنان . اللغة يد الشبان الذين تتدافع في نفوسهم عوامل الامل والقوة والحماسة . فليُفصحوا عما في نفوسهم بلغة صادقة مهذبة أمينة يكونوا فاتحين فتحاً جديداً ومهيئين للاجيال المقبلة ثروة جديدة

أما اولئك الذين لا يعيرون اللغة العربية اهتماماً فالتي عليهم الابيات التالية لخليل مطران . وأتعمَّد اختيار شعر من شاعر مسيحيٍّ لأثبت ان المسلمين وغير المسلمين في حبِّ اللغة العربية سواء . واليك الابيات :

ما مصير القوم ...

من قصيدة خليل مطران

سمعتُ بأذني قلبي صوتَ عتبٍ له رقراقُ دمعٍ مستهلّ
سمعتُ « الضاد » قائلةً : أأنّي وهذا موطني والاهلُ اهلي ؟
ألستُ أنا التي بدمي وروحي غذَتْ منكم وأعت كلّ طفل ؟
بنيّاتِ الحمى ، بيّنَّ أني عزيزةُ امتي لم ينسَ فضلي
ويا فتيانهُ ! هبُّوا لنصري أأرضى منكمُ جهدَ المقلّ ؟
اذا ما القومُ باللغة استخفُّوا فضاعت ، ما مصيرُ القومِ قُلْ لي ؟
وما دعوى حمى حرٍّ منيعٍ بلا لغةٍ وملكٍ مستقلّ ؟

***

فيا أمّ اللغاتِ ، عداكِ منا عقوقُ مساءةٍ وعقوقُ جهلِ
محلُّكِ من هوى أهليكِ طرًّا ومن إجلالهم أعلى محلّ !

الدكتور منصور فهمي وعقيلته يتنزهان في حدائق القناطر الخيرية

الشرق والحضارة الغربية

في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة ببيروت

سادتي : موضوع حديثنا هو موقف الشرق حيال المدنية الغربية الحاضرة ولقد كان هذا الموضوع في صورة من صوره حديث غيرنا بالامس وقد يكون هذا الموضوع حديثاً لنا وحديثاً لغيرنا في الغد وليس في تكراره من اشخاص مختلفين وفي اوقات مختلفة وعلى صور مختلفة ما من شأنه ان يسقط قيمته لان تكرار معالجته تمنيا وتفيدنا لاتصال حياة كل فرد منا بما يترتب على موقف كل من الشرق والغرب حيال بعضهما البعض ، ولان الموضوع ممتد الاطراف متشعب المسائل ، ولان من كل محاولة يقصد بها الى استجلاء غوامضه والوصول الى لبه قد يظفر الذهن بالآراء المنوعة واذا لم يظفر الذهن فقد يظفر القلب بآثار التذكر والاهتمام بشؤوننا العمرانية

سادتي : في كل يوم نسمع اقوالاً عن الشرق والغرب وعما ينعت بالقديم وبالجديد . وفي كل يوم يدور الكلام حول من يسمون بالمحافظين او المجددين . وفي كل يوم يتوثب انصار الحضارة الغربية الى الحض عليها او يجهر خصومها بانتقاص قيمتها

ومهما يكن من تعدد الالفاظ التي تخلع على المقاصد من عبارات الشرق والغرب والقديم والجديد والتأخر والتقدم فنحن الذين نعيش في العصر الحاضر قد اتيح لنا ان نشهد في الوقت نفسه نوعاً من النظم الاجتماعية والمناهج الفكرية والبواعث الخلقية واسلوباً من تقديرات الامور وتصور قيمتها يخضع لآثار مختلف البقاع ويتسلط على النفوس ، وان مجموعة هذه الآثار المتسلطة على البدان والقلوب تسمى مواضعة بالحضارة

ولسائل ان يسأل : كيف تنشأ هذه الحضارة التي يدين لها الناس ؟ والى اي مدى يتيسر لها ان تتسلط على النفوس ؟ واي مسلك يتخذ لاصطناعها ولكسبها اذا كان الخير في اصطناعها وكسبها ؟ واي مسلك يتخذ لمقاومتها اذا كان الخير في المقاومة ؟ وهل ينتظر العالم في المستقبل حضارة غير هذه الحضارة ؟ وعلى اي صورة يرجح العقل ان تكون حضارة المستقبل ؟

تلك اسئلة تنشأ في نفوسنا من تجاربنا ومعاملاتنا في الحياة ويتولد من مجموعها موضوع اليوم : موقف الشرق حيال الغرب

يخيل اليَّ ان فهم عبارة الحضارة بتحديد مدلولها وان تصور الحضارات في نشؤها ما يساعد على توضيح ما قد يبهم حين نفكر في الموضوع الذي نشرع في معالجته

الحضارة في اظهر صورها تبدو فيما نسميه عادة بالتقدم ومظهر التقدم القبول والانخاذ والهضم والتمثيل لكل ما تقرُّ الطبيعة البشرية النزاعة للكمال انهُ ينسجم مع حاجاتها من تعدي المفضول الى الافضل . وبالتقدم الحقيقي تسكن النفس الى الاصلح وتطمئن اليه بكل ما فيها من قوى العقل والعاطفة والارادة

واذا ضربنا الامثال المؤيدة لصدق ما ذكرنا وجدنا ان الحضارة اليونانية لم تكن الاَّ اسلوباً من اساليب التقدم نشأ في الزمن القار من احتكاك الاغريق بغيرهم من الشعوب . فقد اتصلوا بمدائن آسيا واتصل روادهم وفلاسفتهم بمصر وتم لهم من هذه الاتصالات انخاذ امور واستخلاص قواعد للسير ومحاكاة نظم رأوا انها انسب لحياتهم وكان من قبولهم وهضمهم لما يناسب حاجتهم سواء اكان من ابتكارهم وابتكار غيرهم ما تكونت منهُ حضارتهم

ولم تكن حضارة الروم كذلك الاَّ اسلوباً من اساليب التقدم تهيأ للروم عند احتكاكهم بالاغريق وبغيرهم من الشعوب ثم قبلوا وهضموا ما رأوا الخير في قبوله وهضمه

ولم تكن الحضارة العربية كذلك الاَّ اسلوباً من اساليب التقدم تهيأ للعرب من اتصالهم بشعوب مختلفة وخص لهم من هذا الاتصال اسلوب واضح مميز من الحضارة

ولم تكن حضارة الغرب الراهنة الاَّ اسلوباً كذلك من التقدم تهيأ من الحضارات التي سلفت . واستلهم الغرب في كثير من نواحي تقدمه مجهودات شعوب شتى ومخلفات ازمنة متعاقبة. وقصارى القول ان الحضارة الحالية هي نتيجة تجارب الانسانية جمعاء ولكل في اقامة صرحها عملٌ وانها لم تصل الى حالتها على ما هي الآن عليه في الغرب الاَّ بعد ان وقفت الانسانية بالذات او بالواسطة ضربتها في تشييد الصرح

ويترتب على ما تقدم ان الامم التي تحتذي منوال غيرها في التقدم والوصول اليه عن سبيل المحاكاة والاصطناع ليس ينبغي ان تصغر من قدر نفسها باعتبار انها انتقرت الى غيرها . وليس على الامم التي تمثل الحضارة والتقدم ان تشمخر وتتجبر باعتبار انها بذلت الى غيرها . فليصب الشرق اذن ما يلائمهُ من حضارة الغرب الصالحة وليقدم عليها اقدام من لا يخشى داراً لهُ فيها ملك ونسب . له فيها حقه من عمله التاريخي . ولهُ فيها نسبة الى الانسانية التي لا تعرف الاَّ ان افرادها سواء في حقوق الانسان ، نظراء في النزوع الى ما يناسب من الافضل ، اشباه في التشوق الى الاكمل حين يمهد السبيل . لكن ما مدى هذه المحاكاة ؟؟

ايها السادة : لكل شخصية بشرية نزعتان . اما احداهما فتظهر مواضع المشاركة بين شخصيات الناس جميعاً من اي بلد كانوا وفي اي زمان عاشوا ومن اي جنس او سلالة ينزلون

ومن عمل هذه النزعة ان تجمع بين البشر في صفات عقلية كتشابه العقول جميعاً في قواعد منطقية مشتركة : كالكل اكبر من الجزء وكتشابه العواطف جميعاً في الميل الى من يحسن الينا والنفور ممن يسيء وكتشابه الارادات جميعاً في التحفز لدفع الاذى ورفع المكروه

اما النزعة الثانية فتعني الفرد بالاحتفاظ بصفات . فمن عملها تمييز الفروق بين مختلف الناس وتوكيد مشخصاتهم . واهم العوامل في نشأة هذه النزعة عامل الميول التي تفقد من تأثيرات متشعبة اهمها تأثيرات المحيط والوراثة بخلاف النزعة الاولى فانها تنشأ في الانسان لانسانيته فحسب

من شأن نزعة التي تمزى الى المفارقة وتعمل على تعزيزها ان تعطل عمل النزعة الاولى التي تؤيد مظاهر المشاركة بين الناس وتمزى الى مواضع المشاكلة فهي بذلك تحد مدى المحاكاة

وقد يحمد او يذم ما ينفرد به شخص من الاشخاص وفقاً لنزعة المفارقة والتفرد . فيحمد حين تقتضيه الحاجة والظروف ويصدر عن المنطق وترضاه النفس ، مثال ذلك : ان ينفرد شخص عن افراد الجماعة التي هو منها بطعام او نظام او لباس تقضي عليه به احكام الصحة او العمل او الذوق . او كان ينفرد شخص بالدعوة الى رأي انتهى اليه بمقدمات معقولة لم تمكن معرفتها من نصيب غيره كما انتهى «غاليليو» الى الجهر بدورة الارض مثلاً

وفي هذه الامثلة يظهر ان وجه الجهر في التفرد انما يرجع لانسجام ما انفرد به الشخص مع مقتضيات الحال والعقل

اما ما يذم منه فيرجع الى كل امر ينفرد به الشخص ويباين به غيره دون ان تكون هذه المباينة منسجمة مع مقتضيات العقل والاحوال مثال ذلك : ان ينفرد احد الناس بمخالفته لكل رأي من غير ما يدعو الى ذلك الا نزق المخالفة او ينفرد شخص بتغذية نزعات وميول ليست مألوفة ولا مستوية

ويظهر مما تقدم ان نزعة التفرد طبيعة في الانسان ، مقبولة ما دامت تبلغ الى ما ينسجم مع حاجات النفوس ومقتضيات الاحوال وهي انها كما تحول بطبيعتها بين الاشخاص وبين ان يشاكل بعضهم البعض من كل امر فهي كذلك تحول بين الجماعات والشعوب ان يشاكل بعضها البعض من كل امر كذلك

ايها السادة : ما دامت نزعة التفرد طبيعة لتعين على تهيئة الانسجام والملاءمة مع الظروف الخاصة فمن الطبيعي ان يكون للشعوب المختلفة في محيطها وظروفها وتاريخها

مشخصات . وفائدة المحافظة على المشخصات ان يظل الشخص او الهيأة في اتصال وانسجام مع الماضي والظروف ومن الانسجام كل معاني الخير والبركة

ولو كان لشخص ان يعمل على تبديل مميزاته من غير انقطاع ولا يحفظ لنفسه شيئاً مما به يكون هو هو ، اقول لو كان لشخص ان يفعل ذلك ويستخف بمميزاته لوجد من نفسه عدة اشخاص متباينة قد يعمل احدها ما لم يكن ليتفق مع عمل السابق وبذلك تضطرب حياة الشخص وتتناقض وقد يهدم في الغد ما قد يكون بني بالامس اذ لا ترتكز الحياة على ماض ولا ترتبط بأمل . وكذلك الشعوب التي لا تعتز بمميزاتها ولا تحتفظ بما تنفرد به فانها تضطرب في سيرها لانها لا تتكيء على ما يصلها بتاريخها ويلائم بينها وبين ظروفها

واذا كانت المشاكل فطرية للانسان في كثير من الامور فانها تحترم وتستحب بمقدار عدم تعارضها مع نزعة الفرد التي هي فطرية كذلك

اذن فليحاك كل منا الآخر فيما عنده من حسن، وتحاك الشعوب بعضها بعضاً ولكن على ان تكون تلك المحاكاة متفقة مع حاجات النفوس الى مشخصاتها المميزة ملتئمة مع مقتضيات الاحوال . ان محاكاة الطفل الصغير للرجل الكبير في المشي ليست مستمدة من حركات الكبير فحسب لكنها تصدر عن حاجة اعضاء الطفل واستعداد عضلاته لهذا النوع من الحركة. ولم تكن حركات الكبير الا معيناً لنضوج هذا الاستعداد عند الصغير ومرشداً له الى طريق اتت به سنه وحاله اليها . ومهما يقال في امر مميزات الشرق والغرب وموقف الشرق من الغرب فان للشرق مميزات بحكم اقاليمه وتواريخه وللغرب كذلك مميزات وان مواجهة كل منهما للآخر تدعو لان يقول كل منهما كلمته فيما يكون بينهما من التبادل

فما الذي يؤخذ عن الغرب وما الذي لا يؤخذ ؟

وما الذي يؤخذ عن الشرق وما الذي لا يؤخذ ؟

ايها السادة : يلوح لي ان القاعدة التي قررناها من ان المحاكاة تحمد من كل ما تشعر النفس البشرية بصلاحه للمحاكي دون ان تتعارض هذه المحاكاة مع المميزات الفردية الصالحة هي نفس القاعدة التي تطبق في الحالات التفصيلية عند تقليد الشرق لمدنية الغرب

فما لا شك في صلاحيته للشرق تلك الحضارة الصناعية التي تبدو في الآلات العديدة التي اخترعها العلم وحقق اهل الغرب وجودها وفوائدها وأصبحت الانسانية لا تستغني عنها لتسهيل شؤون الحياة : فمنها آلات البخار وآلات الكهرباء وادوات الوقاية والطب وكثير من نظم الحكم الثابتة وكثير من النظم الاقتصادية التي لا تتنافر مع حاجات الشرقيين وغير ذلك مما لا يتردد الانسان السليم الفطرة في الاقرار بآثاره الصالحة والعمل على الاخذ به

لكن رغم اقرارنا محاكاة هذا الجانب المادي من الحضارة الغربية فان كثيراً من الامور التي اتصلت بحضارة الغربيين دون ان تكون نتيجة لازمة للعلم او مخترعاته يستطيع الشرقي ان يصد عنها دون ان تعطله عن ثمرات التقدم الصحيح

طالما لصقت بحضارة الغربيين اخلاق المطامع ، ونزعات التنازع والتناكر ، وحالات الاثرة ، والاندفاع في سبل الشهوات ، وارهاق النفس ، واستنفاد مادة الاعصاب لاقتناص الثروة وغير ذلك مما يلازم او يتفرع عن هذه الصفات

وطالما بالغت الحضارة الصناعية في توزيع الاعمال الذي تمدى الصناعة الى امور العلم والسياسة والادارة والفن وأدت تلك المبالغة من غير حيطة لمساوئها الى حصر الكثيرين من الناس في حالات الضيق الفكري والضعف الروحي

***

على اننا نرى ان جميع هذه الاحوال والصفات ليست نتيجة مباشرة لحضارة العلم الصناعية او لتوزيع الاعمال لكنها على ما ارجح نتيجة لخلو الصدور من الجو الروحي ، ونفر النفوس الى مدد من المبادىء الخلقية السامية والحاسة الاصلاحية والايمان . وذلك لان الحضارة اليونانية التي يمتد فيها اكبر اصول الحضارة الغربية لم تقم بنصيبها الكافي في تجهيز الغرب بالعدة الصالحة لاتقاء كثير من الشرور . وذلك لان الفلسفة عند اليونانيين قد اعتمدت على العلم وحده واعتمدت الاخلاق عندهم كذلك على التحليل العقلي لمعرفة شؤون النفس ولم يظهر لهم من الانسان الا جانبا العقل والارادة فهما في نظرهم الانسان كل الانسان

اما من جهة الدين فلم تكن في الاصل آلهة اليونانيين الا قوات للطبيعة ثم تصوروها مع مرور الزمن في صور البشر وكان يحفظ لها في صدور الناس ما يحفظهُ الانسان للناس من اعجاب وخوف واجلال وحسد وانفة وارتفاع كانفة وغير ذلك من العواطف

والخلاصة ان جهة الخلق كانت تعتمد على العقل والعقل كثيراً ما يشك ويرتاب وعلى الارادة والارادة كثيراً ما تضعف . وكان الدين كذلك عندهم يقوم على ارباب لا تؤكد اذعان الناس واستسلامهم وبالجملة لقد كانت الجوانب التي اعتمدت عليها النفسية اليونانية والمدنية الغربية من اشد اصولها ضعيفة الوجدان

ومن ثم لم تؤت الديانات الروحية التي تستمد قوتها من اعماق الوجدان كل ثمارها لوقاية نفوس اهل الغرب من الانحرافات التي تظهر الى جانب الحضارة الصناعية العلمية وذلك لضعف الجانب الوجداني وقوة الجانب العقلي عندهم كما اسلفنا

اما الشرق فاننا اذا نظرنا نظرة اجمالية في تاريخ نفسية اهله وجدنا ان ثمة صفات تباين تلك التي ذكرنا مما يتصل بحضارة الغربيين

فلو نظرنا مثلاً الى العقائد القديمة لاهل الشرق الاوسط لوجدنا ان ارباب كانت قهارة تخضع لقوتها وسلطانها الخلائق ، ثم تحولت هذه العقائد واصبح اخضاع الخلائق وقهرها بالحب والرحمة ثم كان بالايمان والاستسلام . وان فهم العقائد على هذا النحو يغذي روح التقديس والاذعان والنظام والتواصل في شؤون الحياة بخلاف ما كان عليه الامر في العقائد الاغريقية التي كانت تدري على رفع الكلفة بين الناس وبين آلهتهم ومن ثم تحض على كثير من مظاهر التمرد

ثم لو نظرنا الى اخلاق الشرق المتوسط منذ القديم لوجدنا ان بين اسلوبها وبين اسلوب الاخلاق اليونانية فرقاً مذكوراً . ذلك انهُ بينما يعتمد الحكيم الاغريقي على العقل فيرى في ضوئه الانسجام الملازم لنواميس الطبيعة المحيطة والعالم الخارجي ، والانسجام الملازم لقواعد العقل واحكامه المنطقية نرى ان الحكيم الشرقي يتخذ سبيلاً آخر فيعود الى نفسه ، ويلتوي عليها ، ويستبطن ، ويتعمق ، فيجد وراء عالم الانسجام الكوني والمنطقي عالماً بعيد المرامي من الحب ، ومن التوكل ، ومن التسليم ، ومن القناعة والغيرية

ولو نظرنا الى الذوق والفن عند الفريقين من شرقيين وغربيين لوجدنا ان ذوق اليوناني وفنهم يتصلان في كثير بعالم الشهادة وبالحياة الواعية بخلاف الذوق والفن عند غيرهم من قدماء الشرقيين فيتصلان بعالم الغيب والوجود الاخروي والحياة الروحية

ايها السادة : يبدو لنا مما تقدم من هذه المقارنة الاجمالية الجلي ان الاختلاف موجود بين نفسية جماعتين من البشر : الغربيين والشرقيين

ويحمل هذا الاختلاف فيما يغلب ان نطلق عليه مواضعة : روحانية الشرق ومادية الغرب

ويخيل اليَّ ان روحانية الشرق متأصلة من نفوس اهله لان الشرق اقدم اتصالاً بالمعاني الدينية والوجدانية من الغرب وهو بذلك مهيأ لكثير من المناعة ضد الرذائل التي تساعد مدنية العلم والصناعة على نشرها وتموها . وانهُ ليكفي من المجهودات اقلها لصيانة البلاد الشرقية من خطر الحالات الاجتماعية والصفات النفسية التي هي موضع شكوى مفكري الغربيين وحكامهم

فلا خوف اذن على الشرق اذا هو حاكى الغرب في ما هو نتيجة للعلم من اتخاذ ثمراته وادواته لكن الخوف كل الخوف يوم تسير المحاكاة في جو من نسيان النفس والماضي ، وفي ضرب من الخفة والرعونة فيلتقط الزبد ويترك في الارض ما ينفع الناس

ومن احتكاك اهل الشرق بحضارة الغربيين ومحاكاتهم لها ستنشأ حضارة المستقبل

ولن تكون حضارة المستقبل على ما نرجح مستغرقة لنفس الانسان ، مستخدمة لكل قواه على نحو ما تستخدم الآلة كما هو حاصل الآن

ولن تكون حضارة المستقبل حضارة تنازع وتناحر تقوم على فكرة «ان الانسان ذئب للانسان» ، او حضارة كفاح ومغالبة يقال فيها «الحق للقوي» ، او حضارة لذات ونعومة يقال فيها «احبُّ اكبر اللذات» ، «ولك الساعة التي انت فيها»

لن تكون كذلك حضارة المستقبل . ونرجو ان تكون حضارة رضا واطمئنان لما تمكن اليه نفوسنا فيقول كل انسان رضيت بنصيبي من الدنيا وبنعمة الله علي ، وحضارة اخاء يقال فيها سلام ، وحضارة تضامن وتراحم يقال فيها كن في عون اخيك والله سند الجميع وحضارة مرأى وخشونة فهون ما يعرض من الم . وذلك لان حضارة المستقبل ستكون مظهراً للهضم والتمثيل فيما يتبادل من خير صفات أهل الشرق ومن خير صفات اهل الغرب

فما قد نراه من شدة الحرص على الزمن والثمن مما قد يعرف منهُ في غير الانتاج المادي قد تخفُّ حدته عند توالي الاتصال والاحتكاك بما قد يوجد عند اكثر أهل الشرق من النزوع الى التواني والاستخفاف بالايام وقد تتقلب المبالغة في الحالين الى حال وسط معتدل يجمع بين حاجات الانسان الى الانتاج المادي وحاجاته النفسية الداخلية الى الراحة والتأمل

وما قد نراهُ من شدة المطامع من جهة قد يلطفهُ ما يشاهد من مظاهر القناعة من الجهة الاخرى

وما قد يرى في ناحية من مظاهر الانانية والاثرة قد يتبعهُ ما يشاهد في ناحية اخرى من مظاهر التواد والمجاملة

وما قد يشاهد عند البعض من تراخي الروابط العائلية القائمة على المصالح الاقتصادية قد يقاومهُ ما يشاهد عند البعض الآخر من تقديس عواطف الابوة والبنوة والتراحم بين الزوجين

وما قد يشاهد احياناً من شهوة التجديد المستمر المتوالي في منتوجات الذوق قد تتلطف حدتهُ عند الاتصال بروح المحافظة والاستقرار

وما قد يشاهد احياناً من خضوع الانسان للشؤون الاقتصادية في اخلاقه ومن ضعف الشرف وامتهان الكرامة قد يصلح بما يكون لدى الانسان من قوى المبادىء والاقتناعات التي تصبهُ بالمبادىء السامية والمثل العليا

وبالاجمال لن تكون حضارة الغد شرقية من نواحي مدنية الغرب الضعيفة ولن تكون شرقية من نواحي صفات الشرق الضعيفة ، ولكنها تكون مدنية العقل والوجدان في اصفى مظاهرهما . مدنية الانسانية الرفيعة . مدنية الله الذي يحفظ للبشر خير ما اودع في الشرق وخير ما اودع في الغرب

التدوين في الاسلام

للاستاذ محمد كرد علي

وزير المعارف السورية ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

من ادق المسائل معرفة اوائل الاشياء والمحدثات من الامور . فقد رأينا الغربيين في عهدنا اختلفوا في اول من اخترع الكهرباء ووضع الخطوط الحديدية وعمد الى الطيران. وهذه من الاعمال الحديثة العهد فما بالك بأمور اتت عليها قرون كمسألة التدوين في الاسلام. كان اول تدوين كتب القرآن في المصاحف في عهد الخليفة الاول وكما كان يكثر عدد من يكتبون من المسلمين في الاقطار كان عدد من يدونون يزيد كثيراً . وقد تبين مؤخراً ان ما نقلته في مجلة المقتطف (المجلد الثامن والعشرون ١٩٠٣ — ١٣٢١ ص ٦٦٠) من ان اول من صنف عبد الملك بن جريج البصري المتوفي سنة ١٥٠ او ابو النصر سعيد بن أبي عروبة (١٥٦) او ربيع بن صبيح (١٦٠) او غيرهم من اهل القرن الثاني كان يراد به من افردوا المسائل بالتأليف والا فان التدوين وقيد الفوائد الادبية والدينية كان ما حدث في القرن الاول . ولو لم يكن هناك كتب مدونة ما كان خالد بن يزيد حكيم الأمويين يحرص على نقل بعض العلوم من السريانية واليونانية الى العربية على ما اثبت ذلك الثقات المحققون

ولقد ثبت على ما روى صاحب الفهرست ان عبيد بن شرية الجرهمي وفد على معاوية ابن ابي سفيان في الشام فسأله عن اخبار الاقدمين وملوك العرب والعجم فأجابه الى ما امر. فأمر معاوية ان يدوّن وينسب الى عبيد . ولعبيد عدة كتب ذكرت في الفهرست . وبقي عبيد حيًّا الى ايام عبد الملك بن مروان فثبت بذلك ان التدوين حدث في اوائل القرن الاول اي في عصر الصحابة الكرام على ما في (توجيه النظر) للعلامة طاهر الجزائري. فقد ذكر بعض الحفاظ ان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . وقد ذكر المؤرخون انه وجدت في خزانة الانبار عدة كتب بخطوط بعض الصحابة والتابعين بل وجد كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم من اهل مكة كتب قبل الاسلام

اذا عرفت هذا فقد زال الشك الذي تطرق الى بعض ما دون من أخبار الجاهلية وشعرهم لأنا رأينا القوم قد عُنوا بالتدوين لاول القيام بالدعوة الاسلامية بقدر ما ساعدهم عدد الكاتبين . وباثبات هذه القضية على ما تجلت لنا ، يزول العجب الذي كان أدرك مثل الاستاذ منشيء المقتطف رحمه الله (م ٢٨ — ص ٦٦٣) من توقف العرب عن تدوين أخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة قال مع ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم . قال وأعجب منه ان يكتبوا في المئة الثانية ما حفظه اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبراً سمعناه في العام الماضي او لصف حادثة شاهدناها منذ عامين . اه

كان هذا الرأي غالباً على بعض الباحثين ولكن الايام اثبتت نقيضه بما وقع لعبيد ابن شرية الجرهمي مع معاوية بن ابي سفيان . ومن غرائب الحوادث ان ما رواه الراوون عن هذا الراوية قد ظفر الباحثون بنصه مدوناً وقد نشره السيد كرنكو من علماء المشرقيات في انكلترا باسم اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، وطبعه في حيدر آباد الدكن في الهند . ومما جاء فيه وهو ما يؤيد رواية ابن النديم في الفهرست ان معاوية امر (ص ٣١٤) كتّابه ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية . وقد ذكر عبيد في حضرة الخليفة اخبار عاد وثمود وجرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم وغير ذلك وكلها مشفوعة بأشعارهم . وكان معاوية يطلب الى راويته المرة بعد المرة ان يسمعه ما قيل في كل حادثة من الاشعار ومما قاله له : (ص ٣٥٢) «وقد علمت أن الشعر ديوان العرب والدليل على اخبارها وأنسابها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أن من الشعر لحكماً» وقد كان معاوية معجباً جداً بما سمع من عبيد بن شرية وقال له مرة : « خليق يا عبيد أن يكون هكذا فزادك الله علماً وفهماً وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فأنا لا نحصي ايادك فزادك الله فضلاً الى فضل وهدى الى هدى ...

ويقال في الجملة ان كتاب اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن وهو من اوائل ما دوّن في الاسلام كان منه حل الاشكال الذي استعصى على كثير من الباحثين وبه ثبت ان المسلمين دونوا في زمن اسبق بكثير مما دون المصنفون ولذلك حفظت السنة وأخبار الجاهلية وأشعارها فقد ذكر الجلال السيوطي في « تدريب الراوي » في فصل يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لاملاء الحديث قال انه اعلى مراتب الرواية — رواية ابن عدى والبيهقي

في المدخل من طريقه انبأنا عبد الصمد بن عبد الله ومحمد بن بشر الصفتيان قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو الخطاب معروف الخياط قال : رأيت واثلة بن الاسقع رضي الله تعالى عنه يملي على الناس الاحاديث وهم يكتبونها بين يديه (ويتخذ مستملياً محصلاً مثبقظاً يبلغ عنه اذا كثر الجمع على عادة الحفاظ) في ذلك كما روى عن مالك وشعبة ووكيع وخلائق وقد روى ابو داود والنسائي من حديث رافع بن عمر قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعليّ يعبر عنه وفي الصحيح عن ابن حمزة قال : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس فان كثر الجمع بحيث لا يكفي مستمل اتخذ مستملين فأكثر الى آخر ما قال

وواثلة بن الاسقع بن عبد العزّى من اهل الصُّفة وسمع على ما في طبقات ابن سعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله خرج الى الشام ومات سنة ثلاث (وقيل خمس) وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وقيل مئة وخمس سنين وكان ينزل بيت المقدس ومات بها ويشهد المغازي فيمر بدمشق وحمص . والمعروف ان الرسول عليه السلام نهى أن يكتب عنه اولاً غير القرآن ونهى عن كتابة الحديث لئلا يختلط بالقرآن . وفي مفتاح السنة للاستاذ الحولي وهذا لا ينافي جواز كتابته اذا امن اللبس وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه (ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) وقوله عام الفتح (اكتبوا لابي شاه) واذنه لعبد الله بن عمرو بتقييد العلم . وأبو شاه كان من الصحابة قال : اكتبوا لي فقال النبي : اكتبوا لابي شاه، يريد خطبته فنيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث . وصح عن عبد الله ابن عمر انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن ابيه عنه ، وهي من اصح الاحاديث ، وكتب رسول الله كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره ، وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرّة في خلافة يزيد وكان يقول : « لو ان عندي كتبي بأهلي ومالي »

وبعد ان اوردنا هذه الروايات التي لا سبيل الى تزييفها لورودها من طريق مأمونة مضمونة وساعدنا على تأييدها طبع كتاب اخبار اليمن لعبيد بن شرية ثبت كل الثبوت ان المسلمين باكروا التدوين اكثر مما ظن الظانون ، وان دعوى كون اشعار الجاهلية مصنوعة قد ردّت بشهادات لا يسع المناكين الاّ اعتقاد صحتها والله اعلم

الدفاع عن النفس

نزعة نفسية تلون افكارنا وتوجه سلوكنا

ليس الدفاع عن النفس بالاثواب والاظفار او ما يقوم مقامها ما نبغي ان نصفهُ او ننبه اليهِ في هذا المقال. فهذا اوضح من ان يحتاج الى وصفهِ او التنبيه اليهِ . انما الذي نريد ان نصفهُ هنا هو ظاهرة نفسية لها في تلوين حياتنا العقلية وفي توجيه سلوكنا اثر اعمق واعم مما نستطيع ان نصف او نحب ان نعترف بهِ . هذه الظاهرة هي ظاهرة الدفاع عن النفس ذلك الدفاع السلبي الهادىء الذي نلجأ اليهِ كلما حزبتنا حقائق الحياة واحرجتنا حوادثها. ونحن قلما نفطن الى اثر هذه النزعة في حياتنا لاننا نرغب دائماً ان نظهر بمظهر الانصاف والتجرُّد في التفكير ، ولا نحب ويحب الناس ان نتخلَّص من انانيتنا القديمة الصاخبة

والدفاع عن النفس على هذا النحو قد يتخذ صفة الاعتدال او المبالغة . فان كانت الاولى فهو مقبول مُسَاغ الى حدٍّ ما . وفيهِ يوفق المرء بين احوال نفسهِ الراهنة وبين حقائق العالم الخارجي ، فينشأ من ذلك نوع من الاتزان يربحه من كثير من انواع القلق النفسي المحض. ولكن اذا بالغ المرء في الدفاع عن نفسه والدفاع عنها فهناك الخطر ان لا يعود يرى في نفسه الاَّ انه ضحية لغفلة الناس وجهلهم . وينزل منه هذا الوهم منزلة اليقين، فتصبح حياته نزاعاً عنيفاً ، ويتولاه مقت شديد للناس يدنو به من حدود الوسواس او الجنون المطبق . ونحن لا نرغب ان نعالج الاَّ هذا الجانب المعتدل من الدفاع عن النفس ، لان الجانب الآخر هو في الحقيقة من اختصاص طبيب الامراض العقلية

اما الدوافع الاساسية لهذه النزعة فهي الشعور بالنقص والحرمان من جهة وما نطرنا عليه من كره للنقص وحب للكمال من جهة ثانية . فبواعث هذه النزعة اذاً موجودة في كل فرد لان كل فردٍ ، باعتبار الغير ، ناقص وكل فرد يسعى على نحوٍ ما ، ليسدَّ هذا النقص او ليخفيه عن نفسه على الاقل ؛ لانه يؤلمنا ويقضُّ مضاجعنا ان نرى معائبنا بادية في كل آن امام وجوهنا . ومن هنا نرانا لا نألو جهداً ولا ندخر وسعاً في ازالتها . واذا اعجزنا ذلك فلا اقل من ان نموهها بما يخفي قبحها فتبدو مكتسية بثوب الكمال

ومظاهر الدفاع عن النفس شتى لا تقع تحت حصر . بعضها يسهل ارجاعه الى مصدره

والبعض الآخر لا يظهر الا بالتدبر الشديد والتجرد المطلق ، لا سيما ان بعض المظاهر التي يتخذها الدفاع عن النفس ينتهي بصاحبه مع التكرار الكثير بالاقتناع ، فلا يعود المرء يشعر انه انما يدافع عن خطأ او خصلة يشعر هو بشذوذها وبؤسها . فتجده يتحدث الى الناس والى نفسه كأنّ الامر الذي يتحدث فيه امر واقع وفي الصميم من الحق والصواب

* * *

من الاشكال العديدة التي يتخذها الدفاع عن النفس انتقاص الغير والتقليل من شأنه سواء اكان المنتقص شاعراً بالحافز له على ذلك ام غير شاعر. فحينما يبلغ شعور المرء بالنقص حدًّا بعيداً ويوقن انهُ لا قبل له بالالحاق بمزاحميه . ولكنه يرى انه يستطيع ان يطمئن من منزلتهم ، ويصبح همه وقتها الازال من قدرهم فقط ، ولا يعنيه بعدها أرفع نفسه ام ابقاها في مستواها الذي تضطرب فيه . فالمسألة تصبح عنده مسألة مسافة فقط . والذي يصدُّه غالباً عن السير صعداً هو ما كان من تضخيمه لبعد الشقة بينه وبين هؤلاء المزاحمين مما يشبهُ من اللحاق بهم او على الاقل ، من الدنو منهم

ولكن اذا لاحظ المرء انه لا يستطيع ، بوسيلة من الوسائل ، ان يوطىء من قدر غيره ممن هم فيه منه ليتفع على تقهقرهم ، يصبح همه عندها اقصاء هذا الغير عنه بالقاء عليهم والاعظام من شأنهم ليضع له العذر الكافي ، امام نفسه وامام الناس ، في عدم اللحاق بهم. فكاتب فقير مثلا يتدرجدًّا ان يهجم على شكسبير ، بينما برناردشو وانا تول فرانس ينتقدانه انتقاداً مرا . على ان هذا لا يعني مطلقاً ان كل حافز الانتقاد هو الدفاع عن النفس . ولكن مما لاشبهة فيه ان قسطاً كبيراً من الانتقاد مرده الدفاع عن النفس . والذي يزيدنا اقتناعاً بهذا ان المرء كلما نبه شأنه وابتعد عن ان تطوله سهام المنتقدين قلت عنايته بالانتقاد

ويزداد التباغض والاضطغان بين المتنافسين كلما كان أساس المفاضلة بينهم قريباً من الاشتراك ، لان ذلك يساعد الناس في الموازنة والترجيح . وهذا يفسر لماذا لا يحمل الاديبُ العالمَ والعالمُ السياسيَّ مثلاً ، بينما العالمُ قد يحمل العالمَ والسياسيُّ قد يحمل السياسيَّ. ذلك ان العالم والعالم او السياسي والسياسي يتباريان في جهة واحدة ونحو هدف واحد تقريباً ، مما يسهل على الناس تبين المجلي من المصلي. وهذا بدوره يجعلهما يجدّان في الاستباق والمغالبة

* * *

وكما يكون الدفاع عن النفس بانتقاص الغير لتقريب المسافة بين المنتقِص والمتنقَص ، فعلاً ، او بالخيال ، كذلك يكون الدفاع عن النفس برفع النفس وتمجيدها . ويتخذ ذلك اشكالا متعددة لا نزال نستطيع تقصيها كلها ولكننا نكتفي بشكل واحد منها هو اشد

هذه الاشكال بروزاً واكثرها تلويناً لحياتنا وهو تمجيد المرء مواهبه العقلية . وفي الواقع ان اشد ما يعنى به المرء ويتوسل له بجميع الوسائل هو اثبات تفوقه العقلي . ولم ار امرءا احرص على شيء منه على اثبات سمو مداركه وفضل عقله . وتلاميذ المدارس هم على العموم اكثر الناس عناية بذلك . ذلك ان محيط المدرسة الفكري وتقارب الصفات العقلية بين التلاميذ (بالنسبة لاي مجموع آخر خارج المدرسة) واشتراكهم في الهدف يذكي روح التزاحم بينهم في هذه الناحية . والذي لاحظته ان التلميذ قد يضحي بكل شيء حتى بسمعته الادبية كيلا يكون سبيل الى اتهامه بالتخلف الذهني . وليس بالنادر ان تسمع تلميذاً متخلفاً يتهم نفسه بمختلف التهم لكي ينفي كل شك يحوم حول مواهبه العقلية . فالتلميذ الذي يعزو تخلفه الى الكسل او ضعف الذاكرة او رفقة السوء او الانغماس بأنواع الرذائل قد تجده في كثير من المدارس، ولكن يندر جداً ان تجد التلميذ الذي يقر صراحة بالبلادة ويعزو اليها تخلفه . ولاعن مالا يقر التلاميذ بعدد الساعات التي يقضونها فعلاً في الدرس والتحضير، هذا بالرغم مما يسمعونه ويترأونه كل يوم من ثناء على فضيلة الجد والمثابرة

على انهُ اذا لم يستطع المرء ان يتراءى واماماً الناس بتخلفه الذهني فلا يسعه في بعض الاحيان الا ان يقر بذلك امام نفسه حينما تميه الحيل وتسد عليه جميع المسالك ليقنع نفسه انه ليس كذلك . وهذا الاقرار قد يكون عن حق او موهوماً . فان كانت الاولى فانه صاحبنا يتخذ غالباً جانب الاعتدال في مطامعه فيريح ويستريح . وان كانت الثانية فهناك احد امرين : اما ان يخنع في مطامعه الى الاعتدال او ما هو دون الاعتدال ، او التعويض بطريق الجد والمثابرة عما يعتقد انهُ ينقصهُ من جانب القدرة الطبيعية . وفي هذه الحالة الاخيرة ، حينما يقترن الجد بالذكاء ، يصنع المرء العجائب . وقد تدهشهُ مثل هذه النتيجة فيعزو نجاحهُ مخلصاً الى جده واجتهاده . ولعلَّ هذا يفسّر كثيراً مما نقرأه عن رجال العلم والمال من عزوهم نجاحهم الى المثابرة والاجتهاد . وعلى كل لا يجرؤ هؤلاء على البوح بما يعتقدون انهُ السبب الاقوى في نجاحهم الاَّ متى ايقنوا ان ذلك لا يؤثر في تقدير الناس لمواهبهم

وكالفرد الجماعة من حيث الاثر الذي يخلفهُ الشعور بالتخلُّف الذهني . فاذا شعرت الجماعة ، لسبب ما ، بالنقص في هذه الناحية فانها تسعى ، اذا ساعدت احوال المحيط ، للتعويض عن ذلك بالكد والعمل . وهذا يفسّر الى حدٍ ما تفوُّق الطلاَّب الزنوج والصينيين في كثير من مدارس اميركا . ومن علماء الاجتماع (الدكتور ملر استاذ علم الاجتماع في احدى جامعات اميركا) من يعتقد ان الشعب الذي سيكون له اوفر حظ في التقدم العلمي في اميركا هو الشعب الزنجي . وهم يعتقدون ايضاً ان الصينيين سوف يقودون العالم في عالمي العلم والعمران لهذا السبب

وقد لا يجري فعل التعويض مجرّى عملياً ، فيظهر بمظاهر مختلفة : منها ما يكون سليم العاقبة على صاحبه ومنها ما يكون وبيلها . فمن ابواب التعويض غير السهل ان يعمد المرء حيثما يحسّ بالنقص ، الى الخيال ويسخره ليتم هذا النقص . وقد يلجأ خياله بفعل التعويض فيصح ، وهو السلوك ، الآمر الناهي ويضحي ، وهو الجبان الرعديد ، الشجاع الذي ينصر الغير ظالماً او مظلوماً . واذا اسرف المرء في هذا النوع من الدفاع عن النفس — واذا شئت هذا التخدير العقلي — فلا شك ان ذلك يكون اول بوادر الجنون . ويجب ان نلاحظ هنا ان امرءاً هذا حاله يكون بالفعل سعيداً ، لانهُ يعيش دائماً في عالم يبنيه خيال جامح لشيء في اقصى حدود النشاط يسهل عليه تنحية كل ألم واحساس بالحرمان . والتصور التي يبنيها خياله تحلّ عنده محل الحقيقة الواقعة . ومن هنا صدق القول بان المجانين هم اسعد الناس

وقريب من هذا ما نراهُ في الاطفال من ميل شديد الى تصديق كل ما يعرض عليهم من اخبار البطولة والاستمتاع بانواع اللذة . والاطفال هم على الاجمال ، اول من يؤخذ باوصاف الجنة واخبار المخاطرات . ذلك ان خيالهم يضخم لهم سعة مشتهياتهم وعجزهم يقعد بهم عن نيلها ، فينشأ في نفوسهم هذا الميل الشديد الى اخبار البطولة والاستمتاع باللذة ، لان هذين هما اول ما يشغل عقولهم الفتيّة . والملاحظ انهُ كلما ازداد سعي الفرد والامة ونالا من اسباب العز والرفاه قلّ تأثرهما بما توصف به الجنات وما يوعد به الابرار الصالحون . ولعلّ هذا يفسر قول السيد المسيح دخول الخيط في سم الخياط أهون من دخول الغني ملكوت السماوات . ومن الملاحظ الجلي ايضاً ان المرأة ، كالاطفال ، تأسرها الروايات المعتنة في الخيال . وهذا ليس امراً عارضاً : انما هو تعبير صامت عن شعورها بالضعف ومقياس لمقدار ما تشتهيه من قوة ونفوذ فتعوض عن ذلك بطريق الخيال

ثم هناك نوع غريب من التعويض يظهر في رفقة المتناقضين من الناس في الصفات العقلية او الخلقية فكأن احدهما يعوض عما هو مستقرٌ في نفسه من احساس بالنقص في احدى الصفات باتصاله بمن يفضله في هذه الصفة ، كانهُ يحسُّ بان صفة هذا الشخص المشتهاة تنمره وتنعكس عنهُ لدى اتصاله به . اما هذا الشخص ذو الصفة المشتهاة فهو لا يميل بادئ الامر الى صحبة ذاك ولكنهُ ازاء اخلاصه والحاحه لا يسعهُ الاّ النزول على شهوته . ومن هنا يجب ان تكون حذرين حينما نقول ان القرين يعرف من مقارنه

ومظهر آخر للتعويض يمثله ذلك الصنف من الكتاب الذي تخلو كتاباتهم من كل عميق وابتكار ، فيعمدون ، ليخفوا هذا العيب ، الى البهرجة اللفظية ويتصرفون عن التراكيب المنسجمة والالفاظ المألوفة الى التعقيد والاغراب . ويحشدون بهذه كلها كتاباتهم فتبدو

كأنها معاجم وقواوين لغة جمعت للاستشهاد بها على شواذ اللغة وشواردها : يهولون بهذه البضاعة الزائفة على القراء كما يهوّل الحواة على المشاهدين بتقليبهم حياتهم ومنشآتهم بين أيديهم . وقد تقرأ الفصل او المقال لهذا المصنف من الكتاب ، فتجد ان شروح الالفاظ تحتلُّ من الكتاب او الصحيفة اكثر مما يحتله المتن . وقد يدهشك بادىء بدء ان تراهم يجرؤون على عرض مثل هذه البضاعة على القراء في عصر المقامُ الاول فيه للمعاني . ولكن متى علمت ان الدافع لهم على ذلك هو دافع نفسي عميق تخضع له انت وانا وهم على السواء — متى علمت ذلك عذرتهم بعض العذر : اقول بعض العذر ، لانهُ كان اولى بهم ان ينصرفوا عن الكتابة بتاتاً الى ما هو اجدى لهم وللناس كممارسة صناعة او تجارة او ما هو الى ذلك مما يستطيعون أن يبذُّوا فيه

***

واتهام المرء غيره واشراكه بما يحسه هو من نقص، شكل آخر عام يتخذه الدفاع عن النفس. ومظاهر هذا الشكل شتى لا يحيط بها تقصٍّ ، نذكر منها ما نراهُ في اناس مخصوصين من مقت شديد لانواع من الرذائل هم اول ضحاياها . فتراهم يتعقبون اصحابها ويهاجمونهم مهاجمة عنيفة ويوسمونهم لوماً وتشهيراً . فيوجد هذا فيهم نوعاً من الاطمئنان بصالحهم مع نفوسهم ، لانهُ يوجد لهم شركاء عديدين في ذنوبهم يعذبهم هم كما هو يتعذَّب . وينسى البعض الدافع الحقيقي لهم على ذلك فيعتقدون انهم يضمرون الفضيلة فقط من اجل الفضيلة ولنا امثلة كثيرة على هذا النوع من الناس في تاريخ الاصلاح الديني والسياسي والاجتماعي. ومما لا شك فيه ان قسطاً وافراً من النجاح الذي يلاقيه رجال الاصلاح المرتدين من دينٍ الى دين ومن مذهب سياسي او اجتماعي الى مذهب آخر مرجعه ، في الاكثر ، هذه القوة المستترة التي يحولونها من طريق الاختصام مع النفس الى الاختصام مع الغير

والشيوخ (بعض الشيوخ) يضنون دائماً على الشباب انحطاط الاخلاق والانهماك باللذاذ الجسدية والمتع الزائلة (وقد كانوا يوماً شباباً) لا لانَّ الشباب هم حقيقة كما يصورون ، بل لان هؤلاء الشيوخ — ونرجو ان لا يغضبوا — يشتهون ولا سبيل الهما يشتهون. والميل الذي يظهره البعض الى الزهد والتقشف قد لا يكون له من اساس الا طلب المتعة من جهة والعجز عن نيلها من جهة اخرى . فينطبق عليهم مثل الثعلب والعنب

والجماهير لا تتساهل مع الخطيب الذي يشتدُّ في تقريعها ويغضي بعدد معائبها وهفواتها واحدة واحدة الا لانَّ كل فرد يحب ان يسمع غيره يتَّهم ببعض التهم التي يتهم هو بها نفسه ليصح له شركاء في ذنوبه التي تسلبه الراحة والاطمئنان . فالدافع الاساسي الذي يدفع

الجماهير الى التصفيق للخطيب الذي يسرف في تأييدها لا يرجع ، في معتقدنا ، الى ان كل فرد يحب ان يؤنب انما لان في كلام الخطيب اتهام عام للجمهور. فيصبح هذا الجمهور شريكاً لكل صاحب ذنب ورذيلة في ذنبه ورذيلته . وهذا يهبه شيئاً من الاطمئنان وراحة الضمير. واذا كان القارىء في شك من كلامي، وكان ممن مارس الخطابة ، فليؤنب جمهوراً في شيء ما ثم ليكلمهم افراداً بعض ما تكلم لهم به مجتمعين وليرَ بعدها هل ينجو من لذع كلامهم اذا لطف المولى ونجا من قبضات ايديهم . وتبلغ اناية الجمهور حداً يجعله يتمض من الخطيب الذي ينزل عنه مقرعاً بصفة المخاطب مخرجاً نفسه من دائرة الاتهام . والذي لاحظته ان الخطيب الذي ينزل كلامه الى قرارة النفوس هو الخطيب الذي ينادي: «نحن» وليس «انتم»

ثم نحن نبيح لانفسنا ان ننتقد انفسنا ونتهمها بمختلف التهم مستدين او مسرفين . ولكن حينما يجيء هذا الانتقاد عن طريق الغير تتنبه حالاً غريزة الدفاع عن النفس فتهب لدفع التهمة ، او على الاقل ، اشراك المتهم بها . ولعل القارىء يذكر قصة ذلك الشاب الذي جلس الى كاهنه يكشف له عن خبايا نفسه ويعترف له بالزلة اثر الزلة . فلما انتهى نظر اليه الكاهن نظرة الارتياح وقال : اشكر المولى انك قلت الحقيقة ولم تخف عليَّ شيئاً . فاكاد يلفظها حتى حلق فيه شابنا حلاقة الغضب وقال : بالرغم عن هفواتي وزلاتي كلها اراني اظل اتقي نفساً وأقل وزراً منك ايها الكاهن الشرير !

هذه بعض مظاهر الدفاع عن النفس — اقول (بعض) مظاهره ، لانني والحق يقال لم ارَ نزعة اكثر تغلغلاً واعمق اثراً في توجيه سلوكنا من هذه النزعة . ليعد القارىء الى نفسه يوماً او بعض يوم — اذا شاء — وليجرِ عليها هذا الاختبار البسيط : ليدوّن كل قول او عمل او فكر من افكاره ، ثم لينظر آخر النهار في دفتره وليفحص بتجرد (واخلاص) الدوافع التي دفعته الى كل ذلك . انني موقن بأنه سيرى ان اكثر ما فكر به او قاله او عمله في يومه هذا كان تهالكاً منه على تبرير نفسه وغسلها مما الصقته بها هو وغيره من تهم مقلقة . وانا شديد اليقين ايضاً بأن اكثر ما يقال من على المنابر وما تخرجه المطابع هو دفاع مباشر او غير مباشر عن النفس وما يمتُّ اليها كالدفاع عن الدين او الوطن . ولو اتيح لنا ان نفرز من مكتبات العالم منشآت الفكر التي كان الدافع اليها نزعة الدفاع عن النفس لتقلصت هذه المكتبات الى نصفها او ما هو اقل من ذلك

بعد هذا هل يحق لنا ان ندعي اننا نفكر تفكيراً صحيحاً مستقلاً عن اهواء النفس ونوازعها ؟ ؟ ليجب القارىء نفسه اذا شاء

الحصن — شرقي الاردن اديب عباسي

فلسفة اللون الاصفر

من مقال للسير هنلوك أليس

لون الاحمر شأن عظيم في امور الامم العقلية على تعددتحلها وتفاوتها في درجة الحضارة والعمران . اما اللون الاصفر فليس كذلك بل ان تأثيرهُ في الامم يختلف جدًّا باختلاف الزمان والمكان ودرجات التمدن وفي الافراد باختلاف اطوار العمر . وليس بين الالوان لون مثلهُ يرفع بين الناس قدره الى السبع الطباق وينزلهُ البعض الى ادنى دركات الامتهان

ويظهر من درس تاريخ اخلاق الشعوب المتوحشة انها تبتهج باللون الاصفر بوجه عام لا تفضل عليهِ سوى اللون الاحمر . ومنها من يساوي بينهما او يفضل الاصفر على الاحمر . فاهل بعض اقسام غينيا الجديدة مولعون باللون الاحمر ونكنهم يحبون اللون الاصفر كذلك وقد يفضلونهُ على الاحمر بدليل انهم يطعمون نوعاً من البناء ذي الذنب الاحمر جذوراً صفراء ليعفرَّ ذنبهُ واهل جزائر الاصدقاء يزلون اللون الاصفر منزلة الاحمر او يعدونهُ ثانياً لهُ ومثل ذلك يقال في اهل اوربا القدماء فانهم كانوا يعتبرون الذهب بالاصفر والاحمر على السواء

هذا في الجماعات واما في الافراد فان صغار الاولاد (واوجه الشبه بينهم وبين المتوحشين كثيرة) يحبون الاصفر مثل المتوحشين ويفضلونهُ عليهِ غالباً والسبب في ذلك كون الاصفر اشدَّ ظهوراً ولمعاناً من الاحمر على ما يرى البعض . وقد جرَّب بعضهم تأثير الالوان في الاولاد فوجد ان منهم من كان يفضل الاصفر بلا تردُّد وينتقي الاشياء الصفراء من بين اشياء ملونة بالوان اخرى وهو لا يزال طفلاً . وعرض آخر كرتين الواحدة حمراء والاخرى صفراء على طفل عمرهُ اربعة اشهر فكان يتناول الصفراء دون الحمراء كلما عرضا عليهِ . ولما كاد يبلغ الحول كان ينتقي الكرة الصفراء ست مرات في كل عشر مرات . ووجد آخر ان طفلهُ كان يتردَّد كثيراً في اختيار الاصفر ولكنهُ لم يكن يتردد في اختيار البرتقالي . وعرضت زهرتان الاولى حمراء والثانية صفراء على طفل عمرهُ سنة ثم عرضت عليهِ ثلاث ازهار حمراء وبيضاء وصفراء بالتتابع ثم اربع ازهار حمراء وبيضاء وبرتقالية وصفراء فاختار الصفراء في المرار الثلاث ولكنهُ توقَّف في المرة الثالثة قليلاً بين الصفراء والبرتقالية

ان تفضيل الافراد اللون الاصفر يقلُّ بتقدمهم في السن حتى ان البنات لا يعدن يفضلنهُ

على غيره بين الرابعة والسابعة من سنهنَّ. وامتحن الاستاذ لوبسين الالماني تأثير الالوان في تلميذات مدرسة في كيل بالمانيا عمرهن بين الثامنة والرابعة عشرة وكان يعرض عليهن الالوان زوجين زوجين فلم يكنَّ يفضلن البرتقالي على لون آخر وكنَّ يفضلن الاصفر على الاخضر وعلى البنفسجي غالباً ولكنهن لم يفضلنهُ البتة على الاحمر ولا على الازرق. ووجد آخر انهُ كلما تقدَّم الاولاد ذكوراً واناثاً في السن جعل الذكور يفضلون الالوان التي في جهة البنفسجي من الوان الطيف الشمسي والاناث يفضلن الالوان التي في جهة الاحمر منهُ

ووجد وسلر ان كبار التلامذة في المانيا ذكوراً واناثاً قلما يفضلون الاصفر على غيره فان ٢ في المائة من الذكور يفضلونهُ على غيره و٥ في المائة من الاناث. وان الرجال يكرهونهُ اكثر من سائر الالوان وان النساء يكرهن البرتقالي اكثر من غيره. وجرَّب جاستروتأثير الالوان في ٤٥٠٠٠ رجل وامرأة في معرض شيكاغو فوجد انهم اقلُّ استحساناً للاصفر والبرتقالي من سائر الالوان وان النساء اكثر استحساناً للاصفر من الرجال

هذا في الافراد والجماعات الصغيرة من الناس ولكن لا يصح اطلاقهُ على مجموع البشر عموماً فان في الارض امة عظيمة جداً تنزل اللون الاصفر اسمى منزلة من الاجلال والاكرام وهي الامة الصينية وكذلك سكان الهند وسيلان وشبه جزيرة ملقا بل اهل قارة آسيا كلها قديماً وحديثاً. فأهل الهند وسيلان يفضلون الازهار والملابس الصفراء على غيرها ويقدسون المواد التي يستخرج منها الصباغ الاصفر ويعدون وجودها لازماً في بعض حفلاتهم الدينية مثل الكركم والزعفران. وكان الفرس وسكان اوربا في القرون الوسطى يعتقدون ان الزعفران يفعل فعل السحر فيضعونهُ في اكياس صغيرة يتخذونها عوذاً وتمائم ويستعملونهُ كثيراً في طعامهم. وكذلك البوذيون فانهم يقدسون اللون الاصفر وزهرتهم المقدسة صفراء وكذلك الاسرائيليون فقد شبهت العروس في نشيد الانشاد بالكركم. وعند الصينيين ان الصفرة لون حسن الحظ مثل الخضرة والحمرة. وأهالي ملقا يعتقدون ان الياض اقدس الالوان يستعملونه للصلاحة بين الارواح الشريرة وان الصفرة تتلوه في الطهارة والقداسة. وورد في تواريخهم ان احد سلاطينهم نهى العامة عن لبس الملابس الصفراء وجعل المناديل الصفراء وتعليق السجوف الصفراء في منازلهم لان اللون الاصفر اقدس من ان يدنسهُ العامة بأدرانهم وعليه اختصهُ سلاطينهم بأنفسهم منذ ذلك الحين

وكان اهل اوربا في القرون الوسطى يفضلون اللون الاصفر على غيره وان كانوا لم يقدسوهُ مثلما يقدسهُ اهل آسيا الآن. ففي بلاد اليونان ورومية كان اللون الاحمر اقدس الالوان والاصفر لون ملابس الاعراس للنساء والاولاد. ذكر بلينيوس أن اللونين الاحمر

والاصفر كانا اكثر الالوان شيوعاً في الصور القديمة. وقال امبدوكليس ان الالوان الاربعة الاصلية هي الابيض والاسود والاحمر والاصفر. واكثر هوميروس وشعراء الرومان من ذكر اللون الاصفر في قصائدهم

هذا من حيث تاريخ اللون الاصفر وتأثيره في طوائف البشر قديماً وحديثاً. وربَّ سائل يسأل وما معنى هذا التضادّ بين اوربا الحديثة من جانب والامم القديمة وآسيا من الجانب الآخر. وما هو السبب في عدم ابتهاجنا بلون كان اهل العصور القديمة ولا يزال اهل قارة آسيا يجلون قدرهُ لانهُ لون الشمس والذهب والحنطة والعسل والكهرباء مع انهُ اللون السائد في نور الشمس والانوار الاصطناعية التي نستضيء بها. لا يمكن ان يكون السبب في ذلك ارتقاء ذوقنا عن ذوق الاقدمين من حيث النظر الى الجميل والجمال فان ذلك مخالف للواقع بشهادة اعاظم المصورين. يحكى ان المصور زيرنت الشهير كان وهو يزيد تهُ اتقاناً يزيد اعجاباً وتعلقاً باللون الاصفر حتى انه طلى صورهُ الاخيرة بطلاء ذهبيّ

ويؤخذ من الموازنة والاستدلال ان ظهور الديانة المسيحية كان السبب في ذلك الانقلاب وتفضيل الالوان القاتمة على الفاتحة وهذا نشأ عن مقاومة الديانة المسيحية للوثنية ورفض المسيحيين لكل ما كان فيهِ رمز للفرح والكبرياء. وكان الاحمر والاصفر اللونين السائدين حينئذٍ وحبُّ الاحمر مغروساً في الطبيعة البشرية الى حد ان الديانة المسيحية لم تستطع استئصالهُ من صدور اتباعها فكانت النتيجة ان دولة الاحمر سادت ودولة الاصفر دالت وبات الاصفر لون الحسد والضغينة. فصور يهوذا الاسخريوطي بملابس صفراء واكره اليهود في بعض البلاد على لبس الملابس الصفراء. وصبغت ابواب منازل الخائنين والمجرمين في فرنسا في القرن السادس عشر باللون الاصفر. وحكم ديوان التفتيش في اسبانيا على الهراطقة الذين ارتدوا الى الايمان ان يلبسوا صليباً اصفر تكفيراً عن ذنوبهم الاول وحمل شمعة صفراء

ومن اسباب مقت المسيحيين للون الاصفر علاقتهُ بالحبّ الدنس او الزنى. فقد كان لون الحبّ الطاهر اولاً فكان العذارى يلبسن اثواباً صفراء في اعراسهنَّ وجاء في الاباذة وكتاب جيناجوفندا الهندي انهم كانوا يخرشون للعين فراشاً من الكركم (الزعفران). ثم انقلبت الحال في عهد اليونان والرومان فاتخذتهُ الخليلات والزانيات لوناً لملابسهنَّ وصبغن بهِ شعورهنَّ وظلت الحال كذلك الى سنة او اكثر الى عصرنا الحاضر فصار الاصفر رمز الفحشاء في اوربا فلذلك كرههُ المسيحيون. ثم جعل الناس يعبّرون عن كرههم للون الاصفر بابعادهِ عن كلّ جميل والصاقهِ بكل قبيح فقالوا ان الاصفر لون صفراء المرارة والبرقان. وصار الاصفر لون الحسد والسوداء

التاريخ الطبيعي للعواطف الاجتماعية

بحث في الطفولة والتربية

للدكتور الفريد اطر الفسوي

نحن لا نستطيع ان نتصور الحياة النفسية الاّ مقرونة بالحركة والنشاط . لا يمكن ان نعزو للنبات نفساً لانهُ حرم الحركة . وهذا هو الفرق بين الحيوان والنبات . الحيوان يشعر بالالم فهو يفكر ولهُ عواطف . اما النبات فلا يمكن ان يعرف الالم لانهُ لايستطيع ان يتحرك ليتخلص منهُ فالحركة والنفس متلازمان . وحرية الحركة تغذي الحياة النفسية وتفسح في محيطها وتزيد من اختباراتها وتعمقها . واعترافنا بضرورة الحركة للحياة ليكون لها شعور وفكر وقدرة على تحمل الالم والتخلص منهُ يجعلنا بالضرورة نرى ان الحياة النفسية لا تكون ابداً حيث تكون الوحدة والانفراد . فلا بد من مجتمع لتتم فيهِ مظاهر الحياة النفسية

وفي المجتمع لا بد من الكفاح . فاسلحة النفس في هذا الكفاح هي كل وسيلة لضمان الطمأنينة واطراد الحياة . ومن هنا كانت الحياة النفسية تتطلب الاختلاط وان توجد على اكملها في المجتمع . وكل الاسلحة ناقصة في هذا الكفاح حتى النفس . ومعلوم أن قدم الانسان هي يد ناقصة . فهذه القدم للحيوان قد لا تعد سلاحاً ناقصاً ولكنها للانسان خير الاسلحة فعى النفس لا يكون الاّ نسبيًّا

واول ما يكتشف في الاتجاهات النفسية هو الميل الى غاية معيَّنة . وهنا يبدو تأثر الانسان من الوسط . فالغاية هي التي تسيطر على الحياة النفسية . وهذا اكبر ما يجب ان ينتبه لهُ في فهم الطبيعة الانسانية . فاذا عرفنا الغاية التي يتجه اليها الفرد استطعنا أن نفهم معنى العيشة التي يعيشها والوسائل التي يستخدمها كما نعرف الاتجاه الذي يتخذه الحجر عندما نتركه يسقط الى الارض وهذا مع أن النفس الانسانية لا تعرف قانوناً طبيعيًّا . وهنا تبدو مشكلة حرية الارادة . فاذا كانت الحياة لا بد متجهة الى غاية . وكانت الغاية هي التي تسيطر على النفس فاين حرية الارادة . ولكن اذا اراد مصور ان يرسم صورة فاستعداده لهذا العمل يمكن ان يعد اتجاهاً لتحقيق هذه الغاية وعليهِ فكل حركة في هذا السبيل تؤدي حتماً الى صنع الصورة كما لو كان هناك قانون طبيعي يدفع بهِ الى هذه الغاية . ولكن هل توجد ضرورة تقهره على تناول الريشة والبدء في الرسم ؟

وهناك فرق بين الحركة في الطبيعة والحركة في النفس الانسانية . ومسائل حرية الاختيار والارادة تدور على هذه المسألة . ويوجد رأي في هذه الايام يميل الى الاعتقاد بأن الانسان مسلوب الاختيار . صحيح ان الانسان يصبح مقيداً عندما يربط نفسه بغاية معينة وما دامت احوال الحياة من جهة نظام الكون والحياة الحيوانية والانظمة الاجتماعية كثيراً ماتحدد للانسان غايته وتدفعه اليها فلا يكون ثمت شيء من الغرابة ان تبدو الحياة النفسية كما لو كانت خاضعة لقوانين لا تنسخ. ولكن اذا وجد انسان ينكر — مثلاً — علاقته بالمجتمع ويحاول ان يتحرر من كل القيود الاجتماعية ويرفض ان يخضع لاعتبارات الحياة فكل كلام عن القوانين التي لا تنسخ لا معنى له . اذ يوجد قانون جديد هو وليد الغاية الجديدة التي يضعها هذا الانسان امامه ويعمل لتحقيقها . وكذلك قانون الحياة الاجتماعية لا يتناول نفوذه انساناً يجد نفسه في حيرة مستمرة ويحاول أن يخنق في نفسه الشعور بالالفة نحو الذين حوله ولهذا نؤكد ان الحركة في الحياة النفسية انما تكون عن ضرورة محتومة متى كانت الغاية وليدة الضرورة ايضاً وان لا سبيل الى تنقيحها او التساؤل عن قيمتها وصلاحيتها

ومعرفة الغاية ميسورة اذا راقبنا حياة الفرد . وهذا امر له شأن كبير جداً لان العدد الاعظم من الناس لا يعرفون الغاية التي تحركهم في الحياة. ولتوضيح هذه المسألة نتناول مثالاً من المشاهدات الاكلينيكية. جاءنا رجل في الثلاثين من عمره ذو اخلاق عدائية بشكل واضح جداً . كان هذا الرجل ناجحاً في حياته وقد اكتسب اسماً وشهرة. جاءنا في حالة تضعضع شديد وشرع يشكو كراهيته للعمل وانه فقد كل ارادة في الحياة والعمل . قال لنا انه يريد ان يتزوج وقد وقع اختياره على فتاة وخطبها ولكنه ينظر الى المستقبل نظر الحذر والاكتئاب . فهو يشكو غيرة قاتلة ويخشى ان تفسخ الخطبة . وتعليله لاسباب الاكتئاب والغيرة واليأس ليست من الوجاهة بحيث تقوم عذراً له . وما دامت الفتاة التي وقع اختياره عليها لم تأت امراً تلام عليه فقصته جملته في نظرنا موضوعاً للشك . فهو واحد من تلك الطائفة من الناس الذين ينشئون روابط ود مع الغير ولكن بمجرد قيام العلاقة الجديدة تتولد عندهم عواطف عدائية تقضي على هذه الروابط

وهذا ما عرفناه من حياته الماضية : اننا نطلب الى الذين يشكون الينا متاعبهم ان يقصوا علينا اول تذكاراتهم في الطفولة فهذه التذكارات لها قيمة كبيرة. واليك اول تذكارات هذا المريض : يذكر وهو في الرابعة من عمره ان والدته كانت في سوق كبيرة وكان معه اخوه الاصغر . وفي ساعة اشتداد الزحام تحولت الام ورفعت الابن الاكبر وهو صاحب هذه القصة — الى كتفها . ولكنها بعدئذ بقليل تبينت خطأها فأنزلته الى الارض وأخذت

الاصغر . ولما كان الزحام شديداً فقد لاقى صعوبة في اللحاق بأمه وهو ممسك بيدها

وفي هذه القصة تبيين علة هذا الرجل . فهو مصاب بآفة الغيرة ولا يتحمل ان يرى انساناً غيره ينال حظوة او تفضيلاً هو اولى به. فشكلته وهو في الرابعة تعودانيه وهو في الثلاثين. فلما كشفنا له عن الرابطة التي تربط طرفي حياته اظهر دهشته ولكنه عرف ان هناك علاقة اكيدة بين ذلك المؤثر الذي انطبع على نفسه وهو طفل وبين مشكلته وهو رجل

فالعوامل التي تخلق الغاية او تحددها تكون غالباً في ايام الطفولة الاولى . ولو روقب كل طفل مراقبة علمية لتبين من سلوكه اتخاذه اسلوباً فنياً للمشاكل التي تعترضه. ان في نفسه في هذا الطور من العمر تكون اثبت المبادىء . والباحثون الذين يقولون ان صفات الرجل ملحوظة في الطفل لا يبعدون كثيراً عن تقرير الحقيقة . وهذا اساس المذهب الذي يقول ان الاخلاق تورث ولكن فكرة توريث الاخلاق فكرة ضارة بالتربية لانها تغل ايدي المربين وتشل مجهوداتهم لانه اذا كانت الطبيعة هي المسؤولة اولاً وآخراً فأية حيلة للتربية ؟ ! فاذا سادت هذه الفكرة عطلت عمل التربية وقضت عليها

ننتقل الآن الى تقرير العوامل التي تحدد مركز الطفل وسط الجماعة. فالطفل وهو مقبل على المجتمع يواجه حقيقة الحياة وهي انه قد اقبل على عالم يعطي ويأخذ. عالم يتطلب الخضوع لانظمته لكي تكون الحياة ممكنة وسعيدة. فيستدرج على غرائزه الارتباك والحيرة لمواجهته صعوبات لا قبل له بها فينطبع في نفسه في ايامه الاولى ان الذين يحوطونه برعايتهم قادرون على التسلط على الاشياء التي تحيط بهما كثر منه. فالرغبة في القوة تنبت في نفس الطفل في هذا الوقت. وتملكه ارادة قوية ليبسط قوته على الذين حوله — رغم تفوقهم قوة — فيجدهم طوع رغباته وعونه في كل شيء . وهنا يبدو لكل طفل ان لا بد له ان يختار واحدة من اثنتين : اما ان يريد في نفسه القوة لكي يكون كفوءاً للوسط الذي يحوطه او ان يستغل ضعفه لمصلحته . فهذا الاختيار وأثره العميق في كل نفس ملحوظ دائماً في سائر اطوار الحياة

وهنا تتخذ هذه الاختيارات شكلاً معيناً وفي هذا الطور تخلق الانواع الخلقية الثابتة. فاذ يأخذ بعض الاطفال في الاستزادة من القوة يتخذ آخرون ضعفهم اداة لاستغلال القوة والنفوذ. وهؤلاء يعملون على اظهار ضعفهم وعجزهم في اشكال كثيرة . ولا يصعب على اي انسان ان يضع كل طفل يقابله في ناحية من هاتين الطائفتين . وكل طائفة هي وليدة الوسط الذي وجدت فيه

وأساس كل تربية او تعليم هو هذا : ان يعوض الطفل عن عجزه وضعفه الطبيعيين . فالنقص في الانسان هو الحافز له لاظهار صفات التفوق والظهور . ومركز الاطفال الذين يجيئون للعالم وبهم نقص او ضعف في اعضائهم الجسمية اشد صعوبة لان هذا النقص

يزيد في الصعوبات التي تواجههم فيتلوّن نظرهم الى الحياة بلون الكراهية والمقت ويبدو العالم امامهم كأنه موطن عداء دائم . ومما لم تعمل التربية على تصحيح هذه المغالطة التي تنسب الى عقل الطفل في دور تكوينه فانه ينشأ والكراهية والحقد سلاحه في الحياة

والصعوبات التي تواجه الاطفال لا تنشأ عن نقص جسماني فقط بل تنشأ ايضاً عن تحميل الطفل اكثر مما يطيق من الواجبات ومطالبته بأكثر مما يستطيع فتتضاعف مصاعبهُ. فالطفل الذي يريد ان يتزل على حكم الوسط ويلائم بين نفسه وبين ما حوله تفاجئهُ صعوبات لا يستطيع مغالبتها . يحدث هذا غالباً في كل وسط يسوده التشاؤم الذي ينتقل الى الطفل بسهولة

والصعوبات امام الاطفال تختلف فيهم الشعور الاجتماعي او تشوهه هذا الشعور وتفسده. وهذه الصعوبات على نوعين : صعوبات الوسط الطبيعي من جهة الاحوال الاقتصادية او الظروف الاجتماعية والجنسية والعائلية . ثم الصعوبات التي تنشأ عن نقص جسماني . والحضارة الحالية هي حضارة تقوم على التمتع بأعضاء جسمية صحيحة وتامة التكوين فالطفل الذي يتنابه نقص جسماني سيواجه صعوبات الحياة وسيعجز عن تنظيمها

وهذا الصنف من الاطفال هو الذي يبطىء في الكلام عن الوقت المعتاد . او الذي يبطىء في المشي . او المصاب بأية عاهة تعوقه عن الحركة . او من الذين يصابون بالبطء والخمول لان مجموعهم العصبي لم يتم تكوينه . فهذا الصنف من الاطفال يواجه العالم وهو مثقل بعبء من الارزاء الجسمية والنفسية . وهؤلاء الاطفال يكونون ابداً مصابين بالكآبة والحزن. وتنمو فيهم غرائز سوء الظن والشكوك . وهم ينظرون الى الجانب المظلم من الحياة اكثر من نظرهم الى الجانب المنير . فيبالغون في تصوير مصاعبهم . ويشتبكون مع الحياة في حرب مستمرة . ويطالبون الوسط الذي يعيشون فيه باكثر مما يحق لهم لانهم يخطئون في تقدير علاقاتهم بالغير وتكون افكارهم وتصوراتهم وقفاً على انفسهم وبذلك ينشرون حولهم شبكة من الاغلاط وبذلك يزيدون مصاعبهم بدلاً من تخفيفها

ومن هذا القبيل اولئك الذين لا يتمتعون بعطف والديهم الى الحد الواجب التمتع به وهؤلاء يصابون بآفة نفسية خطيرة تموت فيهم عاطفة الحنو والحب ويصعب جداً ان نجعل مثل هؤلاء الاطفال اذا كبروا ان يشعروا بشيء من الشعور الرقيق

وهذه النتيجة عينها يجلبها سخفاء المعلمين . وأهل التربية . والجهلاء من الاهلين الذين يسخرون من كل شعور رقيق . ويحاولون ان يظهروا لاطفالهم ان اظهار شعور الحنو شيء سخيف لا يليق . ابحث عن امثال هؤلاء الاطفال بين الذين وجدوا في وسط سخر منهم وهزأ من طفولتهم . فاذا وجد طفل عومل بسخرية فانهُ يجتهد ان يخفي في

نفسه كل شعور طيب او عاطفة رقيقة . ومثل هذه التربية الوحشية تنزع من نفوس هؤلاء الصغار كل احساس وعاطفة فيزوي الطفل ويأخذ في العزلة عن الناس وبهذا يقطع شيئاً فشيئاً علاقاته بالوسط الذي يعيش فيه. وقد يحدث ان شخصاً في هذا الوسط ينشيء مع الذين نشأوا مثله علاقة ود ومصافاة فسرعان ما تحكم اواصر صداقة متينة جداً. وهذا يعلل ما نجده من بعض الافراد الذين لا يمكن ان تمتد علاقاتهم مع الغير الا الى فرد واحد

والتربية التي تكون مصحوبة بكثير من العطف والحنو الطبيعي تنتج هذه النتائج نفسها — نتائج افساد الشعور وقتل العاطفة بالسخرية منها . فالطفل المدلل — كالطفل المحروم من العطف — كلاهما يجاهد أمام صعوبات متماثلة . ينشأ الطفل وتنشأ معهُ عواطف حب مفرط نحو شخص او اشخاص فيتكوَّن الاعتقاد ان الابتعاد عن هذا الوسط غير ممكن وبذلك يفقد مثل هذا الشخص التقدير الصحيح للاشياء والحوادث

ومما لا شك فيه ان مستقبل مثل هذا الطفل عرضة للتلف بسبب هذا التدريب السيء لان الحياة في اذهان هؤلاء الاطفال لا يكون لها قيمة الا في النزاع للفوز بعطف الآخرين اما بوسائل شريفة او وسائل . والطفل لا يتورع عن استخدام كل وسيلة في هذا السبيل . بل ان هذا الطفل يعمد الى دفع اخوته الى ارتكاب اعمال سيئة ولا غرض له الا الظهور امام والديه بمظهر الطيب المستقيم لتتم الموازنة ويظفر بالعطف الذي ينشده ، بل هو يلجأ الى الكسل او الى ارتكاب الاعمال السيئة ولا غرض له الا ان يمثل والداهُ لامره لانهُ يجد في هذا الاهتمام ارضاء لعواطفه

ومن طراز الاطفال المدللين نجد الاطفال الذين جاءوا الدنيا ووجدوا كل صعوبة قد ازيلت امامهم فهؤلاء ينشأون ولا قدرة لهم على مشاركة احد في تحمل مسؤولية او مواجهة صعوبة لانهم حرموا فرصة مواجهة الصعوبات والتغلب عليها . فمتى تركوا عائلاتهم حيثما كانوا يلاقون معاملة خاصة الى حيث يقابلون العالم ويتعرضون لتجارب الحياة فانهم حتماً يصابون بالفشل لانهم لا يجدون الاشخاص الذين يرفعون عنهم التبعات التي اعفوا منها في صغرهم . والعزلة ايضاً تكون من نصيب الاطفال الذين ينشأون نشأة شديدة التدقيق مفرطة في تكاليفها . فالحياة لا تكون ابداً طيبة لهم لانهم ينتظرون الصعوبات في كل جهة فإما انهم يتقبلون كل صعوبات الحياة مهما كانت بشيء من التسليم والسكون او يلاقونها ملاقاة ابطال الالعاب الرياضية الذين يندفعون الى تحقيق اغراضهم بكل ما اوتوا من قوة وعدم مبالاة

والصفة الغالبة على كل هؤلاء الاطفال هي انهم يضعون انفسهم موضع الاهتمام قبل كل شيء آخر في الحياة . فهم مشغولون بانفسهم ومن هنا تفسد فيهم غرائز تقدير العلاقات الاجتماعية تقديراً صادقاً

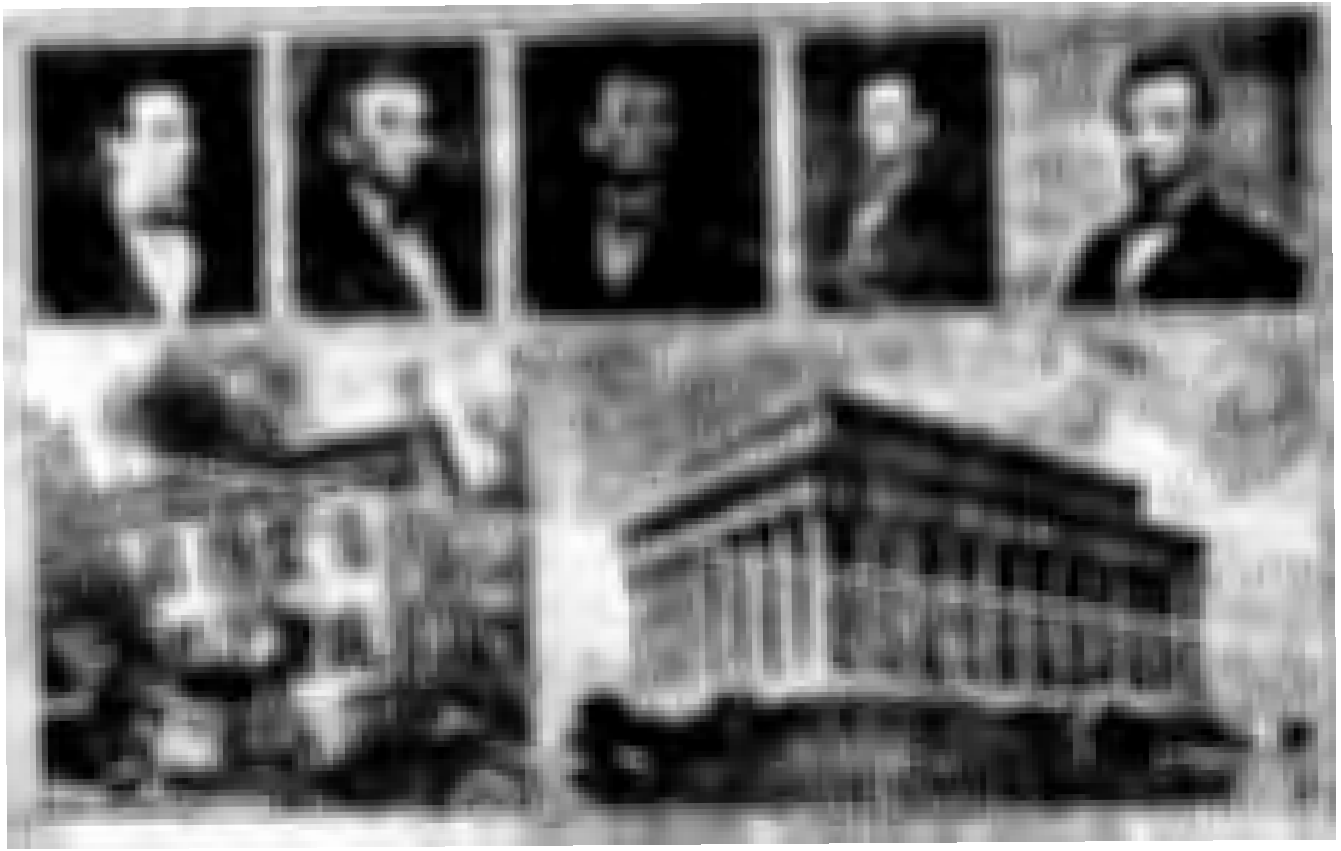

الصف الاعلى : خمس صور الرئيس لنكن . الصف الاسفل الى اليسار صورة المنزل الذي كان مسقط رأسه . والى اليمين صورة التذكار الرائع الذي بني لهُ في واشنطن لتخليد ذكره

مقتطف اكتوبر ١٩٣٠ أمام الصفحة ٢٨١

مجمل من ترجمة الرئيس لنكن

ولمحة من شخصيته

كما شاهدناها في تذكارهِ الرائع في العاصمة الاميركية [1]

سُئل المستر ولز الكاتب الانكليزي الاشهر ان يسمي الرجال الستة الذي يحسبهم اعظم رجال التاريخ فكان لنكن احدهم. قال: ان في لنكن اكثر من اي اميركي آخر تتجسم المزايا وتتجلى الصفات التي تمتاز بها الامة الاميركية على غيرها من الامم. انهُ يمثل المساواة في الفرص التي تتاح في تلك البلاد لابناء الامة جميعهم على السواء. وارتقاؤهُ من كوخ مبني بجذوع الاشجار الى البيت الابيض يؤيد حق كل طفل مهما يكن حقير المولد في الوصول بمزيتهِ وكفاءتهِ الى ارقى المناصب. انسذاجتهُ وصبرهُ وتفاؤلهُ الناجم عن اعتقادهِ بسيادة الحق والسايتهُ النبيلة في اقوالهِ وأعمالهِ اعظم ما تستطيع ان تهبهُ اميركا للعمران وهو هبة عظيمة جداً.

نشأة لنكن

كان ابو ابرهيم لنكن — الرئيس السادس عشر من رؤساء الولايات المتحدة الاميركية — اميًّا يعمل آناً بالزراعة وآناً بالنجارة. ومات امهُ وهو في التاسعة من عمرهِ فتزوج ابوهُ ثانية في السنة التالية فكان لزوجة ابيهِ اثر كبير في نفسهِ. لانها كانت تحثهُ على طلب المعارف. وكانت الولاية التي حطَّ فيها ابوهُ عصا الترحال لا تزال قليلة السكان قليلة المدارس ضئيلة وسائل العمران فنشأ فيها نشأة تكاد تكون بدوية. فكان ينام في خيمة من اغصان الاشجار او كوخ من جذوعها وكان يحرث الارض او يقطع الاشجار ويسير في ركاب ابيهِ الذي كان قليل الثبت في مكان كثير التنقل والارتحال. ولما بلغ الحادية

(١) اتخذت وزارة المعارف السورية في مصر باختيارها لدراسة في المدارس الثانوية الرواية التمثيلية التي وضعها الاديب الانكليزي المعاصر جون درنكوتر لتصوير خلق الرئيس لنكن واعظم اعماله. لان في سيرة هذا الرجل يتمثل كثير من الصفات العالية التي تحتاج اليها في تربيتنا السياسية والقومية. فقدمنا هذا الفصل توطئة لدرسها

والعشرين من العمر لم يكن يعرف شيئاً اكثر من قواعد القراءة والكتابة البسيطة. ولكنهُ كان قد طالع الكتاب المقدس. وكتاب سياحة المسيحي . وحكايات ايسوب . ورواية روبنصن كروزو . وسيرة وشنطن وترجمة فرنكلن بقلمهِ

يؤخذ من ذلك انهُ نشأ عصاميًّا لم يعتمد على علم حصلهُ او مال ورثهُ او جاهٍ يفاخر بهِ . وزاول التجارة حيناً تعلق في اثنائها على المطالعة والدرس . وسافر في صباه في مهمة الى مدينة نيواورليانس اكبر مدن الولايات الجنوبية فشاهد مساوىء الرق عن كثب فقال عبارتهُ المأثورة : اذا اتيح لي ان اضرب الرق كانت ضربتي قاضية

ثم انشأ يدرس القانون باشارة احد اصدقائهِ فدخل معترك السياسة وجعل يتقلب في المجالس التشريعية في عاصمة ولايتهِ ثم في الكنغرس بوشنطن يوم لهُ ويوم عليهِ ولكنهُ اشتهر فيهِ بولائهِ لحزبهِ واستقلالهِ في الرأي وباقتراحهِ الغاء الرق في مقاطعة كولومبيا حيث عاصمة الولايات المتحدة . ولكن اقتراحهُ لم ينظر فيهِ لضعف مكانتهِ في مجلس الامة حينئذٍ . وعُرض عليهِ بُعيْد ذلك ان يكون حاكماً لولاية اوريغون وهي من الولايات الغربية القليلة السكان فعارضت زوجتهُ في ذلك وحملتهُ على الرفض

وظل يمارس المحاماة بعد ذلك مدة خمس سنوات فجمع شيئاً من الثروة وظهر على الاقران في المرافعة امام المحكمين لانهُ كان ذا نظر ثاقب في ادراك اصول كل قضية وبصر دقيق على المبدإ الذي وصفهُ بقولهِ: اذا استطعت ان اجرّد هذه القضية من كل ملابساتها المعقدة وابسطها امام المحكمين جلية واضحة فقد ربحتها . وكان امياً في تأدية عملهِ الى حدّ التعسب . قيل انهُ علم مرة ان احد موكليهِ خدعهُ فتنازل عن القضية في اثناء المرافعة وغادر دار المحكمة

واذ هو خالص معترك الحياة اليومية دعاهُ صوت السياسة الى الميدان فلباهُ . وكان اشتغالهُ في المحاماة قد صقل فيهِ ملكتي الخطابة والمحاورة فلما ظهر خصمهُ ستيفن دوغلس ظهيراً لحق كل ولاية بتقرير شرائعها فيما يتعلق برق الزنوج وتحريرهم حُثَّ لنكن للردّ عليهِ . ففعل ذلك في خطبة من اشهر خطبهِ اخلاصاً وبلاغة وقوة عارضة .. فدهش الناس اذ شاهدوا هذه القوة وهذا الاخلاص يترددان في كلام هذا الرجل الريّف ويطلان من احداقهِ ! وذاع اسمهُ في طول البلاد وعرضها ورأت فيهِ الولايات الشرقية التي كانت لا تعرفهُ مرشحاً للرآسة . فتحركت بذلك مطامعهُ السياسية فرشح نفسهُ لمجلس الشيوخ اولاً فقبلهُ الجمهوريون مرشحاً عنهم ولكن ثبت في آخر لحظة ان عدد مؤيديهِ منهم لم يكن كافياً لانتخابهِ فتحولوا باشارتهِ الى تأييد احد الديمقراطيين المتشفين على الحزب الديمقراطي المعارض

لسياسة دوغلس فيما يتعلق بالرق ففاز بتأييدهم في الانتخاب

وتلا ذلك نزاع سياسي بين لنكن ودوغلس دام بضع سنوات انتهى بالمناظرات المشهورة التي وقعت بينهما سنة ١٨٥٨ لما رشح كلاهما لمجلس الشيوخ . فلما قبل لنكن ان يرشح عن الحزب الجمهوري لمجلس الشيوخ خطب خطبة افتتحها بقوله المشهور : « ان بيتاً منقسماً على نفسه لا يثبت وانا اعتقد ان هذه الحكومة لا تستطيع ان تدوم نصفها عبدٌ ونصفها حرٌّ »

على هذا القول بنى محاوراته مع دوغلس . ففاز هذا بالانتخاب ولكن لنكن خرج منها وهو زعيمٌ لحزبه بعدما حمل دوغلس بتوجيه الاسئلة البارعة اليه على الوقوف موقفاً ضيقٌ الحزب الديمقراطي عليه الى شقين وهذا مكن لنكن من الفوز في الانتخاب الرآسة

***

لما عزم الزعماء الاميركيون ان يثوروا على انكلترا في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر بحثوا عن اقدس الحقوق الانسانية ورفعوا علمهم عليها . ففي « بيان الاستقلال » الذي اذاعوهُ صرّحوا ان الحرية حق من حقوق البشر الاساسية . وان قوة الحكومة مستمدة من قبول المحكومين . فسوغوا بذلك ثورتهم على الانكليز . فلما دان لهم النصر لسوا هذه المبادىء النبيلة وكبلوا فريقاً من البشر بالاغلال . كان الجشع والانانية رائد الحزبين السياسيين الكبيرين — حزب الهوج وحزب الديمقراطيين — كلاهما كان يؤيد الرق ويحميه . وظلت الحال كذلك نحواً من ثلاثة ارباع القرن

اخيراً افل حزب الهوج . وقام على انقاضه حزب الجمهوريين . وكان هذا الحزب الجديد معارضاً لنشر الرق في غير الولايات التي كان منتشراً فيها . اما اعضاء الحزب الديمقراطي في الجنوب فكانوا يرمون الى تعميم الرق في كل البلاد واعضاؤه في الشمال كانوا يرومون ان يترك لكل ولاية حق تقرير شرائعها فيما يتعلق بذلك

اما لنكن فكان يمقت الرق ويحسبهُ من اعظم الشرور . ولكنهُ كان يرى ان يسير السعي لابادته سيراً دستوريًّا . وقد بسط الحالة في رواية دونكواثر بهذه الكلمات مخاطباً بعض مندوبي الجنوب

« كثيرون من الناس في هذه البلاد يرغبون في ابادة الرق . وكثيرون لا يرغبون . لا اتعرض هنا لمساوىء الرق ولا لحسناته . ولكن كل انسان سواء كان يرغب في منعه او لا يرغب ، يعلم ان منعهُ قد تمَّ . فماذا تريد الولايات الجنوبية ان تنشقَّ ؟ لانها تعلم ان منع الرق قد تمَّ وهي تريد ان تجتنب ذلك بل انها تطلب اكثر من ذلك . انها تطلب ان تنشر الرق . كلنا ملومون . . . . ولكننا نحن مستعدون ان نصلح طرائقنا . . . وانتم لا تريدون . وهكذا تنشقون لتسنوا شرائعكم . ولكنكم لم تكونوا مستعدين للمقاومة . . . . . .

وقال لخاطبيه لما عرضوا عليه ان يكون مرشح الجمهوريين للرآسة :

اذا أصرّ الجنوب على نشر الرق وطلب الاعتراف بحقه في الانشقاق . . . وكان الحكم في يدي . عن ذلك مقاومةً لا تردُّ . وعماً اذا اقتضى الامر . . . »

هذا كان الموقف قبل الانتخاب للرآسة سنة ١٨٦٠

وكان الفوز حليف لنكن في الانتخابات فجاهر في خطبة الرآسة بان الوحدة الاميركية لا تحلُّ وان كلَّ عمل غايتهُ فصم عراها باطل وصرَّح بعزم حكومته على الدفاع عن حقوقها وسلطتها ولو بالقوة . ونفى القول بأنهُ ينوي مهاجمة الولايات الجنوبية والتحكم بها . قال في ختام تلك الخطبة : « اكاد احجم عن اختتام الخطاب . نحن لسنا اعداء بل اصدقاء . بل يجب ان لا نكون اعداء . فاذا كان الاندفاع قد وتّر الروابط بيننا فيجب ان لا يقطعها . ان حبال الذاكرة الخفية ، الممتدة من كل ميدان حربي وكل مدفن وطني الى كل قلب حي وكل موقد في طول هذه البلاد وعرضها ، لابدَّ ان تقوّي جوقة الملائكة الحامية بالوحدة متى لمستها من طبائعنا ملائكة الخير » . ثم حاول ان يحافظ على الوحدة من غير ان يلجأ الى القتال فلم يقابلهُ زعماء الجنوب بالمثل وألفوا الجمهورية وانتخبوا لها رئيساً فثارت الحرب الاهلية التي دامت نحو اربع سنوات وكان الفوز فيها للشمال اي لحزبه . واقترح الكنغرس سنة ١٨٦٥ التعديل الثالث عشر للدستور الاميركي الاساسي بمقتضاه كثيرة من جانب الرئيس وهذا التعديل يقضي بتحرير العبيد . وأعيد انتخاب لنكن سنة ١٨٦٤ وألقى خطاب الرآسة الثاني الذي ختمهُ بقوله : « نحن لا نضمر ضغينة ولا حقداً لاحد . ولكن بصلابة في الحق كما نراهُ بارشاد الله ، لنسع في اكمال العمل الذي بدأناهُ . لنضمد جروح هذه الامة . لنعن بمن خاض غمار المعارك او بأرملته او يتيمه . لنعمل كل ما يمهد لنا عقد سلم دائم بيننا ومع كل الامم » . ولكن احد المتهوسين اغتالهُ في ١٤ ابريل سنة ١٨٦٥ وهو في احد مسارح وشنطن فمات صباح اليوم التالي

* * *

من غرائب الاقدار ان تهيء الطبيعة الاسباب لولادة ولدين في يوم واحد يكون لهما اثر خالد مماثل في دائرتين مختلفتين من دوائر العمران . ففي ١٢ فبراير ١٨٠٩ ولد طفلان — الاول في حراج ولاية كنتكي تحيط به مصاعب الفاقة وشظف العيش والمشاق التي يتعرض لها الروّاد . وولد الآخر في انكلترا في مهد من الثروة والثقافة . تلقى احدهما علومهُ في جامعة الطبيعة والآخر في جامعة كمبردج

اسم الاول منهما مقرون بتحرير الملايين من البشر المسترقين المكبلين ، وبالمحافظة

على وحدة امة عظيمة من أن تعبث بها يد التفرقة والانحلال . هذا هو لنكن

واسم الثاني مقرون بتكسير السلاسل العقلية التي تقيدنا بها الخرافات والاوهام ويرفع مشعلاً من النور في عالم العقل — هذا هو تشارلس داروين . لقد صدق من قال ان اجل ما يعمله الانسان انما هو تحطيم السلاسل التي يتقيَّد بها البشر وتبديد اوهام النفوس

نرى في لنكن

ترى البناء مترسماً كالليث فوق اكمة يشرف من الجهة الواحدة على نهر البوتوماك وهو الحد الفاصل بين الشمال والجنوب اللذين قضى لنكن في سبيل المحافظة على وحدتهما. ويطل من الجهة المقابلة على بناء الكابتول وقد ارتفعت قبتهُ الفخمة فوق مباني العاصمة رامزة الى الوحدة التي فداها بدمه . وتلمح خطوطهُ الرخامية المنسجمة من مدافن ارلنتون حيث تثوي رفات الابطال الذين قتلوا في الحرب الاهلية لا فرق بين قتلى الشمال وقتلى الجنوب فتمثل استحكام روابط المودة والاخاء بين الفريقين

وهو من اضخم المباني الاميركية وأبدعها فنًّا واتقاناً شكلهُ مربع مستطيل مبنيٌّ برخام ناصع البياض. في خارجه رواق معمَّد طولهُ ١٨٨ قدماً وعرضهُ ١١٨ قدماً فيه ٣٦ عموداً مضلَّعاً على النسق الدوري علو كلٍّ منها ٤٤ قدماً وقطرهُ عند قاعدته ٧ أقدام وخمس بوصات وهذه الاعمدة ترمز الى الولايات الست والثلاثين التي كانت الولايات المتحدة تتألف منها في ايام لنكن. وفوقها ثمان واربعون لوحاً من الرخام تفصل بينها اكاليل منقوشة وقد حفر في كل منها اسم ولاية من الولايات الثاني والاربعين التي يتألف منها الاتحاد الاميركي الآن. تنظر من الداخل خلال الاعمدة الى جهة الكابتول فتلقي مرجاً اخضر تتوسطهُ بركة ماء مربعة مستطيلة كأنها مرآة صافية الاديم وتعبر عند طرفها الثاني نصب وشنطون وهو بناء منطاد في شكل مسلة مبنية من قطع الرخام علوها ٥٥٥ قدماً . فكأنَّ بناة هذين الاثرين ارادوا ان يجمعوا في حيِّز واحد ذكرى الرجل الذي اوجد الوحدة الاميركية وذكرى الرجل الذي حفظها من أن تعبث بها يد التفرقة والانحلال

قال هنري باكون المهندس المتفنن الذي وضع رسوم هذا التذكار « مذ علمت بالنية على اقامة تذكار للنكن شعرت بانهُ يجب ان يشتمل على امور اربعة . اولاً تمثال لهُ. وثانياً تذكار لخطبته في جتسبرج[1] . وثالثاً تذكار لخطبة رآسته الثانية . ورابعاً رمز لوحدة

(١) جتسبرج ميدان من ميادين الحرب الاهلية الاميركية دارت فيه معركة دامية انتصرت فيها جنود الشمال . وبعد انقضاء ستة اشهر على تلك المعركة ألقيت فيها خطابة تذكارية ارتجل فيها لنكن خطبة موجزة تعد آية في البلاغة ونبل الساطة وهي المقصودة هنا

الامة الاميركية التي حارب ومات في سبيل حفظها سليمة »

فالوحدة تجدها ممثلة في الاعمدة الستة والثلاثين والالواح الثانية والاربعين التي فوقها كما تقدم . اما الامور الثلاثة الباقية فتجدها ممثلة في الغرفة الوسطى والغرفتين الى جانبيها

طول الغرفة الوسطى ٧٠ قدماً وعرضها ٦٠ قدماً وعلوها ٦٠ قدماً وقد اقيم في صدرها تمثال كبير الحجم للرئيس لنكن من صنع المستر دانيال تشستر فرنش وجههُ متجهٌ الى المدخل وعيناهُ شاخصتان الى الكابتول . اما ملامح الوجه وتقاطيع الجسم في هذا التمثال فهي ملامح لنكن الاصلي وتقاطيعهُ — لنكن الطويل القامة، المحني الظهر، ذو وجهٍ خدّدتهُ عواصف الحياة واعباؤها ولكن معاني الحنو والكآبة تفيض من قسماته وتظلُّ من احداقه . تنظر اليه فترى فيه لنكن خطيب جتسبرج يفوهُ بكلام كلهُ دعة وبلاغة وبل عطفاً على الذين قضوا في ذلك الميدان متعهداً للاجيال القادمة بالنيابة عن ابناء امته الاحياء ان الذين قضوا هناك لم يكن موتهم عبثاً وان امةً انجبتهم ليموتوا تلك الميتة الشريفة لن تبيد من الارض . هذا لنكن الذي خاض حرباً وراء غاية عمرانية شريفة وعدَّتهُ فيها قوة الايمان والثقة بفوز الحق وشدة الرغبة في ابادة شرٍّ عمرانيٍّ ورسوخ العزم على متابعة النضال وبعد التضحيات لوجوب المحافظة على الوحدة الاميركية . انت ترى في نظرته ما يدلُّك على انهُ شاعر بقوة الحق الذي يؤيدهُ وعلى الايمان بان الله سيمنحهُ القوة لاحقاقه . وقد نقش على الجدار وراء التمثال هذه العبارة « ان ذكرى ابرهيم لنكن مقدسة في هذا الهيكل كما هي مقدسة في قلوب هذه الامة التي حفظ لها وحدتها » .

وعلى جانبي الغرفة الوسطى صفان من الاعمدة على الطراز الايوني علوّ كلٍّ منها ٥٠ قدماً ووراء الصفين غرفتان صغيرتان نقش على جدار احداهما خطبة لنكن في جتسبرج وعلى جدار الاخرى خطبة رآسه الثانية

وفوق خطبة جتسبرج صورة رمزية مؤلفة من تصوير جول جيران . فالصورة الوسطى تمثل حرية وملاك يحق بيها للعبد فتفك القيود التي قيدت بها ايديهم وارجلهم . والصورة التي الى الشمال تمثل فتاة حاملة سيف العدل وفي حضنها لفة ترمز الى القانون ويسند هذه الفتاة من اليمين ومن اليسار شخصان رافعان في ايديهما مصباح العقل وتحت ارجلهما آلهة تفسّر القانون . اما الصورة التي الى اليمين فتمثل الخلود : ترى في وسطها فتاة تتوّج بتاج الخلود وحولها الايمان والرجاء والمحبة وعلى جانبيها آنية ملاى بالزيت والخمر رمزاً الى الحياة الابدية

وفوق خطبة الرآسة الثانية في الغرفة المقابلة صورة مثلثة تمثل الوحدة والاخوة

والمحبة وهي لجبران ايضاً . ترى في الصورة الوسطى ملاك الحق يضمُّ يدين رمزاً الى اتحاد الولايات الشمالية والولايات الجنوبية بعد الحرب الاهلية ويظلُّ بجناحيه رموزاً للفنون التي تزهو في اليوم وهي التصوير والحفر والبناء والموسيقى والآداب والفلسفة والكيمياء . ووراء رمز الموسيقى شبح يمثل المستقبل . والى اليسار صورة تمثل الاخوة في شكل عائلة مؤلفة من اب وام وولد وقد مسك احدهم يد الآخر وقربهم اثمار الارض وتاجها . والى اليمين رمز للمحبة في شكل فتاة توزع ماء الحياة على المشوهين والعمي وتعتني باليتامى والفقراء

وسقف البناء من الرخام بعد ان عولج بالشمع حتى كاد يصير شفافاً كالالابستر فينفذ منهُ قليل من النور الملطف ويقع على التمثال والصور التي على الجدران فيراها الناظر في بديع انسجامها آية من الآيات

يبدىء في صنع هذا التذكار سنة ١٩١١ ولم يتم بناؤه الا سنة ١٩٢١ وقد انفق عليه نحو سبعمائة الف جنيه . وتسلمتهُ الحكومة الاميركية في ٣ مايو سنة ١٩٢٢ سلمهُ المستر تافت الرئيس السابق للمستر هاردنغ الرئيس حينئذٍ . وهاك فقرة مما قاله الرئيس هاردنغ في خطبته:

« لقد كان عمله (اي عمل لنكن) كبيراً جداً حتى لايختلف اثنان في انهُ كان اعظم رؤسائنا . تسلم مقاليد الحكم لما كان اعداء الجمهورية كثيرين في الخارج وفي الداخل يهددون وحدتها وسلامتها فانتخب بعض مستشاريه من خصومه السياسيين وأوقظ مافيهم من شعور وطني متعامياً عن دسائسهم . وتسلط عليهم بتفوق عقله ورجاحة فكره وسمو اخلاقه وقوة عزمه وجعلهم يعاونونهُ في اتمام العمل العظيم الذي تصدى له . وكان في كل ذلك مثالاً للطف واللطف . ترى على جبهته حزناً والماً يبان على غايته الآلمية وقوة عزمه على تحقيقها »

***

اذا فاخرت الهند بتاجها واليونان باكروبليسها والشرق الادنى بمساجده ومختلف البلدان الاوربية بكنائسها وكاتدرائياتها الفخمة فلا شك ان اميركا تحق لها المفاخرة بهذا التذكار لان البساطة الفنية التي تبدو في نظامه الرائع وسمو المبادىء والذكريات التي يثيرها في نفوس الزائرين تجعله على حد ما قالهُ شوقي في الاهرام

(لهُ) كالمعابد روعة قدسيةٌ (وعليه) روحانية العبّاد

ان روحانية اميركا كما تظهر فيما يبديه الشعب الاميركي من العطف على كل مشروع خيري وعمراني مفيد وكما يستشفُّها الباحث في بساطة تقاليدها وسمو مبادئها الديمقراطية تراها مجسمة في حياة لنكن مرفرفة فوق تذكاره المهيب

فؤاد صروف

الصيف في باريس

عادَ لي الشعرُ عندما عُدتُ للحبِّ باكيا
تبتُ من لهوِيَ الاثـ ـيمِ ومن سوءِ ما بيا

* * *

أقبلَ الصيفُ والهوى قامَ في القومِ داعيا
ملتُ عن قلبيَ الذي شاخَ وسنانَ غاويا
ما اجابَ الدعاءَ بل همَّ بالضحكِ هازيا
وتلمَّستُ قلبي الطفـ ـلَ فافتادَ صافيا
مثلما كانَ يومَ كنـ ـتُ على الطهرِ باقيا
جاءني خافقاً من الشو قِ جذلانَ شاديا
قلقَ الجنبِ كالصبيِّ اذا هبَّ لاهيا
باسماً للحياةِ يبـ ـسطُ فيها الأمانيا
كلَّما مسَّهُ الأسى انـ ـقضَ واللهُ راضيا
ذاقَ في الكربِ لذةً وانتشى منهُ داميا

باريس ادوار فارس

علوم الاوائل والاواخر

استاذ اميركي ينصف الشرقيين

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

يسرنا ان يكون للمصريين معالجة تؤونا القومية جولات في ميادين المباحث العلمية تدل على رسوخ قدمهم فيها وتمشيهم على قواعدها كما يليق من ترامة هذه القالة وهذا احد البراهين على ان القضايا الوطنية في الشرق لا تنطبق عنها تهمة بعض الغربيين بانها حركات اندفاعية موقتة بل هي اصلاح اجتماعي يستند الى اضبط العلوم وادق القواعد

يدخل المتطبب الروحاني اصبعاً من اصابع رجل المريض « الممسوس » في القارورة ويصيح في وجه الجني الذي ســه مع ابداء الاشارات الحاذقة وعمل الحركات المطابقة « اخرج ، اخرج ، اخرج » لاعتقاده ان الجنون مرض يدل عليه اصل اشتقاق هذه الكلمة وهو دخول الجن في الجسم . وقد يرى المريض المخبول — والمتطبب المخلص معاً — دخاناً او بخاراً متصاعداً من الاصبع ليقيم في القارورة

ان بيئة مثل هذه البيئة تعلل ظواهر المرض « بالمس » او دخول الجان في الاجسام فتعالج المرض على هذا الاساس من الامر والنهي بواسطة التعاويذ والرقيات وهي بيئة لها قائمة بعلوم خاصة ومن امهات هذه العلوم علم الطب الروحاني

ويشاهد الطبيب الجراثيمي الحديث غشاء الدفتيريا (الخانوق) في حلق المريض فيحقنه بالمصل الخاص وهو كالترياق يقاوم السموم المنتشرة من جرثومة هذا الغشاء فالطبيب بهذا المعنى يأمر هذه السموم بالخروج ولكن لا بالقول بل بالعمل ويرى بالعين المجردة وبالمجهر زوال الغشاء وما تلبث فيه من الجراثيم ويشاهد زوال الاعراض

ان بيئة مثل هذه البيئة تعلل ظواهر المرض الدفتيري بسموم تفرزها الجراثيم المتراكمة في الحلق وتعالج المرضى على هذا الاساس بمقاومة السموم واخراج الجراثيم من اوكارها وهي ايضاً لها قائمة بعلوم خاصة ومن امهات هذه العلوم علم الجراثيم

غاية البيئتين واحدة هي الحصول على الراحة والسعادة بانقاذ الجسم العليل من المرض ولكن الواسطة مختلفة جد الاختلاف لتباين النظريتين . وقد يرى الناقد الرأيين مطبقين في حجرة واحدة : يرى من الجهة الواحدة الشموع وصور القديسين وكتب الرقيات والتعاويذ على رأس المريض المخنوق لدفع الشر عنه ويرى من الجهة الاخرى حقنة الطبيب

وأنابيب المصل وصبغة اليود على المائدة بجانبه لتطهير جسمه من الادران ايضاً . يعني ان توت عنخ آمون وبقراط وابن سينا وفرخو وكوخ وباستور اجتمعوا معاً للاستشارة الطبية في حجرة واحدة ! أما كون الوفيات في الطريقة الاولى يناهز الخمسين في المائة وفي الثانية الثمانية في المائة فليس له كبير شأن في تدبير الذهنية العامة . ذلك لان الميتة[1] صفة ملازمة للمجتمع . ولا اصعب على النفس من التغير خصوصاً في العقائد الراسخة والعادات المتوارثة

***

وهكذا نرى لكل عصر من العصور التي لها تاريخ مدون قائمة بعلوم تختلف عن قائمة العصر الآخر ولم ينشأ هذا الاختلاف عن تباين في الغاية بل لنشأ غالباً عن نظر الى الواسطة المؤدية الى تلك الغاية . ومعنى ذلك ان الناس في جميع ادوارهم جعلوا السعادة هدفهم ودونوا من العلوم ما ظنوا انه يوصلهم الى هذه السعادة . فالسعادة التي ينشدها الهندوسيون مثلاً هي التفاني في (براهما) والنوم الابدي بعد المرور في ادوار تتجاوز عشرات الملايين من السنين والواسطة الى تحقيق ذلك هي في كتاب (الفيدا) وهو كتاب « العلم » . لا جرم ان تكون علوم الهندوس المتقدمين هي علوم (الفدا) من ضبط لحروفه ولفظ لالفاظه وتجويد لآياته وصرف لكلماته ونحو لجمله وبيان لما تضمن من المعاني

والسعادة التي حرص عليها الناس اجمالاً قبل العصر المادي الحاضر هي السعادة الاخروية فكان حال اليهود والنصارى بهذا المعنى مثل حال المسلمين . فلا عجب اذا نرى قائمة العلوم في الغرب قبل « النهضة » مشابهة لقائمة العلوم في الشرق وكانت كلمة « علم » في الصدر الاول من تاريخنا تطلق على التفقه في الدين . وكانت فردوس الآخرة — والفردوس في كتاب (الزند أفستا) هي الحظيرة او الحوش — في نظر اتباع هذه الاديان الثلاثة الكبرى الممتازة بخصائصها المعنوية الراسخة نسخة طبق الاصل عن جنة عدن التي خرج منها آدم وحواء وعيونها رامقة الى قصورها وأنهارها وثمارها وأشجارها . فهم اذا ما دونوا العلم او طلبوه فانما فعلوا ذلك للوصول الى هذه الجنة . والعلم كل العلم هو الذي ينقل اقدامهم على صراطها ويفتح لهم ابوابها

وبتحول الذهن البشري عن الاشتغال بالعلوم الكلامية الى العلوم الحسية وانتقاله من مباحث (انسلم) و (البرتوس ماغنوس) و (اكوناس) و (بطرس لومبارد) و (دونس سكوتوس) وغيرهم من علماء القرون الوسطى الذين جعلوا قاعدتهم الذهنية « الايمان

(١) الميتة في كتب اللغة هي الحالة التي يستعد عليها الشيء وهي خير كلمة نترجم بها كلمة guertia المستعملة في العلوم الطبيعية والاجتماعية عند الافرنج وقد اطلق عليها الترك كلمة « عطالة »

مقدَّم على البرهان » والذين جهدوا الجهود ووجدوا المساعي لتأييد عقائد الكنيسة باقامة الحجج المنطقية الارسطوطاليسية على صحتها وملأوا الكتب في اوربا بنظرية « الحقيقي » و « الامعي » وبالبحث عن عدد الملائكة الذين يمكن ان يرقصوا على رأس الابرة الواحدة او بالسؤال عن الحمار هل يتحرك اذا وضع على مسافة واحدة بين حزمتين من الحشيش ! — ان تحوُّل الذهن البشري عن مثل هذه « العلوم » الى فلسفة القرون الحاضرة الحسية غيَّر قائمة العلوم فصارت مادية تقبل التطبيق وصار الناس بالاجمال — الا حيث بقيت العقائد المتوارثة مستولية — اكثر اهتماماً « بشيلا » يبنونها على صفة التيل مثلاً منهم بقصر يشيدونه على شاطىء الكوثر . ولعل هذا التحف العظيم بالسرعة الخارقة الذي امتاز به العصر الحاضر حبب الى اهله البيع بالنقد كما يقول عمر الخيام على البيع بالنسيئة فجعل مثلهم الاعلى « بيضة اليوم ولا دجاجة الغد »

***

ولأوغوست كونت الاجتماعي الفرنسوي من اهل القرن التاسع عشر رجح الفضل في ترتيب العلوم الحاضرة وتبويبها ووضعها في قائمة واحدة متناسبة ملتحمة وقد قبل هذه القائمة وقال بترتيبها المستر هربرت سبنسر وغيره من الاعلام مع تعديل طفيف ادخل عليها على ان عدداً عديداً من النقاد حملوا عليها حملة منكرة وذلك لانهم لم يلتفتوا الى القاعدة الاساسية التي تمسك بها (كونت) من اقتصاره في ترتيب العلم على تلك الملاحظات والمعلومات الحسية التي يمكن اثباتها بالتطبيق من جهة وعلى اعتباره العلم الواحد مجموعة دساتير وقواعد كلية مستخرجة من الظواهر المحسوسة المتعلقة بهذا العلم من جهة اخرى

ويخرج (كونت) من قائمة العلوم جميع تلك المباحث الفلسفية المتعلقة بما وراء الطبيعة وما اليها من استقصاء الاسباب النهائية التي لا تحدها العقول كما يفعل بعض الذين ضربوا بينهم وبين الطبيعة حاجزاً وانصرفوا بكليتهم الى التخيلات النفسانية من غير وازع علمي يشرف على استقرائهم واستنتاجهم . وقد اطلعنا عليهم في بعض الدروس التي القيناها في ديار الشام اسم « فلاسفة المقاعد » لانهم يحاولون كشف المجهولات وحل معضلة الكائنات بمجرد فكرة تمر لهم او خاطر يمر على بالهم وهم فوق المقاعد جالسون او على الاراائك متكئون . ويتعذر على اي باحث في عصرنا هذا ان يلفت نظر رجال العلم الى مباحثه مهما كانت خطيرة ما لم يؤيدها بالتجارب ويقم عليها الحجة بالتطبيق ، حتى ان علم النفس وهو من الاساس علم مجرد متعلق بظواهر الوعي والحس وغير ذلك من الشؤون المعنوية الداخلية قد اصبح من العلوم التي تدرس في المختبر وتعمل فيها التجارب على الحيوان والانسان

والى القارىء القائمة المتسلسلة الملتحمة التي وضعها (اوغوست كونت) بالعلوم مع الاصلاح الطفيف الذي اشرنا اليه . وفيها الرياضيات (وهي اضبط العلوم) المقياس الدقيق الذي تقاس به القيمة الحسية لكل من هذه العلوم :

الرياضيات باعتبارها مقياساً مضبوطاً
(١) الفلك
(٢) الطبيعيات
(٣) الكيمياء
(٤) الحياة
(٥) النفس
(٦) الاجتماع

وربَّ سائل يقول اين علم اللغات والسياسة والاقتصاد والدين والتشريع مثلاً من هذه القائمة وهل يراد اغفالها وعدم اعتبارها علماً ؟ والجواب عن ذلك ان ما من علم من هذه العلوم الاَّ ويعدُّ فرعاً خاصًّا لعلم الاجتماع العام الشامل بل ان الاستاذ (وارد) لم يشأ ان يدخل علم «الاخلاق» في هذه القائمة لاعتقاده ان علم «الاجتماع المطبق» هو علم الاخلاق بعينه . لان الاخلاق في نظره ونظر المدققين من امثاله هي اصلاح المجتمع البشري بتطبيق النظريات الاجتماعية المستخرجة بالدرس والتتبع

ان لهذه القائمة وجهات حرية بالنظر فهي تبين لنا (اولاً) لحمة النسب بين العلوم واتصال بعضها ببعض اتصالاً متسلسلاً بحيث يصير العلم جميعه وحدة متماسكة وذلك ان العلم الواحد هو ابن العلم السابق وابو العلم اللاحق وتدل (ثانياً) على التدرج من البسيط الى المركب ومن السهل الى المعقد ومن المضبوط الى المشتت كما هو ظاهر من مقابلة علم الفلك وهو رأس القائمة بعلم الاجتماع وهو أكثرها تشعباً وتعقداً . وتوضح (ثالثاً) مقدار المنفعة او الفائدة العملية التي يجنيها الانسان لصحته من هذه العلوم والتي تزداد ازدياداً مضطرداً متناسباً مع هذا الترتيب فالفلك على ما له من القيمة الباهرة في توسيع المدارك واظهار عظمة الكون وتعيين مقام هذه السيارة الطفيفة التي نعيش عليها بين السيارات والثوابت هو اقلها فائدة عملية لان الاجرام السماوية خارجة عن سلطة البشر وتدخلهم . واما الاجتماع فهو على عكس ذلك اكثرها فائدة لان رواد الاصلاح الاجتماعي يرجون ان يضعوا المجتمع البشري تحت سلطتهم ويجعلوه حقلاً لتجاربهم . وهاهي نتائج اعمالهم الباهرة تظهر في المشارق والمغارب . ولا يظنَّ احد ان العقول التي اشتغلت بتلك العلوم الكلامية والمباحث المتعلقة بما وراء المادة وغيرها من فروع الحكمة العليقة من العلوم الحسية هي عقول قاحلة جدباء

ليست لها قابلية ولا فيها اهلية بل يجوز لنا ان نقول ان هذه العقول واكثرها في الشرق تدل على ادمغة من ارقى ما بلغه الانسان في تكامله وليس فيها عيب الا عيب الاتجاه يعني انها اخفقت اليوم الحسية التي تقبل التطبيق وولت وجوهها شطر الابحاث الكلامية الجوفاء التي لا ينتهي فيها القال والقيل. ولم يسع البحاثة الاجتماعي الاميركي (لستر وارد) في كتابه (الاجتماع المطبق) الا ان ينصف هذه العقول الشرقية ويوفيها حقها فقد قال عنها ما خلاصته (ص ٤٨)

« انها بممارستها الشؤون العقلية البحت وهو ما يسمى بالتفكير المجرد . . . . . قد اثبتت تفوقها على الاقوام الاوربية لكن الاسيويين عولوا على المقيات فقط واهملوا غيرها فهم يعيشون في جو من التفكير الصرف . اما الاوربيون ففي غضون القرون الثلاثة او الاربعة الاخيرة يعملون على اساس الاعتقاد بالمادة . والمادة هي متحركة وهذا وحده يفسر الفرق بين الحضارتين الشرقية والغربية . وقد بقينا حتى السنين الاخيرة نوزنا الحجة العملية على أن تغيراً في الاتجاه او النظرة العالمية يغير في نوع الحضارة ولكننا اليوم قد حصلنا على مثل هذه الحجة . فان شعباً اسيويًّا — يريد الشعب الياباني — انتبه الى حقيقة لا مجال للشك فيها وهي ان درس العقل درساً ابديًّا مستمرًّا لا يجني الناس منهُ القوة القومية المنشودة وانما تتولد هذه القوة من درس المادة، وعلى هذه القيدة المستجدة عمل هذا الشعب الاسيوي اعمالاً باهرة انت باخطر النتائج» . ولم يشر الاستاذ وارد في هذا الكلام الى القوة السكرية المكتسبة التي تسلح بها اليابان فقط — وهي قوة تعدُّ حتى يومنا هذا الشرط الاول للعظمة القومية — بل اشار الى التقدم العجيب الذي تقدمتهُ في سائر ميادين العلم حتى صارت احق الامم كفاً في العلم والصناعة . قال « ولو حصل مثل هذا الانقلاب في الهند لنسبه الناس الى الدم الآري (الاوربي) الذي يدور في عروق الهنود ولكن الشعب الياباني هو شعب موغولي. اذن فلا شيء يحمل عليه هذه النتيجة الخطيرة سوى الاتجاه الجديد الذي تجههُ اليابانيون في نظرتهم العالمية والانقلاب الخطير الذي نشأ في الفكرة المتولية عليهم »

هذه شهادة لستر وارد في الشرقيين دوّناها لا ليتخذها اهل المباهاة منّا وسيلة للتبجح العقيم بل للاسترشاد بما نوّهت بهِ من شأن الاتجاه الياباني الجديد الذي اعطى اليابانيين هذا المقام المحمود في اوضاع العالمية الحاضرة. وانهُ لمن العبث الذي ما بعده عبث ان تحاول الاقوام المأكولة القضاء على ما يحيط بها من عوامل الهلاك ما لم تغير ما بأنفسها من الاتجاه وتطالب السلامة بالوسائل المؤدية الى السلامة

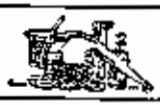

هل هذا ولدي ؟!

العلم يستنبط طريقة لاثبات صلة البنوّة بين الولد وابيه او نفيها

قيل ان العادة جرت بين ملكات فرنسا في غابر الزمان على ان يلدن مواليدهن في مكان عام ليتقي كل ريب في ان المولود هو مولود الملكة لم يستبدل بغيره من اصل وضيع

اما وقد شاع الطلاق في البلدان الاوربية والاميركية وتعقدت مسائله فصار لابدّ من طريقة علمية لاثبات صلة البنوّة بين ابن وابيه لان القضايا الكثيرة التي تعرض على المحاكم كلّ سنة تشتمل فيها تشتمل عليه من الامور، ضرورة النظر في صحة البنوّة والحكم فيها. ومن اشهر هذه القضايا قضية الشريف جون رسل نجل لورد أمبتهيل. فقد حُكم بالطلاق بين هذا الشريف وزوجته سنة ١٩٢٣ فاستأنفت الزوجة الحكم الى مجلس اللوردات فطعن الشريف في صحة بنوة ابنه ولكن المجلس الاعلى حكم في سنة ١٩٢٦ بان الولد هو الابن الشرعي لوالديه الشريف جون رسل وزوجته كرستابل هيوم رسل. وبعد الحكم وقف اللورد دونديرن وقال: «ان الضرر الذي قد يلحق بطفل من قضية كهذه قد اصاب هذا الطفل كاملا. ان صحة بنوته معترف بها في نظر القانون ولكن قضي عليها في عيون الناس»

ولما كانت هذه القضية لا زال قيد النظر وقف المستر هايستنغز احد المحامين عن الزوجة وقال ان الطعن في صحة بنوة الطفل يجب ان يقوم على «ادلة قوية واضحة كافية وقاطعة». ولكن ماهي هذه الادلة ؟

لقد ظلت بنوة هذا الطفل المسكين في معرض الريب من سنة ١٩٢٣ لما رفعت قضية الطلاق الى سنة ١٩٢٦ لما حكم فيها. وكان ابوه حينئذٍ يبغض امه كلّ البغض فاتهمها بما اتهمها به. ما ذنب الطفل البريء ؟ ألم يكتشف عن طريقة تمكننا من معرفة الحقيقة في امثال هذه المسألة قبل اشتهار القضية بعرضها على المحاكم ووصفها في الصحف ؟

***

والظاهر ان الاستاذ زالفيشتر الالماني احد اساتذة جامعة كونجسبرج كشف عن طريقة تمكنه من اثبات صلة البنوّة بين الولد وابيه بواسطة دمهما. ذلك انه اذا مزج مصل دم الطفل بمصل دم ابيه كان هذا المزيج مختلفاً عن كل مزيج آخر من قبيله. ولابدّ في

تميز هذا الفرق من الاعتماد على الآلات الدقيقة في المعمل الكيماوي

وطريقة الدكتور زانفيستر تقوم على ما يعرف لدى علماء الكيمياء الطبيعية « بفعل تندل » . فكلٌّ من قراء المقتطف قد شاهد شعاعةً من نور الشمس تدخل من كوة ضيقة الى غرفة مظلمة فيُرَى بها الهباء المنثور في طريقها . ولولاها لكانت رؤيتهُ متعذرة . ذلك لان النور يصيب هذه الدقائق المنثورة في الهواء فيكسر وينعكس او يتفرق عنها فتُرَى به . وقد عني الاستاذ تندل الطبيعي الانكليزي بدرس هذه الظاهرة في القرن التاسع عشر . وهي لا تحصر في دقائق الهواء بل تبدو لدى مرور شعاعة من النور في سائل فيرى الباحث ما قد يكون معلقاً في هذا السائل من الدقائق التي لا تراها العين لولا مرور الشعاعة

واكثر المواد التي تتركب منها اجسام الاحياء غروية (كولويدية) القوام . اي ان دقائق المواد المختلفة التي يتركب منها الجسم تكون معلقة في سائل مائي ولا ترسب في قعر الاناء الذي يحويه . ولكنها تختلف عن سائر المحلولات في ان كل دقيقة منها تكون عادة طائفة من الجزيئات مجتمعة معاً . ففي محلول الملح العادي ينفصل كل جزيء من الملح عن اخيه ولكن في محلول من الغراء تظل جزيئات الغراء معلقة في السائل ولكنها تجتمع فيه طوائف طوائف او كتلاً كتلاً — دقيقة على كل حال — اطلق عليها اسم الدقائق الغروية . هذه الحالة الطبيعية من احوال المادة تعرف بالحالة الغروية (ترجمة لفظ كولويدية) تشبيهاً بمحلول الغراء

على أن هذه الدقائق اصغر من ان تراها العين المجرَّدة بل اصغر من ان تُرَى بالمكرسكوب . ولكن وجودها يكثر صمك السائل على نحو ما يكثر العرَق باضافة قليل من الماء اليه . والدم محلول غروي من المواد البروتينية التي تبنى منها اجسامنا . ففي هذه المحلولات الغروية يبدو فعل تندل . انها عكرة ولو تفاوتت درجات عكرها . فاذا اخترقتها شعاعة من النور انكسرت على كل دقيقة من المواد المعلقة فيها فتتفرق عنها . فاذا كان لدينا ادوات دقيقة الاحساس لقياس درجة « العكر » او قوة النور المتفرق عرفنا ان نفرق بين محلول وآخر

وخلاصة طريقة زانفيستر هي هذه . ان المزيج الحاصل من مصلي شخصين قريبي صلة الرحم اصفى من المزيج الحاصل من مصل شخصين غريبين . والفرق لا يرى بالعين المجردة ولكن يمكن رؤيتهُ وتعيين درجته بآلة حساسة استنبطت خصيصاً لذلك

اذن تأخذ مصل رجل وطفل تريد ان تثبت من بنوته لذلك الرجل وتمزجهما وتضعهما في انبوبة ثم تُصوِّب شعاعة من النور الى هذه الانبوبة وتوضع امامها الآلة الخاصة المذكورة حتى يستطيع الباحث ان يرى مرَّ شعاعة النور بها فيرى مقدار النور المتفرق عن الدقائق الكولويدية فتقاس قوته قياساً دقيقاً في الآلة بموازنتها بقوة النور المتفرق عن زجاجة مدخنة .

لان الزجاجة المدخنة هي في الواقع محلول عروي جاف . ويظل الباحث يغيّر ويبدل الزجاجات المدخنة التي عنده حتى يقع على زجاجة تكون قوة النور المتفرق عن دقائقها مثل قوة النور المتفرق عن دقائق المزيج الدموي . ومن ثم تعيّن قوة النور المتفرق عن دقائق السائل في ممرّ شعاعة النور . واستعمال هذه الآلة دقيق جداً . ويحتاج الى مرانة طويلة . وقد يكون عرضة للخطإ اذا اعتمد فيه على العين المجرّدة

* * *

كان الغرض الاول من التجارب التي افضت الى هذه الطريقة في امتحان صحة البنوة محاولة الكشف عن الحق في بدئه . فأخذ مصل الدم من امرأة حامل ومزج بخلاصة من انسجة الرحم وقوبل بين هذا السائل وسائل آخر حاصل من مزج مصل امرأة غير حامل بخلاصة الرحم . فوجد ان هنالك فرقاً في مقدار النور المتفرق من المزيج الاول اي ان المزيج الأول اشدّ صفاء . فأعيد امتحان ذلك مائة مرة فكانت النتيجة واحدة ثم ثبت ان هذا الفرق يضعف بعد الوضع ثم يزول بعد اسبوع فهو اذن عائد للحمل

بعد ذلك أخذ مصل مولود جديد ومُزج بمصل امه فتكر المزيج اولاً ثم اخذ يصفو رويداً رويداً وجعل النور المتفرق يقلّ لقلة الدقائق التي تفرقهُ حتى تم التفاعل بينهما في بضع ساعات . فأعيد امتحان ذلك في ٨٠ حادثة فوصل الباحثون الى النتيجة نفسها . وللتدقيق في البحث اخذوا مصل المولود الجديد ومزجوهُ بمصل غير مصل امه فلم يشهدوا فيه ذلك الصفو الذي اتى تدريجاً على المزيج الاول وظلت قوة النور المتفرق عن دقائقه هي هي واعيدت هذه التجربة مراراً بنتيجة واحدة . وعادوا قليلاً في بحثهم فأخذوا مصل مولود جديد ومزجوه بمصل دم ابيه وعينوا درجة قوة النور الذي تفرقهُ دقائق المزيج . ثم مزجوا مقادير اخرى من مصل المولود بأمصلة من رجال آخرين غير ابيه ولاحظوا قوة النور الذي تفرقهُ الدقائق . فوجدوا في ١٩ تجربة جربوها ان مزيج مصل المولود ومصل ابيه يقع فيها التفاعل المذكور سابقاً حتى يصبح اصفى جداً من الامزجة الاخرى

هذا عن الاطفال . ولكن ما اثر هذا الامتحان في الابناء المتقدمين في السن لان موقف هؤلاء هو المعرّض للريبة غالباً في قضايا الطلاق وتوزيع الارث . لقد جرّبت هذه الطريقة في ١٤ ضعف تباين اعمارهم من خمس سنوات الى ثلاثين سنة فكانت النتيجة مماثلة لنتائج التجارب السابقة . اي يمكن تعيين صلة الولد بابيه بهذه الطريقة ولو كان الفتى في العاشرة او في الثلاثين من العمر

على ان الطريقة الطبية التي تقيم العين البشرية حكماً نهائياً قد تضلّ . لان العين تتوهم

انها تعسر بشيء ترغب فيه . فالباحث في هذا الصدد قد يكون متنظراً ان يرى نوراً ستفرقاً لعانهُ من قدر كذا فيبصرهُ كذلك ولو لم يكن كذلك . وعليه فلا بدَّ من الاعتماد على آلة لا تخطىء في تحقيق الفرق بين قوة النور المتفرق من مزيج معدني واحد والنور المتفرق من مزيج آخر . وقد وجد الدكتور زانصيستر آلتهُ المنشودة في البطرية الكهرنورية او « العين الكهربائية » على ما تسمى عادة . فهذه العين الكهربائية انبوبة مفرغة مطلية من الداخل بغشاء من معدن البوتاسيوم الذي يتأثر بالنور الواقع عليه فتتطاير الكهارب من سطحه فيجذبها قطب معدني في وسط الانبوبة تتجري على السلك المتصل به تياراً كهربائيا

وهذا التيار الكهربائي يضعف او يقوى بحسب عدد الكهارب الطائرة من سطح الغشاء البوتاسيومي . وهذا يختلف باختلاف قوة النور الواقع على هذا الغشاء . وقد استعملت هذه البطرية الكهربائية في قياس قوة النور الذي تفرقهُ الدقائق المعلقة في مزيج معدني كالتي تقدم ذكرها فايدت نتائج التجارب على ما حققتهُ العين البشرية

ولم يقتصر على مشاهدة « فعل تندل » في درس هذه الطريقة بل عمد الباحثون الى (الالترامكروسكوب) الذي يمكنهم من مشاهدة الدقائق الفردية وكيف تجتمع الدقائق الصغيرة كتلاً كبيرة متى مزج المصل من دم ابن بمصل دم ابيه . ويتمُّ ذلك في نحو دقيقتين بعد مزج احدهما بالآخر . ويظل هذا التكتل جارياً مدة ساعتين حتى يتمُّ التفاعل . وهذا يؤيد نتائج التجارب السابقة . على ان هذه النتائج لا تثبت في دواوين العلم الا متى اعيدت مراراً في احوال مختلفة وشعوب متفرقة وعلى ايدي علماء مختلفين . وبحث الدكتور زانصيستر لا يزال في مهده وانما يظهر ان طريقتهُ لها اساس علمي معقول

* * *

وعلى رغم الفائدة الكبيرة التي تجنى من ابتداع هذه الطريقة في المحاكم فان خطورتها البيولوجية تفوق كل وصف . لان الحقائق التي كشف عنها في اثناء البحث تلمس اعمق المسائل البيولوجية وهي الفروق بين الافراد . فالبروتوبلازم مؤلف من مواد اكثرها مواد بروتينية . ولدى العلماء ما يؤيد القول بأن الفرق بين نوع من الحيوانات ونوع آخر انما يعود الى الفرق في بعض المواد البروتينية التي تتألف منها مادتها الحية . وقد يكون تعليل الوراثة انتقال صفات بروتينية خاصة من نسل الى نسل . وقد رأينا ان مزيج مصل الابن بمصل ابيه يختلف عن كل مزيج آخر من هذا القبيل . والدم سائل بروتيني غروي . افلا يصحُّ القول بأن هذا البحث قد خطا بنا خطوة كبيرة نحو فهم الفروق الكيماوية بين الافراد؟

الشرع الدولي في الاسلام

—٢—

اساس قواعد الشرع الدولي وطرق تطبيقه في الاسلام ، ان الارض تنقسم الى قسمين : دار الاسلام ودار الحرب ، واراد بعضهم ان يضيف الى هاتين الدارين دار العهد

فدار الاسلام تشمل البلاد التي يسود بها حكم الاسلام ، سواء اكان سكانها مسلمين ام غير مسلمين . وهي وطن كل مسلم مهما كانت جنسيته ودينه كان بلاده ، يتمتع فيها (بحرية المدينة) وحقوق الشريعة كما انهُ يلزم بآداء واجباتها . والبلاد الخارجة عن سلطان المسلمين تؤلف دار الحرب ، حيث ينبغي ان تتبع قواعد معينة تختلف عن الاولى ، هي اشبه بما يسمونهُ اليوم بقواعد الشرع الدولي العام والشرع الدولي الخاص

اما دار العهد او دار الصلح فهي البلاد التي لم يستول عليها بعد المسلمون استيلاء حتى يطبقوا فيها شرائعهم وسننهم ، ولكن اهلها دخلوا في عقد المسلمين وعهدهم ، على شرائط اشترطت وقواعد عينت ، فتحتفظ بما فيها من شريعة واحكام ، وتكون شبيهة بالدول التي لا تتمتع باستقلالها كلهُ ، سواء بحماية مفروضة او معاهدة معقودة . ومثال ذلك ما كان من عهد الرسول الذي كتبهُ لنصارى نجران او العهد الذي كتبهُ معاوية لاهل ارمينية تقرَّ به سيادتهم الداخلية المطلقة وابقى لهم رؤساءهم وامراءهم واوضاعهم العسكرية وطبقاتهم الدينية . وحالفهم على دفع الروم عنهم وامجادهم بقدر ما يحتاجون اليه من الجنود وان يكون لهم جيش خاص لا يستعين به الخليفة في الشام . ولا يقول كثير من الفقهاء بدار العهد وما هي عندهم الاَّ من قبيل الهدنة ومن المعاملات القائمة على المعاقدات المتقابلة ، واذا لم يكن هذا المذهب واضحاً كل الوضوح ، فانهُ مع ذلك يتخذ اساساً للتعامل والتعاقد وتأمين المواصلات السلمية

ويشبه التقسيم الاسلامي من حيث المبدأ على الاقل ، ما قبلهُ البلشفيك في روسية ، فهذه البلاد هي الوطن العام لكل شيوعي ودار السلام للقائلين بهذا المذهب والمتحمسين بحبله ، وما بقي من العالم حيث يسود اصحاب الاموال واولياء الجيروت ، يعتبر دار حرب ، يتعين فيها على كل ثائر يقول بقول الشيوعيين ان يتخذ جميع الوسائل ، هو وجماعتهُ ، للانقاض عليها والاستيلاء على مقاليد السلطة فيها

ولا نعدم وجوهاً للشبه كذلك بين المسلمين على اختلاف اقطارهم واجناسهم وبين

نصارى الكاثوليك على اختلاف اقطارهم واجناسهم ونظر الكنيسة لهم كمجموعة عامة

ومن هذا القبيل ما صنعهُ الاستاذ الشهير « لوريمر » في تقسيمه العالم بالنظر الى الشرائع الدولية وجعلهُ ثلاث طبقات : الاولى تتمتع بجميع الحقوق . وهي الانسانية المتمدنة التي تشمل الامم النصرانية في الغالب ، والثانية تتمتع بقسم منها ، وهي الانسانية البربرية ، اي التي هي نصف متمدنة ، وتدخل فيها الامم الاسلامية ، والثالثة لا تتمتع الا بجزء يسير من معاملة الانسان للانسان وهي الانسانية المتوحشة . وكذلك نجد عند المسلمين درجات مختلفة لتطبيق قواعد الشرع : الاولى تخص المسلمين ، الذين يتمتعون بكل حق حيثما كانوا في الممالك الاسلامية ، والثانية تخص الذين ينزلون في بلاد الاسلام ويتمتعون بحماية الدولة وصيانتها على حسب قواعد الذمة والامان او على حسب المعاهدات والمعاقدات ، والثالثة الحربيون وهم الذين يعاملون بحسب القواعد الاستثنائية التي لا يخفف من شدتها غير الرخص المبذولة والعهود المقطوعة والمصلحة التي يراها صاحب الامر

ومما يحسن ذكره ان سيادة الاحكام في عرف الامامين ابي يوسف ومحمد هي فوق سيادة الامير في التمييز بين دار الحرب ودار الاسلام . اذ المعتبر في حكم الدار — كما جاء في السير الكبير — هو السلطان وظهور الحكم ، فان كان الحكم حكم الموادعين بظهورهم على الدار الاخرى كانت الدار دار الموادعة ، وان كان الحكم حكم غير الموادعين او سلطان آخر في الدار الاخرى ليس لواحد من اهل الدارين حكم الموادعة

وتعد الجبال والانهار وسواها مما يفصل دار الاسلام عن دار الحرب من دار الحرب ، وان لم تكن حقيقة من الواحدة ولا من الثانية . وهذا الحكم لعدم الامن والطمأنينة . وليس على غير المسلمين في دار الاسلام ان يراعوا جميع قواعد الشرع الاسلامي بتحريم ما يحرمه وتحليل ما يحلله . وتجري احكام الحدود على الذمي واختلف باقامتها على المستأمن ، فاستحسن ابو يوسف ان يأخذ بالحدود كلها ، وقال آخرون من الفقهاء لا اقيم عليه الحد لانه لم يدخل الينا ليكون ذميًّا تجري عليه أحكامنا . وهذا في الزنى والسرقة ، اما في القذف والشتم فانه يحد ويعزر لانهما من حقوق الناس [1] وكذلك فان الاوامر الخاصة بالمسلمين مثل تحريم الخمر لا تطبق على سواهم من الذميين ولا من المستأمنين . وفي بعض المعاهدات التي عقدت في القرن الثاني عشر والثالث عشر بين الدول الاسلامية والدول النصرانية كان المسلمون يستبقون لانفسهم حق العقوبة في بعض الجرائم الكبيرة . ويتركون لقضاة النصارى حق الحكم في ما سواها . وكان القضاء موكولاً الى رؤساء الطوائف في

(١) كتاب الخراج : ص ٢٤٤ — ٢٢٥ طبعة المكتبة السلفية

امور ابناء دينهم. وقد جاء في صبح الاعشى كثير من المراسيم في هذا المعنى وفي حض الرؤساء على معاملة مرؤوسيهم بالرفق والحسنى والمواساة واجتناب الحيف والاجحاف . وكان في الاندلس قضاة من المسلمين يفصلون في دعاوى غير المسلمين ويسمونهم بقضاة الاعاجم على ما جاء في رسالة ابن القوطية عن فتح الاندلس

وقد ذكر الماوردي في الاحكام السلطانية عند كلامه عن اهل الذمة : « انهم اذا تشاجروا في دينهم واختلفوا في معتقدهم لم يعارضوا فيه ولم يكشفوا عنهُ واذا تنازعوا في حق وترافعوا فيه الى حاكمهم لم يمنعوا منهُ ، فان ترافعوا فيه الى حاكمنا حكم بينهم بما يوجبه دين الاسلام وتقام عليهم الحدود اذا أتوها . ومن نقض منهم عهده بلغ مأمنهُ ثم كان حرباً . ولاهل العهد اذا دخلوا دار الاسلام الامان على نفوسهم واموالهم ، ولهم ان يقيموا فيها اربعة اشهر بغير جزية ولا يقيمون سنة الا بجزية وفيما بين الزمنين خلاف ، ويلزم الكف عنهم كأهل الذمة . ولا يلزم الدفع عنهم بخلاف اهل الذمة

ولقضاة المسلمين حق الفصل فيما بين المسلمين وغير المسلمين من الخصومات الا اذا كان منشأها دار الحرب لان سلطان الاسلام لا يبلغها ، والقضاء يستمد الولاية وما ثمة من ولاية للمسلمين

وهذه القواعد ونظائرها تعد اليوم من مسائل الشرع الدولي الخاص

وهنالك قواعد اخرى قضائي ما عند المعاصرين من قواعد الشرع الدولي العام وتذكرنا بها . فما يتعلق بالسلام نجد مثلاً وجوب الوفاء بالعهود المقطوعة وحرمة العقائد وعدم الاكراه في الدين والوساطة والتحكيم وصيانة الرسل واجتناب اذى المحايدين وقواعد المعاهدات والمخالفات وشؤون الامارات التابعة . اما شريعة الحرب فهي المجال الواسع لابداع الشارع الاسلامي واتقانه . فقد افاض في قواعد اعلان الحرب ومقدمات القتال واساليبه وصيانة الاولاد والنساء والشيوخ والرهبان وحرمة الموتى بوجوب مواراة قتلى الفريقين واجتناب المثلة واصلاح حال الاسرى والسبايا والعطف على الرقيق

وقد وجد في العالم المتمدن منذ معاهدة «وستفاليا» قواعد تتعلق بحرية الدول وتضامنها والتسوية بينها وما اشبه ذلك مما لا يمكن ان يتفق وروح تلك العصور المتقادمة ، النزاعة الى بسط السلطان في الارض كلها ، هذه الروح التي كانت تخفق في قلوب العرب خفقانها في قلوب الفاتحين العظام قبلهم، فلم يكن يبحث في حرية الدولة ولا ينظر في قواعد التسوية والتضامن بين الدول . ومع ذلك فقد اعترف المسلمون عملياً بوجود دول اخرى ، وذلك بعقد المعاهدات معها ومشاركتها بالصلات السياسية . وهذه الصلات اما ان تكون مؤسسة

على قاعدة الامان الذي يتفرع عن حق الجوار عند الاقدمين. او على قاعدة العرف والعادة. او على قاعدة الوفاء بالعهود والعقود

***

استوقف ناظري وانا أتأمل في تطور المعاملات الدولية وقواعدها بين المسلمين وسواهم امور كثيرة اشرت الى بعضها في ما تقدم وخصوصاً الشروط التي عاقد عليها معاوية ابن ابي سفيان ارمينية وكانت وثيقة استقلالها الداخلي ومحالفتها مع الدولة الاسلامية الكبرى التي هي اشبه بمحالفة حماية بين دولة كبيرة وصغيرة على نحو ما نراه اليوم في المعاقدات التي تبذ فيها بريطانيا العظمى شأن سواها وتحرز قصب السبق على غيرها

وقد استحسنت كثيراً وتدبرت مليًّا وصايا الخلفاء للجيوش في صدر الاسلام وتذكرت عندها ماعده المحدثون من مفاخر الامة الاميركية في الوصية التي عمل بها قادتها في حرب الفصال سنة (١٨٦٠) واتخذت اساساً لشريعة الحرب في يوم الناس هذا

اليس حسناً ما قاله ابو بكر: لاتخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولاشيخاً كبيراً ولا امرأة ولاتقصروا نخلاً ولاتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لمأكلة. وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له . . . .

اليس حسناً ماكان يقوله عمر بن الخطاب عند عقد الالوية . . . . . لاتجبنوا عند اللقاء ولا تفرقوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليداً، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفي شن الغارات. ولا تفظوا عند الغنائم وزهوا الجهاد عن عرض الدنيا . . .

وما عسى ان أستثير مثل هذه الدقائق وابحث عن مثل تلك الذخائر، اذن لتجاوزت القدر الذي وضعته لهذا المقال. وهيهات اوجزت فلا بد لي ان اذكر ان فريقاً من امة المسلمين في عهدهم الاول كسفيان الثوري انكروا فريضة القتال ابتداء ولا يجب القتال عندهم الا دفعاً للعدوان، وهذا المذهب يذكرنا بتحريم حروب الاعتداء الذي ما برحت عصبة الامم تسعى له منذ عشر سنين وتدعو اليه حتى كان ميثاق كيلوج

ولا بدَّ لي كذلك ان اشير الى حديث ابي عبيدة في اثناء فتوح الشام فقد كان الصلح جرى بين المسلمين وأهل الذمة في اداء الجزية وفتحت المدن على ان لا يهدم المسلمون بيعهم ولا كنائسهم داخل المدينة ولا خارجها وعلى ان يحفنوا لهم دماءهم وعلى ان يقاتلوا من ناوأهم من عدوهم ويذبوا عنهم وعلى ان عليهم ارشاد الضال وبناء الفناطر على الانهار

واصلاح الطرق وعلى ان يضيفوا من مرَّ بهم من المسلمين ثلاثة ايام مما يأكلون ولا يكلفهم ذبح شاة ولا دجاجة . . .

قال ابو يوسف في كتاب الخراج: فلما رأى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشداء على عدو المسلمين وعوناً للمسلمين على اعدائهم . فبعث اهل كل مدينة ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالاً من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا ، فأتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعاً لم ير مثله ، فأخبر رؤساء اهل كل مدينة الأمير الذي خلفه ابو عبيدة عليهم بذلك . فكتب والي كل مدينة الى ابي عبيدة يخبره فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين ، فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح اهلها يأمرهم ان يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج ، وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وانكم قد اشترطتم علينا ان تمنعكم وانا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم ، قالوا : — ردكم الله علينا ولصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً واخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئاً . .

وسيرة عمر بن الخطاب في فتح بيت المقدس مشهورة نكتفي بالالماع اليها . ولكننا نذكر قليلاً من سيرة امراء المسلمين ايام الحروب الصليبية التي اطلق فيها عقال النفوس فركبت هواها في سفك الدماء واستباحة الحرمات ، وذلك نقلاً عن المسيو بورغا المؤرخ الكبير ووزير معارف رومانية في كتابه الموجز في تاريخ الصليبيين . قال:

لما استرد صلاح الدين بيت المقدس بذل الامان للصليبيين ووفى لهم كل لوفاء بالشروط المعقودة ، وجاد المسلمون على اعدائهم ووطأوهم مهاد رأفتهم ، حتى ان الملك العادل شقيق السلطان اطلق الف رقيق ، ونودي ان كل من يخرج من باب معين في المدينة يكون آمناً . ومنَّ على جميع الارمن . واذن للبطريرك بحمل الصليب وزينة الكنيسة ، وابيح للامبرات والملكة في مقدمتهم بزيارة ازواجهن، وكان الجنود الذين يصحبون اللواتي أمرن بالجلاء يعطفون عليهن اشد عطف ويواسونهن كل المواساة . ولا يمكن ان يظهر فضل صلاح الدين وكمال خلقه باحسن من تهديده السفن الايطالية حتى ترد اولئك البائسين الى ديارهم

وكذلك كانت سيرة الملك الكامل لما اخذ بمخنق الصليبيين في واقعة دمياط فاحاط بهم الليل وهددتهم المجاعة واليك ما وصف المسلمين به احد الذين حضروا الوقعة من مؤرخي النصارى قائلاً : «هؤلاء الذين قتلنا آباءهم وابناءهم وبناتهم واخواتهم واخواتهم بطرق شتى . . .

هؤلاء الذين سلبناهم اموالهم واخرجناهم عراة من منازلهم ، تداركونا وسدوا خلتنا واطعمونا بعد ان اهلكنا الجوع ، وما زالوا يحسنون الينا حتى عمرونا بيرهم واحسانهم لما كنا في ديارهم وفي قبضة ايمانهم . فلو ضاع لاحدنا غير لما ابطأ ان ردّ الى صاحبه

***

وقد آن لي بعد ما اوردت طرفاً من قواعد الشرع الدولي في الفقه الاسلامي ، ان ابين بايجاز ما اراهُ من اثره في نمو الشرع الدولي عند الاسبانيين . وتاريخ الشرع الدولي يدلنا على انهُ وجد في بلاد الآخرين نشأتهُ الكبرى وفيها ظهر اكثر المؤسسين لقواعده والمشيدين لاركانه . واذا اثبتنا هذا التأثير استطعنا ان نستنتج منهُ ان الشرع الدولي الحديث لم يخل من اثر للشرع الاسلامي . وقد بحث كثيراً فيما ابقتهُ فلسفة العرب وحضارتهم من الاثر في الاندلس وبالتالي في اوروبا ولكنهُ قلّ من عني بالبحث في اثرها من الوجهة الشرعية على ان مؤلفاً بلجيكيًا (المسيو ستوكار) وضع في اوائل هذا العصر كتاباً فيما ابقاه سلطان العرب من الاثر في الشرائع الاسبانية والحالة الاجتماعية

ولا يمكن تحديد اثر الثقافة العربية في نمو الشرع عند الاسبانيين ، ولكن في اثناء هذه المدة الطويلة التي حكم بها العرب اسبانية ، عقدت بين الفريقين عرى وثيقة وتمكنت بينهما الصلات المختلفة . وقد اذن العرب للمغلوبين ان يحتفظوا بعاداتهم ويحكموا بسننهم وشرائعهم ولكن قواعد العرب وعاداتهم كانت تدخل رويداً رويداً في معاملاتهم مع الاسبانيين اوفي تعامل هؤلاء بعضهم مع بعض . ومن ذلك الالتجاء الى المحكمين في فصل الخصومات واشباهه مما الفهُ الاسبانيون وجروا عليهِ . فلما جمع الاسبانيون كلمتهم على مناوأة العرب واخراجهم شيئاً فشيئاً من ديارهم كانت هذه القوانين تؤلف الجانب الاكبر من شرائعهم

ثم ان فلاسفة العرب الذين تعلموا فلسفة اليونان وورثوا علومهم ، نقلوا ما تعلموه وورثوا مادونوه مؤلفي القرون الوسطى ، فشهد الناس الخليفة الحكم الثاني في القرن العاشر يفتح في عهده المجيد تلك الحلقة الزاهرة من العلوم التي تحل المكان الارفع من الحضارة بما ابقته من الاثر الجيد في اوروبه النصرانية :[1] وكان العلماء من البلاد الاخرى يؤمون اسبانيا في تلك العصور فيرتووا من مناهل عرفانها ويحملوا من علومها مالا يجدونهُ يومئذ في فرنسا ولا في ايطالية غير انهُ لم يأت على الفلسفة العربية الا عصران حتى اصابها التوقف فجأة بسبب القلاقل السياسية والغارات الاجنبية وشيء من التحصب المقوت

ولكنهُ يستطاع القول ان سلطان العرب في اسبانيا على الرغم من تقهقرهِ لم يزل مؤثراً

(١) Averroès et l'Averroïsme, (Renan) ص : ٢

في اوضاعها السياسية والاجتماعية والشرعية . وقد احتفظ المسلمون بعد تغلب الاسبانيين بتراثهم الخاص حيناً من الدهر . فان سياستهم الجديدة التي كانوا قد اتبعوها في معاملة النصارى جعلت هؤلاء يواسونهم ويحاسنون من بقي منهم قبل زمن الاضطهاد والاكراه في الدين . وكان للعرب واليهود أيضاً مساهد تم مستقلة وعلماء منهم يعلمون فيها ، فانتهى امرهم بان سادوا وتمكنوا في تشتاله . نظهر حينئذ اثر الشرق اولاً بتأثير فلاسفة العرب ورجال الاخلاق منهم ، وثانياً باذاعة تآليفهم وترجمتها ، وثالثاً بوجود كثير من علماء قشتالة من محتد اسلامي او يهودي ، ورابعاً بما كان يبذله علماء العرب واليهود من العون للنهضة العلمية في هذه المملكة الاخيرة [١]

وعلاوة على ما تقدم فان المجموعة الثمينة المنسوبة الى الفونس العاشر والمسماة بالاجزاء السبعة لم تخل من اثر ظاهر للشرع الاسلامي وهي تحتوي على الشرع الكنسي والمدني والسياسي والعقوبات بتفصيل لا حد له من الاحتمالات والفروض . وقد فصلت شرائع الحرب فكانت هذه المجموعة مصدراً عظيماً لما ترر من قواعدها ، فسبقت اسبانيا بذلك سبقاً عجيباً في القرون الوسطى بشرائعها وخصوصاً بمجموعة الاجزاء السبعة . فكانت هذه تتقدم ما عند الشعوب الاخرى بأجيال . وكان اسبانيا — على ما يقول الاستاذ نيس — ورثت الرومان مباشرة في وضع الشرائع [٢] ثم قال كذلك في مقام آخر : « ان مجموعة الاجزاء السبعة تدلنا دلالة واضحة على صفة المقاتلين وتنظيم توزيع الغنائم . وقد امتازت اسبانيا على سائر اوربا ، انها حافظت على الاختيار في جيشها ، على حين ان سائر الشعوب الغربية في القرون الوسطى كانت تعدل عن الاختيار شيئاً فشيئاً وتجعل المراتب العسكرية مما يرثه الابناء عن الآباء . وبقي في اسبانيا المقدمون والقواد ينتخبون انتخاباً »

فنحن لا يسعنا بعد ذكر ما تقدم الا ان نشير الى نصيب العرب في تقدم الشرع عند الاسبانيين . فالعرب ، كما قال جول مهل مع شيء من المبالغة ، هم والرومان اقدر الشعوب في التشريع [٣] . وتقسيم مجموعة الاجزاء السبعة يذكرنا بتقسيم كتب الفقه الاسلامي ، ونحن نقول في الختام بقول الاستاذ نيس نفسه ، ان شريعة الحرب والانظمة العسكرية عند الاسبانيين ، تأثرت كثيراً بشريعة الحرب عند المسلمين كما تأثرت فلسفتهم بفلسفتهم وآدابهم بآدابهم

دمشق
نجيب الارمنازي
دكتور في الحقوق

---

(١) ص : ٨٠ ، ١١٥ ، ١٨٠ Histoire de l' Espagne (Ballester)
(٢) ص : ١٠ ، ١٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٠ Les Origines du droit international,
(٣) ص : ٤٣١ Journal Asiatique, 3'série L.VXII

اين مهد الانسان : افريقية او آسيا

من مقال للأستاذ اليوت سمث

عن شيئسا المجلة العلمية الدولية

عُني دارون في كتابه « تسلسل الانسان » بموضوع «مهد الانسان وقدمه» فقال: والمرجَّح ان افريقية كانت قبلاً موطناً لقردة منقرضة تمتُّ بصلة قريبة الى الغورلاّ والشمبانزي . ولما كان هذان النوعان اقرب الحيوانات الى الانسان فالمحتمل ان يكون الاصل الذي تسلسل منهُ الانسان قد قطن القارة الافريقية دون غيرها

وترجيحهُ لهذا القول جاء من ناحية اعتبارهِ « أن في كل بقعة من بقاع الارض تكون الحيوانات اللبونة الحية قريبة الصلة جدًّا بالانواع المنقرضة التي كانت تقطن تلك البقعة ». ولكن بعد ما اشار دارون الى مهد الانسان هذه الاشارة الطفيفة عاد فاعترف بأنهُ من العبث محاولة الترجيم بهذا الموضوع لقلة الآثار القديمة التي وجدت ولطول العهد بين عصرها وعصرنا والتقلبات الجيولوجية التي قد تكون انتابت سطح الارض فمهدت السبيل لهجرة الحيوانات هجرات واسعة النطاق

وقد انقضى نصف قرن على قول دارون هذا وكثر القول في هذا الموضوع وتضاربت آراء الباحثين. ولكن لما عثر الاستاذ رموند دارت من خمس سنوات على جمجمة بخوانا لذبجنوب افريقية المعروفة بجمجمة تونغ ايضاً وقال في وصفها « انها مثل قرد منقرض قريب الصلة بالغورلاّ والشمبانزي » وانهُ اقرب صلة بالانسان من اي قرد آخر وجدت آثارهُ ، ذكرنا بحكم الطبع نبوءة دارون المذكورة آنفاً التي حققت بهذا الشكل الخلاّب . فعدنا الى النظر في القارة الافريقية كمهد للانسان الاول. وقد اشار كثير من الكتاب المعاصرين الى موافقتهم على قول دارون بأنهُ « من العبث محاولة الترجيم بهذا الموضوع » ولكن قلَّ منهم من يحجم عن ذلك !

لما عثر «لارته» سنة ١٨٣٤ على آثار « دريو بثكوس » في طبقات عصر الميوسين بجنوب فرنسا عرف العلماء ان هذا الفرد المنقرض ، الذي يماثل الشمبانزي في حجمه ، له من الصفات الاولية اكثر من الشمبانزي اي انهُ نوع اقدم منهُ . وقال «غودري» بعد ذلك انهُ

اقرب صلة بالانسان منهُ الشمبانزي . ولكن رأي غودري ظل ثلاثين سنة غير مأخوذ به حتى جاء الدكتور وليم غرغوري من علماء متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك وأثبت بأدلة مقنعة بأن « دريو بثكوس » هذا اشبه القردة بالانسان

ولكن مجرّد وجود آثار قرد منقرض شديد الشبه بالانسان ، في اوربا ، لم يؤخذ دليلاً قويًّا لحسبان اوربا مهد الانسان الاول . وذلك اولاً لان دارون وغيرهُ من العلماء الذين عنوا عناية خاصة بهذه المسألة ذهبوا الى ان الانسان نشأ اولاً في منطقة استوائية الاقليم لان المعروف عن القردة الشبيهة بالانسان (الانثروبويدية) انها لا تطيق السكن في اقليم آخر . لذلك سلّم الباحثون بأن « الدريوبثكوس » انما هاجر الى اوربا في عهد مؤاتٍ لهذه المهاجرة ثم قضي عليهِ بالاندثار في مطلع عهد البليوسين

وقوي هذا الرأي لما عثر على آثار «دريو بثكوس» في طبقات عصر البليوسين في مكان بشمال الهند يدعى آكام «سيڤالك». قال العلماء اذا سلمنا بأن هذا القرد هو السلف الذي تسلسل منهُ الانسان فلا يلزم عن ذلك ان اوربا مهدهُ الاول . فليس ثمت باعث على العجب ان تكون المكتشفات في آكام «سيڤالك» سنة ١٨٨٦ داعية الى تغيير اتجاه الباحثين في هذا الموضوع مما جعل طائفة كبيرة منهم تعتبر الشرق الاقصى مكاناً يصحُّ ان يكون مهد الانسان . وأيّد ذلك ان عثر في طبقات عصر البليوسين بآكام «سيڤالك» على آثار قرد يشبه شبهاً كبيراً النورلا والشمبانزي والاورانغوتان — القردة العائشة الآن — من جهة والانسان من جهة اخرى فدعي (بالبوبثكوس) وفي سنة ١٨٩٠ نظر الدكتور اوجين ديبوى المساعد بقسم التشريح بجامعة امستردام في هذا الموضوع فاقتنع بالادلة المتجمعة لديهِ فذهب الى ان ارخبيل ملقا هو مهد « الحلقة المفقودة » وللحال اعدَّ عدتهُ ليثبت صحة مذهبهِ بالتنقيب فاستقال من منصبهِ العلمي في جامعة امستردام وذهب الى جزيرة جاوى ضابطاً طبيًّا في جيش الاحتلال . ومن اغرب الغرائب انهُ عثر سنة ١٨٩١ على ضفة نهر سولو بجاوى على آثار انسان قديم مثل الانسان الذي جاء ليثقب عنهُ . وعلى الآثار المتحجرة التي وجدها هناك بني النوع الانساني القديم المعروف الآن علميًّا باسم « بثكانثروبوس »

الاسماء العلمية الآتية (بثكانثروبوس وبريوبثكوس وبالبوبثكوس وسيناتثروبوس واوستراوبثكوس وسيفا بثكوس) هي اسماء علمية تطلق على انواع القردة الشبيهة بالانسان التي عثر العلماء على بعض آثارها المتحجرة وقد ذكرت في المقالة اماكن وجودها

اما العصور الجيولوجية الثلاثة المذكورة في هذا المقال فهي البليوسين (المتوسط الحداثة) والبليوسين (الكثير الحداثة) والبلستوسين (الاكثر حداثة) فالاول اقدمها (ويعود الى نحو ٦ ملايين سنة) ويليه الثاني (من نحو مليون سنة ونصف مليون) ويليه الثالث على ما تدل اسماؤها

فكان من الطبيعي ان تؤيد هذه الحادثة القول بان آسيا مهد الانسان . وقد انقضى الآن ثلاثون سنة وقول دارون بان افريقية قد تكون هذا مهد لا ينال عناية كافية . فحاولتُ سنة ١٩١٢ ان اوجّه انظار الباحثين الى رأي دارون ، بان وجود اقرب الاحياء الى الانسان ، « اي الغورلاّ والشمبانزي » ، هو اقوى الاعتبارات في تعيين مهد الانسان . ولكني لم افلح حينئذٍ ولا افلحت سنة ١٩٢٢ لما حاولت محاولة ثانية من هذا القبيل

وليس ثمت داع لذكر رأي شوبنساك الذي يحسب استراليا مهد الانسان ولا رأي امغينو الذي يختار لهُ اميركا الجنوبية . فانك لا تجد في كلا هذه المكانين اي اثر لوجود القردة الانثروبويدية سابقاً فيها . ويكاد يكون من باب المستحيل نشوء الانسان في احدهما

اما القول بان آسيا مهد الانسان فيختلف عن ذلك

ان الادلة التي جمعت سنة ١٨٨٦ مشيرة الى ان شمال الهند كان في عصر الميوسين موئلاً للقردة القريبة من القردة الانثروبويدية تأيدت عن طريق المكتشفات التي كشف عنها الدكتور بلغرمْ سنة ١٩١١ فانهُ وجد آثار نوع آخر من القردة دعاهُ « سيفاپثكوس » وفيهِ صفات بلغ من قربها الى صفات الانسان ان حاول الدكتور بلغرمْ وضعهُ في فصيلة الهومينيدي اي الفصيلة الانسانية . ومع انهُ لا يوجد ثمت دليل كافٍ لقبول هذا الرأي — لان التشابه بين انسان « سيفاپثكوس » وانسان الانسان لا يكفي لرفع قرد من عصر الميوسين الى رتبة البشر . ولكنهُ يدلُّ على صلة القرابة بينهُ وبين اسلاف الانسان — فان الآثار التي وُجدت في آكام « سيفالك » تدلّ على ما يتنهُ الاستاذ بول Boule ان بلاد الهند كانت في عصر الميوسين معملاً عظيماً واسع النطاق كانت الطبيعة تحاول ان تكوّن فيهِ القردة الضخمة الشبيهة بالانسان التي نشأ من سلالتها في عصور متأخرة حيوانات الاوراتغ والشمبانزي والغورلاّ والانسان . وبكلمة موجزة ان الادلة المتجمعة تشير الى ما يأتي : اذا لم تكن آسيا مهد الانسان فانها على الاقل كانت مهداً للاصول التي نشأت منها الفصيلة الانسانية لما افترق اسلاف الانسان عن اسلاف الغورلاّ والشمبانزي

اما وجود اقدم ممثل للفصيلة الانسانية (پكانثروپوس) المعروف بانسان جاوى في مكان الى الشرق من الهند فيؤيد تأييداً ظاهراً القول بان الانسان نشأ في آسيا . ولكن من المهم الاّ ننسى ان انسان جاوى يعود الى مفتتح عصر البلستوسين وان آثار القردة في آكام سيفالك تعود الى عصر الميوسين قبلهُ وان في الزمان الطويل الذي انقضى بين العصرين كانت القردة تروح وتغدو غرباً الى افريقيا واوربا وشرقاً الى شواطىء آسيا على الاوقيانوس الباسفيكي . وكان الانتقال اسهل على الانسان الاول منهُ على القردة وعليهِ اذا ذكرنا ان آثار القردة الشبيهة

بالانسان التي من عصر البليوسين والبليوسين وجدت في اوربا وجنوب افريقية وشرق آسيا فلا يستغرب ان نجد آثار الانسان من عصر البلستوسين في جاوى والصين وانكلترا

ان تنقلات البريات اي قسم الحيوانات الذي منهُ الفصيلة البشرية كانت واسعة النطاق زماناً ومكاناً اي انها شملت بلداناً مترامية الاطراف وعصوراً متطاولة وذلك يقلل من قيمة العثور على انسان جاوى كدليل على ان اسيا كانت مهد الانسان

ان اقدم القردة الانثروبويدية التي كشف عنها حتى الآن هي آثار القرد القزم المعروف علمياً باسم « بروبليوپثكوس » الذي وجد في طبقات مفتح عصر البليوسين في الفيوم . ولكن اذا كانت افريقية موطن القردة الشبيهة بالانسان فالمعروف ان القردة المشهورة بالجبون كانت تمتد من اوربا الى الشرق الاقصى حيث تعيش الآن . ان اسلاف القردة الضخمة الشبيهة بالانسان كانت في المنصف منتصف عصر البليوسين ومثل حيوانات الجبون التي تقدمتها كانت تمتد فوق منطقة واسعة من سطح الارض الى اواسط افريقيا . اما الاورانغ فحفظ في ارخبيل ملقا ونوعا القردة العائشة التي تمت باقرب صلة الى الانسان يعيشان في افريقية

فتحديد مسألة المهد الذي نشأت فيه الفصيلة البشرية متين الاتصال بمصير اقرب اقرباء الانسان وموطنها الجغرافي

لو افترض الغورلا والشمبانزي من افريقيا لصح القول بان كل القردة الضخمة رحلت شرقاً مع اسلاف انسان جاوى وان اتجاه كل البريات الاولى كان الى الشرق.

ولكن في سنة ١٩١٢ جاء الكشف عن انسان بلتدون بانكلترا فاثبت ان في الطرف الغربي من اوربا كان يقطن طراز من البشر قديم قدم انسان جاوى ولكنهُ اكثر منهُ ارتقاء واقرب الى الانسان . فاذا قرنا هذين الاكتشافين — انسان جاوى وانسان بلتدون — خلصنا الى النتيجة بان الفصيلة البشرية اقدم كثيراً من كليهما لانهما فرعان مختلفان لاصل واحد رحل كلٌ منهما الى اقصى حدود القارة الاوربية — الاسيوية. فيدر الى الذهن حينئذٍ ان بلاد الاصل الذي نشأ منهُ كلاهما يجب ان تكون بين انكلترا وجاوى . واذا كان الكشف عن انسان جاوى قد حمل العلماء على الاتجاه شرقاً للبحث عن مهد الانسان فالكشف عن انسان بلتدون ردَّهم غرباً فتحكم التوازن بين الفريقين

وقد عمد بعض علماء الآثار المتحجرة من الاميركيين بعد درسهم لتوزيع الحيوانات البونة الى القول بان قلب القارة الاسيوية — كصحراء منغوليا الغربية — يحتمل ان يكون مهد الانسان . ولكن يجب الا ننسى اننا لا نملك دليلاً واقياً يؤيد هذا الرأي حتى ولا بشير اشارة طفيفة الى امكان ترعرع اسلاف الانسان في منطقة هذا بعدها عن الاقاليم

الاستوائية وهي الاقاليم الوحدة التي تعيش فيها القردة . حتى اكتشاف انسان باكين (سينانثروبوس) حديثاً الى شمال باكين لايزيد احتمال نشوء الانسان في منغوليا . لان قدوم اسلاف الانسان الى جوار باكين من الجنوب على شواطىء آسيا الشرقية أيسر واكثر احتمالاً من اجتيازهم لصحراء منغوليا

ففي ضوء المكتشفات الحديثة التي نملكها نرى ان الاعتبارات التي اشار اليها داروين من اكثر من نصف قرن لاتزال الى الآن اهم الاعتبارات التي تتناول مهد الانسان

فان بقاء الشمبانزي والغورلا في افريقيا الى عصرنا — وهما اقرب القردة الى الفصيلة البشرية — والعثور على آثار « دريوبثكوس » في طبقات عصر الميوسين باوربا يشيران الى أن القردة الشبيهة بالانسان التي تسلسل منها الانسان تراجعت غرباً الى افريقية واوربا لما بدأ توزعها وانتشارها من الهند

فاذا صح ما يبدو لنا ثابتاً لا يقبل الريب ، أنْ لا بدَّ من أقليم استوائي مستمر لبقاء القردة الشبيهة بالانسان ، ترجح لدينا اخراج اوربا من حظيرة النشوء الانساني وصارت افريقيا لذلك اصلح البلدان لعمل النشوء . ان نزول الغورلا والشمبانزي في افريقيا في عصر انتشارهما مع غيرهما من الهند وبقاءهما فيها الى الآن يثبت ان الاحوال الاقليمية كانت موافقة لبقائها . وعليه نجد قوة الادلة التي ترجح ان افريقيا الاستوائية اولاً وشواطىء آسيا على الاوقيانوس الهند ثانياً — ولكن هذا اقل احتمالاً من الاول — هي المكان الذي اتخذ فيه سلف الانسان القردي الاوصاف الانسانية

وهناك وجهٌ آخر اشرت اليه سنة ١٩١٢ واثبت خطورة العناية به في مباحث من هذا القبيل . ذلك انهُ اذا ظلَّ الحيوان عائشاً في احوال توافقهُ كل الموافقة فغير محتمل أن يتطوّر . ولا يحصل التطور الا اذا واجههُ انقلاب خطير في محيطه او طريقة حياته وكان عليه أن يختار بين التطور لموافقة الاحوال الجديدة او الانقراض . وقد يكون هذا التطوُّر تخصصاً في عضو معين او عادة خاصة من عادات المعيشة تمكنهُ من مواتاة الاحوال الخاصة التي تواجههُ . او قد يكون التطوّر من النوع المتزن الواسع النطاق فيمهد لهُ سبيل الارتقاء الصحيح لزيادة سيطرته على احوال بيئته . فالقردة مثلٌ على التطور الضيق . والانسان على التطور المتزن الواسع النطاق

فالقردة الشبيهة بالانسان مقيدة بالمعيشة في الحراج الاستوائية . ولكن الانسان اكتسب القدرة على المعيشة في كل البلدان مهما اختلف اقليمها . على أن اسلاف الانسان لم يكتسبوا هذه القدرة الا تحت ضغط الحاجة الشديدة لما خرجوا من حراج الاقليم

الاستوائي . في جهادهم للاءمة انفسهم للاحوال الجديدة كسبوا معرفة وخبرة وقوى الانسان على الفهم والنظر الى الامام

المشهور ان افريقية شديدة السخاء بالمفاجآت التي تطالعنا بها ولكنها لم تبح بشيء من اسرارها فيما يتعلق بأنواع الناس والقردة المنقرضة الا من عهد حديث . ففي سنة ١٩١١ جهزتنا افريقية بأقدم الادلة على شبوه القردة الشبيهة بالانسان ولكن الباحثين لم يعثروا فيها على اثر انسان متحجر الا سنة ١٩١٣ اذ كشف في بوسكوب بالترنسفال عن اثر انساني وسنة ١٩٢١ كشف عن جمجمة انسان روديسيا التي ينطوي صاحبها تحت نوع انساني خاص لم يكن معروفاً من قبل والظاهر انهُ يرجع الى عصر جيولوجي حديث

وفي نوفمبر سنة ١٩٢٤ جاءنا انبعث هذه الاكتشافات على الدهشة. كان ذلك اثر قرد شبيه بالانسان يختلف عن ضروب القردة المعروفة — ولكنهُ في رأي مكتشفه — اشدها شبهاً بالفصيلة الانسانية . هذا هو الاثر الذي كشف عنهُ الاستاذ ريمون دارت في بحوانالاند بجنوب افريقية واسمهُ العلمي « اوسترالوبثكوس افو تولنز ». والظاهر انهُ يزيد قوة الادلة التي تؤيد نظرة دارون بأن افريقيا هي مهد الفصيلة الانسانية . قد تكون الادلة غير قاطعة . ولكن اذا كان ميزانها متساوياً بين كفتي آسيا وافريقية فكل دليل جديد مهما يكن ضئيلا كاف لترجيح احدى الكفتين . وقد وجه الاستاذ روبرت بروم عناية الباحثين حديثاً الى ان آثار الحيوانات المتحجرة التي وجدت مع جمجمة تونغ تعين عصر الطبقة التي وجدت فيها في مفتتح عصر البليوسين

ان جمجمة تونغ هي جمجمة طفل تماثل في درجة نموها جمجمة ولد معاصر في السادسة من عمره وهي درجة يصلها القرد في السنة الثالثة او الرابعة من عمره. اما الشبه بين صغار القردة الانثروبويدية والاطفال البشرية اكبر منهُ بين الكبار لان ظهور الصفات الخاصة في الانسان في اثناء تقدم سنهِ تحجب الشبه الاصلي بينهما. ومتى قابلنا جمجمة تونغ بما يقابلها من صغار الاورانغ والشمبانزي والغورلا وجدنا قرد تونغ الانثروبويدي يختلف عنها اختلافاً بيّناً . (ثم اتى الاستاذ اليوت سمث على موازنة تشريحية بين الفريقين وختم مقاله بقوله). ان كل الحقائق التي استخرجها من آثار تونغ تتفق مع تبؤ دارون بالعثور على آثار قردة منقرضة في افريقية تختلف عن الغورلا والشمبانزي وان في هذه الآثار قد نجد بعض التأييد للقول بان افريقية على الترجيح هي مهد الفصيلة الانسانية

الامواج اللاسلكية القصيرة في العلاج

استعمالها لرفع حرارة مريض رفعاً

موقتاً لشفائه من مرض مصاب به

من الامور المسلَّم بها في الدوائر الطبية ان الملاريا تستعمل علاجاً للشلل العام الناجم عن عدوى زهرية . فاذا حقن مصاب بالشلل العام بجراثيم الملاريا احدثت فيه اعراض هذه الحمى من قشعريرة تعقبها حمّى عالية . والظاهر ان هذه الحمى العالية تميت مكروبات الشلل العام او تولّد في الجسم اجساماً مضادة تشفي المريض اولاً من مرضه الاول ثم يعالج بالكينا لشفائه من الملاريا مرضه الثاني . وقد اطلعنا الآن في احدى المجلات العلمية الاميركية على مقال جاء فيه ان مهندساً كهربائياً اميركياً كشف عن اثر الامواج اللاسلكية القصيرة في رفع حرارة الاجسام فاخذ الاطباء في استعمال هذه الامواج — وهي التي تنقل الاصوات في الخابرات اللاسلكية — في رفع حرارة الاجسام متى اقتضى العلاج ذلك

القِ نظرة على معمل البحث ترَ فيه انابيب الراديو تمضُّ وتظم . ولكنك لا تسمع محادثة دائرة بين قارئين بل تشهد طائفة من الاطباء ومساعديهم وقد ارتدوا ملابسهم البيضاء وهم يحاولون ان يمتحنوا آلة جديدة تستعمل وسيلة من وسائل العلاج . ان الامواج اللاسلكية القصيرة التي تنقل الاصوات بين البلدان النائية تحدث في جسم الانسان والحيوان اثراً غريباً اذا جمعت وقوّيت وصوّبت اليه . ذلك ان حرارة الجسم ترتفع متى اخترقت هذه الامواج الجسم فيصاب بحمّى . والحمّى المصطنعة طريقة من طرائق الطب الحديث في معالجة بعض الامراض . وما زال الاطباء يبحثون عن طريقة سليمة لاحداث هذه الحمى متى شاؤا ويُظن الآن انهم عثروا على ضالتهم في اشعة الراديو القصيرة التي تربط القارات

***

من الحقائق المشهورة ان المكمدات الساخنة استعملت من اقدم الازمان لازالة الالم . وكانت الحمى تحسب دليلاً على الالم فاذا ارتفعت حرارة جسم عن متوسطها الطبيعي استعملت كل الوسائل لتخفيفها . ولكن الرأي الطبي اخذ ينقلب في بضع السنوات الاخيرة . فالباحثون يرون مثلاً ان الحمى في بعض الاحوال وسيلة من وسائل الجسم لدفع جراثيم الامراض عنهُ . ومن المعروف الآن ان علاج الشلل العام يتم بحقن جراثيم الحمى الملاريّة في جسم المشلول كما ذكرنا على ان لهذه الطريقة ما ينقص من قيمتها كوسيلة سليمة من وسائل العلاج . ذلك انها

على جانب غير قليل من الخطر. فالطب ليس معصوماً عن الخطإ وفي بعض الحوادث شفي الاطباء وهم يحاولون ان يشفوا مريضاً من الملاريا بعد ما شفوهُ من الشلل العام باستحداثه الملاريافيه. ثم ان الملاريا من الامراض التي تستمرُّ مدة طويلة تظهر آثاراً وتكمن اخرى. وفي بعض الاحيان يظنُّ المصاب انهُ قد نجي من آثار جراثيمها فتظهر فيه مخلفة ظنهُ. وهذه الاصابات الملاريَّة المتعاقبة تضعف الجسم وتفقر الدم. لذلك عني الاطباء بالبحث عن طريقة اخرى يحدثون بها الحمى المصطنعة في جسم المصاب وتكون في الوقت نفسه خاضعة كل الخضوع لسيطرتهم

فعمد بعض الاطباء على الشاطىء الاميركي الباسفيكي الى وصف الحمامات الساخنة وهي طريقة اسلم عاقبة من ادخال مرض الى جسم انسان لمحاربة مرض آخر به. لان حرارة الحمام مما يستطاع السيطرة عليه فترفع او تخفض على ما يرام ويلزم. ولكن مهما يقل فيها تبقى حرارة خارجية لا تنفذ الى الاعضاء الداخلية بكل قوتها. ثم استعملت طريقة «الدياترمي» وهي امرار تيار كهربائي في عضو من اعضاء الجسم فيحدث مرورهُ فيه حرارة تنتج عن مقاومة العضو لمرور التيار

وجاءت الاشارة الاولى الى امكان استعمال الاشعة اللاسلكية القصيرة في احداث هذه الحمى المصطنعة من الدكتور هوتشنرُ في مدير قسم المباحث في الشركة الكهربائية العامة في سكنكتدي بنيويورك. ذلك انهُ وجد ان العمال المشتغلين بآلات الاذاعة اللاسلكية التي تستعمل امواجاً قصيرة يصابون بحمّى لا يعرف لها سبب. فتوجه الباحثون الى البحث عن طريقة تمكنهم من ضبط هذه الامواج واستعمالها في استحداث الحمى المصطنعة التي يحتاج اليها الاطباء في معالجة بعض الامراض فبنيت الادوات الكهربائية اللازمة في معامل الشركة المذكورة وعهد الى الدكتورة هلن هُسْمَر من كلية ألْبَني العلية في امتحانها. فوجهت اشعتها في احد امتحاناتها الى ضفدع صغيرة فارتفعت حرارتها ١٢ درجة. ثم جربتها في حيوانات مختلفة فارتفعت حرارة اجسامها. ثم وجهتها الى محلولات ملحية مختلفة فارتفعت حرارتها ايضاً. وللحال اصدرت تحذيراً يقضي بمنع توجيه الاشعة اللاسلكية القصيرة الى اجسام الناس قبل ان يزداد الباحثون معرفة بخصائصها وأثرها

وقد عني الدكتوران شارلز كارپنتر والبرت پاج بصنع آلة متقنة لهذا الغرض واقلحا بواسطتها في رفع حرارة الجسم الانساني الى درجة تفيد في معالجة بعض الامراض من دون ان يصاب المعالج بضايقة ما. وبعد تجارب كثيرة جربا آلتهما وراندها الحذر العظيم في معالجة بعض المصابين فوجدا ان بقاء حرارة المصاب مدة طويلة لا يعقبها اي ضرر

والآلة اشبه شيء بآلة لاسلكية عادية ولكن بدلاً من ان يكون لها سلك هوائي

تنبعث منهُ الاشعة القصيرة في انضاءلها لوحان من معدن الالومنيوم يدعيان «لوحا المكثف» Condenser Plates تتجمع بهما القوة الكهربائية داخل الآلة وتستعمل لرفع حرارة الجسم . وللآلة صندوق تحفظ فيهِ طولهُ ست اقدام وعرضهُ ثلاث اقدام وهو قائم على عجلات ليسهل نقلهُ من مكان الى آخر في غرفة الامتحان

يُلصَقُ المريض على ظهرهِ على رباطات قطنية متشابكة معلقة من هيكل خشبي جدرانهُ من نوع من السلولويد فكأنهُ تحت المريض غرفة مملوءة هواء . ويغطى المريض بلوح من السلولويد هو غطاء للصندوق يحكم اقفالهُ فلا يظهر الا رأس المريض من احد طرفيهِ وكأنهُ في هذا الصندوق معلق في غرفة محكمة . ويوضع لوحا التكثيف على جداري الصندوق كلٌ منهما على جدار حتى تخترق جسمهُ الامواجُ التي تنبعث منها . وسرعة التذبذب في هذه الامواج تتباين من عشرة ملايين موجة الى اربعة عشر مليوناً في الثانية . والمسافة بين اللوحين تتغير ولكنها تكون نحو ثلاثين بوصة عادة . ويغشى اللوحان بالمطاط منعاً لتطاير الشرر منهما . وللآلة تفاصيل اخرى ولكنها ثانوية لا محلَّ لتبسط فيها هنا

وقد تمكن الدكتور كاربنتر والدكتور پايج من رفع حرارة الجسم خمس درجات او ست بميزان فارنهيت فوق درجة الحرارة الطبيعية وذلك في مدى ساعة الى ساعة وثلث . وبلغت درجة الحرارة في احدى الحالات ١٠٥ و١٠٦ بميزان فارنهيت ويستطاع رفعها الى اعلى من ذلك ولكن الباحثين ظنّا صواباً ان الحذر يجب ان يكون رائدهما في بدء ابحاثهما هذه خوفاً من تعريض الارواح لهذه الاشعة الفتاكة

ومتى بلغت حرارة الجسم الدرجة المطلوبة احتفظ بها اما بتخفيض قوة التيار او بابعاد لوحي التكثيف او باستعمال منفاخ يحرك الهواء الذي يحيط بالجسم . ثم تأخذ الحرارة بالعودة الى درجتها الطبيعية تدريجاً اذا ترك المعالجُ في الصندوق ملتحفاً بملايات من صوف

ويعلل ارتفاع حرارة الجسم لدى اختراق الامواج اللاسلكية القصيرة لهُ بمقاومته لمرور الكهربائية كما يحمى السلك في المصباح بمقاومته لمرور الكهربائية فيهِ . ويؤخذ من درسها للامراض المعدية التي تصيب الحيوانات في العامل ان هذه الحرارة المصطنعة في جسم الحيوان تسفر عن نتيجتين احداهما ان ارتفاع الحرارة في اعضاء الجسم الداخلية تمنع المكروبات من التكاثر لان هذه المكروبات لا تتكاثر الا على درجة الحرارة التي تؤاتيها وهي حرارة الجسم الطبيعية . ثانياً ان هذه الحرارة تسرع نشوء المناعة في الجسم بطريقة لم تعلم بعد ولعلَّ ذلك ناجم عن اسراعها للافعال الكيماوية التي ترتبط بدفاع الجسم عن نفسهِ

تصنيف الحيوان والنبات

من محاضرة الدكتور محمد شرف في المجمع المصري للثقافة العلمية

ودَدْتُ لو كانت هذه الجلسة مخصصة للنظر في تأليف جديد او بحث علمي حديث، اذ قد فرغنا من وضع المصطلحات والحدود الخاصة بالعلوم الطبيعية والطبية في معجمنا وملحقه ووجب الاهتمام بالنقل او التأليف والبحث ، ولكن لبعض الكتاب من ذوي الهمم العصرية رغبات مبهمة ، وقد تَرَك اكثرهم العِنَانَ للخيال يخلط تارة ويمتر اخرى ولو انصف هؤلاء لاستراحوا وأراحوا غيرهم

لقد مضى على ظهور المعجم اكثر من عامين وتناولته الايدي وعمَّ الانتفاع به وتبوأ في الدوائر العلمية مقاماً عليًّا واثَّر تأثيرُه رغبةً في توحيد الاوضاع العربية في الاقطار المختلفة حتى لا تتبلبل الاوضاع وتصرف الهمم العالية الى التأليف والنقل الصحيح. ولم ادَّع العصمة ولم الزم غيري بما جئت به ، بل على الضدّ دعوت في مقدمة الكتاب كل علم في العلم الى البحث والنقد والمعاضدة لاصلح ما فاتني وأثبت ما جهلتهُ في الطبعة التالية

وقد اقدم عليَّ اخيراً مقدام سوري هو العلاَّمة الامير مصطفى الشهابي فجاهر في مقتطف ابريل بمخالفتي في مجالة نشرت في مقتطف مارس عن تصنيف الحيوان والنبات في اربعة اوضاع هي : (القبيل Phylum وقسم Class والسلالة Race والهجين ، الخلاسي Hybrid) وصمم على مخالفته لي من غير حجة قوية : وتردَّفه الاستاذ اسماعيل مظهر (الحاضر اليوم معنا) فذكر في « عصور » مايو اوضاعاً جديدة في هذا الباب تفرَّد بها وخالف بها كل سابق ، ولن يجاريه احد عليها لانهُ لم يعوّل في وضعها على اشتقاق صحيح ولان اكثرها ينفر منهُ اعلام اللغة وأمامكم صورة من هذه الاوضاع للمقابلة بينها والحكم متروك لكم بعد مناقشتها وسماع قيد معانيها والحجج التي بنيتُ بها عقد الكلام

وأردت ان اعيد استقصاء الكشف عن معاني الالفاظ التي جاء بها ، فان ظهر أني على خطأ اصلحته ، وان كنت على حق وجاء محصول البحث والاستقصاء الثاني موافقاً لما جاء في المعجم وملحقه بادرت بتعضيد من قراركم الى اذاعته دفاعاً عن الصواب وتوحيد المصطلحات، اذ العربية لغة غنية بالالفاظ المترادفة الواسعة المعنى والمهم ان نصطلح على الفاظ معينة تؤدي المعاني المطلوبة تأدية ميّزة لا أن نقضي الاعمار في خلافات لفظية وجدل عقيم وسأضيف الى هذا البيان شرحاً موجزاً لحدود علم الحيوان

الاصطلاح الفرنجي	المقابل العربي للامير الشهابي	المقابل العربي للدكتور شرف
Classification	تصنيف	« تصنيف »
Kingdom	دَوْحة	« مملكة »
Sub-Kingdom	تحت الدوحة	« ردف مملكة »
Phylum	شُعْبَة	« القبيل (ج. قُبُل) »
Sub-Phylum	تحت الشعبة	« ردف قبيل »
Class	الصِّنْف	« قسم »
Sub-Class	تحت الصنف	« ردف قسم » — صف
Order	الرتبة	« المرتبة » — الرتبة — البابة (ج. بابات)
Sub-order	تحت الرتبة	« ردف مرتبة او بابة »
Family	الفصيلة	« فصيلة » — طائفة
Sub family	تحت الفصيلة	« ردف فصيلة » — « سَبْط »
Group	—	« فِرْق » — جمهور
Sub-group	—	« ردف فرق » — رَهْط
Genus	الجنس	« جِنس »
Sub-genus	تحت الجنس	« ردف جنس »
Genotype	—	« الجنيس » — النطرز — نوع رمزي اوقياسي . والجنيس الحريق في جنسه
Species	النوع	« نوع »
Sub-species	تحت النوع	« ردف نوع »
Variety	الصنف	« الضرب (ج . ضروب وأضراب) » — شكل — الاتياف الضروب المختلفتي الاشكال والاخلاق
Sub-variety	—	« ردف ضرب »
Race	العِرْق	« سُلالة » — « شعب » — صنف
Breed	—	« سلالة » — بطن — نشأة
Strain	—	« عترة » — « عرق (ج. اعراق) » — سلالة
Stock	—	« سلالة » — بطن — نشأة — نجار
Pure Breed	—	« سلالة محضة » سلالة محض او اصلية او صريحة او عتيقة

المعروفة « بالاكلوج » «والجورجكس» يتدو ولع فرجيل بحياة الريف، والاتصال بالطبيعة الوديعة المتكتسة. وفيها يبدو كذلك انشغاله بالعلم سواء كان نظريًّا مجرداً كغايته بفلسفة لقريطيوس او مطبقاً على تدبير شؤون المعيشة. ان هذه الاشعار التي نظمها في حداثته تعدنا لنهم شخصية « اينيس » . ومطالعتها تمكننا من التكهن بالنزاع الذي لابدَّ من نشوئه بين هاتين العاطفتين — محبة الطبيعة والولع بمظاهر الحياة الشعرية من جهة والعناية بالعلم والادارة من جهة اخرى

ففي اناشيد « الاكلوج » نرى الشاعر فتىً لا تدركهُ معاني الحيبة . انهُ لايزال مقتنعاً ان محبة الطبيعة لا تنافي صور الحضارة العصرية . انك ترى أشعاره حتى الخرافية منها وعليها مسحة من العلم، من غير ان يبدو لك ان بين الخرافة والعلم هوَّة في عقله. ففي الانشودة الرابعة « الاكلوج » يبسط لنا كيف كان سيلينوس نائماً ذات يوم في حرج من الحراج فسقطت عليه الحواري وقيدن قدميه ويديه ورفضن ان يطلقن سراحه ما لم ينشد لهنَّ . فانشد انشودة التكوين واصفاً نشأة العوالم والاكوان والكائنات من بزور الارض والهواء والماء والنار في الفضاء العظيم . وفي الانشودة الرابعة يبدو فرجيل بحماسة ندر أن تعدلها حماسة ما اقل الاشعار التي تحي هذه الانشودة بالسطور الرائعة والاماني التي تثيرالنفوس!

ويقال ان فرجيل كتبها لصديق لهُ كان ينتظر ولادة طفل فسلَّم مقدَّماً بان الطفل صبيٌّ وتنبأ بان في مدى حياته ستنتقل الدنيا الى عصر الفضة ثم الى عصر الذهب . انك تقع في هذه الانشودة على رؤيا للكمال الانساني كرؤيا شلي في قصيدته « بروميثيوس المطلق » ولكنك تتبين في سطورها رجلاً ساذجاً بان يتعلم الناس الانتفاع بفوائد العلم ونبذ مضاره . ولما بلغ ابن صديقه سن الرجولة انصرف التاجر عن ارسال بضاعته فوق متن البحار ليبيعها في بلدان اخرى. لان كل بلاد اصبحت تنتج حينئذٍ كل ما تحتاج اليه . وكل انسان [illegible] في البقعة التي يعيش [illegible] مجمال الطبيعة متأملاً حكمها

على ان البشاشة التي تبدو في هذه الانشودة [illegible] لان فرجيل احكم من ان ينسى ما اشار اليه الحكماء والشعراء من ان التجارة [illegible] الحرب . كذلك نستطيع ان نتبين هنا كآبة بطله « [illegible] بصور عصره ذهنيًّا لا عناء فيه ولا تجارة ولا حزن [illegible] يطلب عالماً كاملاً لحياة العقلية واتساعاً لمباحث العلم وتغلغلاً في سؤدد الحياة . ان نقع على عصر او مكان تحيى فيه ثمار العلم بغير العمل والالم ، الا في احلام الشعراء . ان قربنا من الطبيعة قد يمكننا من سلام النفس ونكتهُ قلما يمهد لنا السبيل لاشباع جوعنا العقلي (البقية في الاخبار العلمية)

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن الهمة فيها يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) الناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره مظهراً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تؤثر على المطولة

حول روايات الاغاني

ومقالة الدكتور زكي مبارك فيها

حضرة مدير المقتطف المحترم

سلام واحترام وبعد فقد قرأت في عدد يوليو من مجلتكم المقتطف مقالاً عن روايات الاغاني للفاضل الدكتور زكي مبارك ينقصه كثير من الدقة والبحث اللذين تقتضيهما الروح العلمية وأودُّ لو تسمحون لي ان الفت نظرهُ ونظر قرائكم الى الامور التالية

زعم الدكتور انه يريد ان ينصّ على ناحيتين من الاصبهاني وكتابه (الاغاني) تفرَّد بمعرفتهما ولم يجد من تنبه لهما من الباحثين ، اما تلك الناحية التي تخص الاصبهاني فهي خلقه الشخصي وزعم الدكتور ان ابا الفرج كان مسرفاً في الشهوات اشد اسراف واذاً فروايته مشكوك فيها ثم ذهب الدكتور الى ابعد من هذا فزعم ان كتاب الاغاني هو كتاب ادب لا كتاب تاريخ [1] . وأخاف اولاً ان ينكر كثيرون على الدكتور تفرده بمعرفة هذه الناحية من حياة ابي الفرج واستنتاجه هذا كما انكروا عليه ادعاءه بمسألة نشأة فن المقامات ويكفي ان نحيل حضرة الدكتور على الطبعة الاخيرة للاغاني التي تصدر عن دار الكتب المصرية فيرى في مقدمة الجزء الاول منها ص ١٩ تحت عنوان قدح بعض العلماء في صحة روايته ما نصّه بالحرف

« ذكرهُ ابن الجوزي في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) فقال : انه كان متشيعاً

(١) راجع مقال الدكتور في مقتطف يوليو ص ١٩٥—١٩٩

ومثله لا يوثق بروايته فانه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهوى شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الاغاني رأى كل قبيح ومنكر »

« ونقل ابن شاكر في كتابه (عيون التواريخ) ان الشيخ شمس الدين الذهبي قال : رأيت شيخنا تقي الدين بن تيميه يضعّفه ويتهمه في نقله ويستهول ما يأتي به »

ثم ايضاً تحت عنوان « شيء من اوصافه » « كان ابو الفرج الاصبهاني وسخاً قذراً وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه ويتقون هجاءه . . . . . لانه كان وسخاً في نفسه ثم في ثوبه وفعله . . الخ [1] . وقد كانت ولا تزال هذه الاصول في متناول الناس منذ زمن بعيد وقد رجع اليها كثير من الباحثين كما ان تصدير لجنة دار الكتب في الجزء الاول من طبعتها قد صار في متناول الناس منذ سنوات وسيرى الدكتور فيما بعد خطأ استنتاجه الذي توصل اليه من مثل هذه المقدمات

***

وزعم الدكتور عند تصديه لذكر الناحية الثانية انه تفرد بادراك ما الممح اليه ابو الفرج في مقدمة كتابه عند قوله « اذ ليس لكل الاغاني خبر لعرفه ولا في كل ما له خبر فائدة، ولا لكل ما فيه بعض الفائدة رونقٌ يروق الناظر ويُلهي السامع » وراح حضرة الدكتور يمعن في التأمل بقول ابو الفرج « رونق يروق الناظر ويلهي السامع » حتى ذهب الى انه « الوصف الصادق لما اختار الاصبهاني ان يدور عليه كتابه » اي ان ابا الفرج قد اختار الغناء فيما يزعم الدكتور — والاغاني ستدور على قصص شائق خلاب ليس من الحقيقة في شيء انما هو وليد التصور والخيال واذن يقول الدكتور « فالاغاني كتاب ادب لا كتاب تاريخ » وينكر على المؤرخين استنادهم الى الاغاني ويرى ان ليس لروايات الاغاني قيمة تاريخية ، ويرى حسرة القارىء ان الدكتور زكي مبارك تصدّى بقوله هذا للقدح بجمهور الباحثين في تاريخ الاسلام من عرب ومستشرقين وخطأهم جميعاً : ولم يكن الدكتور زكي مبارك يوماً ما مؤرخاً . ولا نظنهُ — ولنعذرنا في ذلك — تصدّى لدرس المصادر الاولى للتاريخ العربي وفهمها كما درسها وفهمها هؤلاء المؤرخون الذين يقدح بهم

والغريب ان الدكتور عند رجوعه الى مقدمة الاغاني عمد الى عبارة او عبارتين فأساء تفسيرها وأهمل اموراً كان لزاماً في ذمته ان يتأملها قبل ان يذهب الى ما ذهب اليه فقد ذكر ابو الفرج في المقدمة نفسها غايته بعبارة أصرح قال « واعتمد (المؤلف اي نفسه) على ما وجد لشاعره (الضمير راجع للصوت) او مغنيه او السبب الذي من اجله

(١) راجع ايضاً خبر اتصاله بالوزير المهلبي ص ٢٠ وما بعدها من مقدمة الاغاني لدار الكتب

قيل الشعر او وضع اللحن خبراً يستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه على اقصر ما امكنه وأبعده من الحشو والتكثير بما تقل الفائدة فيه ، وأن في كل فصل من ذلك يتنف تشاكله ولمع تليق به وتقر اذا تأملها قارئها لم يزل منتقلاً بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرفاً فيما بين جد وهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام تحمل بالمتأدبين معرتها وتحتاج الاحداث الى دراستها ولا يرتفع فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها اذا كانت متحلة من غرر الاخبار ومتنقاة من عيونها ومأخوذة من مظانها ونقلها عن اهل الخبرة فيها » اه وماذا يريد حضرة الدكتور زكي مبارك اكثر من هذا ؟ الا يرى حضرة الدكتور ان ابا الفرج قد تعمّد فائدة القارىء ومده بأوثق الاخبار انتقاها من مظانها ونقلها عن اهل الخبرة فيها — فيما يقول هو عن نفسه . فلمَ نرفض قوله هنا ونقبله هناك ؟ حتى انه في عبارته التي اعتمد عليها الدكتور زكي « ولا لكل ما فيه بعض الفائدة ورونق يروق الناظر ويلهي السامع » يُظهر جلياً انه يهمه الخبر الذي فيه فائدة وان كان ابو الفرج قد وضع اخباره بشكل يروق ، فذلك لا يضيرنا ! وهل يضير الحسناء اذا تجملت ؟ لاسيما وانهُ لم يضع كتابه ليكون مصدراً للتاريخ فحسب بل للادب وللاجتماع ولغيرها واذا صارحنا ابو الفرج الاصبهاني فقال « ان في طباع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء ومن خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن اخبار قديمة الى محدثة ومليك الى سوقة وجدّ الى هزل فليس من المنطق في شيء ان نستنتج ان ابا الفرج كان كاذباً فيما يروي او مكذوباً عليه واذن فكتابه كتاب ادب لا كتاب تاريخ ! بل بالاحرى ان مصارحة ابي الفرج هذه ،دعي بنا نفسّر على ان ابا الفرج لم يشأ ان يقصر كتابه على التاريخ الصرف او الادب الصرف او وصف حياة القدماء فحسب بل جعله مصدراً لفنون كثيرة ففيه تاريخ وفيه أدب وفيه اجتماع ولا اعلم كيف يسهل علينا ان نتكر بكلمة صورة هذه الحياة العربية القديمة التي وصفها لنا ابو الفرج فكانت مصدراً لكثيرين من الباحثين بعده

***

وليس معنى هذا ان ليس على المؤرخ ان يحترس ويحتاط عند رجوعه الى الاغاني فان هذا الاحتياط واجب عند الرجوع الى اي مصدر كان ولا اظن الدكتور يدّعي تفرده بهذا الاحتياط واظن بل اعتقد ان الدكتور زكي مخطىء في زعمه ان المرحوم جرجي زيدان والدكتور طه حسين اعتمدا فقط على الاغاني في ابحاثهما عن الحياة العربية في

عصر الدولة العباسية ولفتةً الى المصادر التي ذكر زيدان انهُ استند اليها تكفي لاقناع الدكتور زكي بخطأه !

اما اذا كان الدكتور يقصد باحترامه ان نرفض كل ما يذكره كاتبٌ اذا لمسنا فيه ضعفاً من ناحية خلقه فليسمح لي ان اهمس في اذنه انهُ لم يحسن استعمال سلاح الاحتراس . وشيء آخر اريد ان اوجّه نظر الدكتور اليه وهو امر الرواية والرواة الذي ردّهُ على الاستاذ الرافعي ومرّ به متهكماً وهذه اول مرة اسمع بكاتب ينكر اهمية الرواية والنهاه علم دقيق لهُ آداب وشروط » وليت شعري لماذا يشك الدكتور زكي بروايات الاغاني اذا كان ليس لعلم الرواية آداب وشروط . واظن الدكتور سيرجع عن رأيه فيسلّم مع الاستاذ الرافعي باهمية الرواية ولو انهُ قرأ ما كتبهُ المؤرخ الالماني الكبير المستشرق فلهوسن في كتابه « الدولة العربية وسقوطها » لما سمح لنفسه بهذا الشطط . ولو لبث الدكتور اطلع على ما يكتبهُ المستشرق الكبير لامانس عن تاريخ بني امية فيرى في كم موضع استند لامانس الى الاغاني واريد ان ينظر الدكتور الى غير هؤلاء من المؤرخين المستشرقين الذين قصروا اوقاتهم على درس التاريخ العربي اكثر مما قصرها حضرته ليرى ماذا يقولون في امر الاغاني ولكن الدكتور زكي يريد ان يسفّه جميع هؤلاء فهو قد تنبه الى شيء لم يتنبه اليه احد من الباحثين

***

ولنعد الى امر روايات الاغاني ان ابا الفرج قد احترس شيئاً ما عند تدوينها فقد ضعّف بعضها وانكر بعضها الآخر وطعن برُواته وذكر ان التوليد فيه بيّن والصنعة ظاهرة وقد ذكرهُ لكي لا يخلو كتابهُ منهُ (١) وهذا تاريخ على نحو ما استطاع ابو الفرج ان يفهمهُ، وقد طعن ابو الفرج برواية ابن الكلبي وجاراهُ غيره في ذلك وطعن بابن خرداذبه عند نقله عنهُ بعد اخبار معبد قال : « وابن خرداذبه قليل التحصيل لما يرويه ويضعهُ كتبهُ » (٢) واذاً فليس من العدل ان نحكم ان ابا الفرج كان يتعمد سرد الاخبار الطريفة لا لشيء الاّ لانها طريفة نادرة ولان النفوس تأنس الى مثل المستطرف من القصص والاحاديث . ولو نظر الدكتور الى هؤلاء الرواة الذين نقل عنهم ابو الفرج لرأى ان امر انكار أخبار الاغاني امرٌ جلل ! فمنهم ابو بكر بن ذكوان ابن خلكان ج ١ ص ٧٠٩ فقال امام عصره في اللغة والادب والشعر . ومنهم الفضل بن حباب الجمحي ولي قضاء البصرة وقد قال عنهُ ابن

(١) اغاني ٧ ص ١٣٣ — ١٣٥ بولاق (٢) اغاني ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب وقد صحح ابو الفرج رواية عمر معبد

القديم ص ١١٤ من الفهرست انهُ من رواة الاخبار والاشعار والانساب . ومنهم علي بن سليمان الاخفش وكان ثقةً فيما يقول ابن خلكان . ومنهم نفطويه رووا عنهُ انهُ كان صادقاً فيما يرويه حافظاً للقرآن ومحافظاً للسير وأيام الناس والتواريخ . ومنهم المؤرخ الكبير ابن الطبري رووا انهُ كان ثقةً في نقله اصح التواريخ واثبتها[1] وان كان قدح بعض الناس كابن الجوزي وغيره في رواية ابي الفرج فليس من الضروري ان يحذف الاغاني من قائمة المصادر العربية لدرس التاريخ العربي . وليذكر الدكتور زكي ان من حق غيره ان يأتيهُ بمن اثنى على صاحب الاغاني خير ثناء. منهم ابن النديم فقد ذكرهُ في الفهرست قال «كان شاعراً مصنفاً اديباً واكثر تصويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط او غيرها من الاصول الجياد ويؤيد هذا انهُ في كتابه الاغاني يروي كثيراً من الاخبار بقوله لسخت من كتاب فلان [2] » ، وذكرهُ ابن خلكان فقال « كان من اعيان ادبائها (بغداد) وافراد مصنفيها وكان عالماً بايام الناس والسير » وذكره ياقوت في معجمه فقال «العلامة النسّابة الاخباري الحفظة الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة لا اعلم لاحد احسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه[3] » ويروي الصاحب ابن عباد قال عن الاغاني « فهو للزاهد فكاهة والعالم مادة وزيادة وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة وللبطال رجلة وشجاعة وللمتظرف رياضة وصناعة وللملك طيبة ولذاذة ... ولقد عنيت بامتحانه في اخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يغرب من اشتاع من قرنهُ بذلك قد اورده العلماء في كتبهم فقاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه[4] » وذكره ابن خلدون في مقدمته قال ، وقد ألف القاضي ابو الفرج الاصبهاني ، وهو اخير كتابه في الاغاني جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وايامهم ودولهم حتى يقول فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب واوفاه [3] واحسبي انهُ ديوان العرب وجمع اشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فنٍّ من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها ، واسى ان يبلغها[4] » ولعل عبارة الصاحب بن عباد «فقاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه» وعبارة ابن خلدون « وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها وسمى له بها » لعل هاتين العبارتين تقنعان الدكتور زكي بنبيهما قد لمسا جمال الوضع في الكتاب ولم يقدحا بفوائده

(١) تحرير لجنة دار الكتب للاغاني ص ١٦ جزء ١
(٢) تحرير لجنة دار الكتب ص ٣٢ — ٣٤ وترى هناك ذكر المصادر التي تشير الى هذا
(٣) الضمير يعود الى الغناء في عبارة حذفناها للاختصار
(٤) تحرير لجنة دار الكتب ص ٣٤

التاريخية ، واذا كان في الاغاني حديث « حلو » او « غريب » او « نكاهة طريفة » او « فائدة لها رونق يروق الناظر ويلهي السامع » اذا كان فيه مثل هذه فهي لا تكفي لان تكر على مؤلفه ان فيه فوائد تاريخية وانهُ اذاً مصدر للتاريخ ايضاً. واريد ان أذهب الى ابعد من هذا فازعم للدكتور ان في الاغاني كثيراً من الاخبار الملفقة التي ربما تكون قد جازت على ابي الفرج فاوردها ولكنها لا تمنع من ان يكون الاغاني مصدراً للتاريخ وعند ما نقول مصدراً للتاريخ لا نعني المصدر الوحيد او الافضل او الجامع المانع بل نعني احد المصادر فحسب وهو الامر الذي انكره الدكتور

جميل ان نحترس عند رجوعنا الى مصدر ما او اخذنا عن مؤرخ ما وجميل ان ندرس خلقه وشخصيتهُ ونفسيتهُ وعقليتهُ واحوالهُ التي احاطت به ونبين اثر ذلك في ما يكتبه فان هذا يعيننا على فهم التاريخ لا على انكاره . أمن الضروري ان كان المؤرخ فاسقاً او مسرفاً شنع الاسراف في اللذات والشهوات ان لا يكون مؤرخاً وان لا يكون صادقاً فيما يروى او يقول او يكتب؟ أو تظن يا دكتور ان ابا الفرج كتب كتبهُ كلها وهو في حالة السكر والمجون والخلاعة حتى تنكرها وتجردها من مزاياها التاريخية ؟

واريد ان اوجّه نظر الدكتور الى انّ المنطق شرط ضروري في البحث العلمي. فقد قال « وفي رأيي ان اخبار ابن ابي ربيعة كلها وضعت تفسيراً لشعره لان كل قصيدة من قصائده تشير الى حادثة من حوادثه الغرامية » ؛ ويرى القارىء ان الدكتور — بكلمة — [illegible] اخبار ابن ابي ربيعة » ثم عاد فبنى آخر مقاله الى ما دسّ على ابن ابي ربيعة اي ان الدكتور يرى رأيين مختلفين احدهما ان اخبار ابن ابي ربيعة كلها ملفقة والآخر ان بعضها صحيح . بعض مدسوس فحسب ! ولو اردت ان تعرف السبب الذي حداه الى [illegible] ابي ربيعة فنظر [illegible] هذا يقول « وفي رأيي ان اخبار ابن ابي ربيعة كلها وضعت تفسيراً لشعره لان كل قصيدة من قصائده تشير الى حادثة من حوادثه الغرامية » منطق ! واستدلال ! تنكر الخبر لانّ فيه شعراً وقد كان الاولى ان يثبت الشعرُ الخبرَ . وأخاف ان يذهب الدكتور الى ان الشعر والخبر مختلفان وهذه ورطة يصعب على مثل الدكتور التخلص منها وفي مثل هذه الحالة يليق بالدكتور قبل تصديه لانكار هذا الشعر ان يدرس الفن الشعري عند عمر والتعابير والمصطلحات واللغة وغير ذلك وأحيله بهذه المناسبة على ما كتب المستشرق الالماني پول شوارز في بحثه عن عمر بن ابي ربيعه [1]

(١) Umars Leben, Dichtung Sprache und Metrik

ولعل الدكتور اساء تطبيق فلسفة الشك فرأى ان وجود ابيات شعرية بمعنى الحادثة دليل على عدم وقوعها او على اختلالها هي والابيات وأريد بهذه المناسبة ان اشعرها ولا حاجة الى اعادة ذكر الحادثة كما رواها ابو الفرج غير انا نلخصها في ان فتيات ارسلن خالداً الحرّيت (القسري) — وقد صار هذا الرسول فيما بعد من اهم الولاة في العراق — ليأتينهن بابن ابي ربيعه متكراً دون ان يعرف انهن ارسلن وراءه وهذه هي بعض الابيات

الم تسأل الاطلالَ والمربعا ... يطن حُيَّيات دوارسَ بلقعا

الى ان يقول فقلت لمطريهنَّ بالحسن اعمدا ... ضررتَ فهل تستطيعُ نفعاً فتنفعا

لئن كان ماحدّثت حقّاً فاأرى ... كمثل الاولى اطريت لي الناس اربعا

حتى يقول فقان اكتفل ثم الثم فأت باغياً ... فسلّم ولا تكثر بأن تورّعا

فأقبلت اهوي مثل ماقال صاحبي ... لموعده ازجي قعوداً موقعا

فلما توافقنا وسلمت اشرقت ... وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

تبالهنَ بالعرفان لما عرفتني ... وقلن امرؤٌ باغٍ اكلَّ واوضعا

وقربن اسباب الهوى لتميم ... يقيس ذراعاً كلما قيسَ اصبعا

فلما تنازعنا الاحاديث قلن لي ... اخفتَ علينا ان نغرَّ ونخدعا

فبالامس ارسلنا بذلك خالداً ... اليك وبيّنا له الشأن اجمعا

فما جئتنا الاّ على وفق موعدٍ ... على ملإٍ منّا خرجنا له معا[1]

يزعم حضرة الدكتور ان الخبر وضع ليفسر هذه القصيدة وليت شعري ما الذي يفهمه الدكتور من هذه الابيات غير هذا الخبر ! فان زعم انهُ يشك في الابيات فذلك له ! ولكن ما الباعث على الشك في نظر الدكتور ؟ الخبر ! فالخبر مكذوب في نظره لان الابيات توافقه والابيات منتحلة في نظره لان الخبر يؤيدها ! بارك الله !

***

وفي الاغاني رواية تؤيد هذا الخبر ونستطيع ان نؤكد للدكتور ان ابا الفرج لم يردها اثباتاً للخبر فقد وقعت قبله ولعل ابا الفرج لم ينتبه الى انها تؤيد ذلك الخبر الذي شك الدكتور بصحته ولم تشر لجنة التصحيح بدار الكتب الى امر هذا الخبر في طبعتها مع انها قد شرحت شيئاً عند ورود اسم القسري رسول عمر. والرواية هذه تتلخص في ان ابن ربيعة خدع رجلاً اسمه بديع واستطاع ان يبعثهُ رسولاً الى بنت محمد بن الاشعث الكندية ، الى ان قال ابو الفرج لقي ابن ابي عتيق بديحاً فقال لهُ يا بديح ! اخدعك ابن ابي ربيعة انهُ

(١) تحذف اكثر ابيات القصيدة لضيق المقام

قرشي ؟ فقال بديع « نعم وقد اخطأه ذلك عند القسري وصواحبه » فقال ابن أبي عتيق « ويحك يا بديع أن من تعابى لك ليغبى عنك فقد ضنّت عليك قبضتك ان كان لك ذهن أما رأيت لمن كانت العاتبة ؟ والله ما بالى ابن ابي ربيعة اوقع عليهن ام وقعن عليه [1] ولا حاجة لنا بالتعليق على هذه الرواية فقد وردت قبل ذكر الخبر نفسه وهي تشير اليه كأنهُ امرٌ متداول معروف ، ورواة هذه الرواية هم غير رواة الخبر فابو الفرج ينقل الخبر عن مصدرين مختلفين [2]

وانتقد صاحب الاغاني خبراً وقال «ان شعره مضعّف» فراح الدكتور يقول «واذا جارينا صاحب الاغاني على وضع الشعر لضعفه فان في شعر ابن أبي ربيعة قصائد يغلب عليها الضعف والانحلال حتى ليبعد معظم شعره عن المتانة التي عرف بها عصره وطبع عليها عدد من قصائده» واظن ان حضرة الدكتور لم يفهم بعد عصر ابن ابي ربيعة وحياته وشعره كما يجب وان ابن ابي ربيعة لم ينظم قصائده كلها في الاسواق الادبية فمن شعره ما نظمه ليتنافس به بعض الشعراء ومنهُ ما نظمهُ تقرباً للفتيات وطالما سألنه ان يطربهن ومنهُ ما نظمهُ ليغنّى وليكون موضوع لهو وسمر ليس الاّ . فمن شعره ما هو مأجور ومنهُ ما هو طبيعي ومنهُ ما هو غنائي وقد كان له صديقان يغنّيان اشعاره احدهما ابن سريج وفيه يقول

يا ابن سريج لا تذع سرّنا قد كنت عندي غير مذياع

والآخر هو الفريض واخباره معها معروفة لا يستطيع الدكتور انكارها واذاً فليس من المنطق في شيء وليس من العلم ان نستدل على ان الشعر منتحل من ضعفه ولو عرف ذلك العصر بالمتانة بل علينا ان ندرس الاحوال التي احاطت بالشاعر عند نظم ذلك الشعر وان نحيط احاطة دقيقة باموره الخاصة من حيث شخصيته الداخلية العميقة وعلاقته مع غيره من حيث هو فردٌ من جماعة يشاركها في حياتها التي تحياها ، وعلينا ايضاً ان نحكم على الشعر بمقياس ذوق العصر الذي قيل فيه ذلك الشعر لا بمقياس ذوقنا

وفي الختام نهنئ الكتاب في الاغاني من روايات ملفقة ومعها عثرنا لصاحبه على عيوب في خلقه يظلّ الكتاب مصدراً مهمًّا لفهم الحياة العربية القديمة وهو اذن ليس كتاب ادب فحسب بل كتاب تاريخ والسلام

جبرائيل جبور
الدائرة العربية في جامعة بيروت الاميركية

(١) اغاني طبع دار الكتب ١ ص ٨٩ (٢) اغاني ١ ص ١٧٤

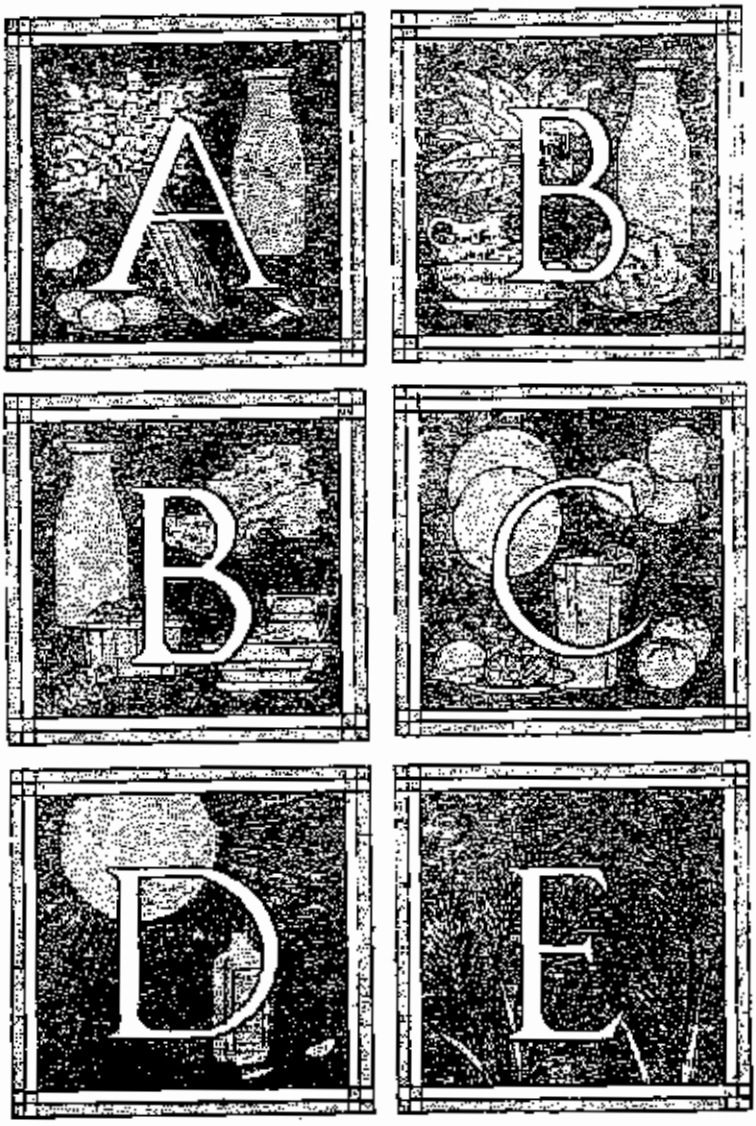

ست صور تمثل انواع الفيتامين المختلفة المذكورة في هذا المقال والمواد الغذائية التي تكثر فيها

مقتطف اكتوبر ١٩٣٠

امام صفحة ٣٢٩

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي نخرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونبذتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

احاديث المقتطف الصحية

للدكتور شاهين

تأثير الفيتامين في الصحة

ان عملية التغذية التي بها تبنى اجسامنا وتنمو وتستمر قائمة بوظيفتها على نظام مطرد هي نتيجة ما ندخله من عناصر ومواد مختلفة في طعامنا الذي نقتات به وعلى قدر ما تكون تلك العناصر والمواد من الجودة في قيمتها الغذائية وطريقة تحضيرها وطهيها تكون الفائدة منها . ومن البداهة ان العقل لا ينتج عملاً مفيداً الا اذا كان الجسم قائماً بتغذيته وتنميته على نظام جيد . وكانت آراء العلماء الى عهد قريب متفقة على ان طعامنا مؤلف من نشويات ودهن وبروتين واملاح غير عضوية على شتى الصور والتراكيب . وان عملية الهضم تجزئه الى اجزاء صغيرة وعملية الهضم تحوله الى غذاء صالح لتنمية انسجة الجسم وتجديد ما يتدثر من الخلايا والانسجة وتمده بقوة ينتفع بها للقيام باعباء الحياة ومطالبها . على ان العلماء وجدوا بتغذيتهم بعض الحيوانات ان طعاماً مؤلفاً من عناصر كيمائية توافرت فيها الاقدار الغذائية المعروفة باهميتها للجسم غير كاف لمقابلة ما يحتاج اليه الجسم من الغذاء الطبيعي وخرجوا من ابحاثهم مقتنعين بان الطعام الصناعي لا يصلح للتغذية مالم تدخل في تركيبه مواد غير المواد النشوية والدهنية والبروتينية والاملاح غير العضوية وان كل حيوان يخلو طعامه منها يذبل عوده ويدركه الموت . وفي سنة ١٩٠٩ بينما كان البحاثة هوبكنز Hopkins يقوم بتجربة طعام تألفت عناصره من مواد تحاكي عناصر اللبن (الحليب) في النوع والاقدار

الغذائية وجد ان الحيوان الذي انقص من هذا الطعام الخاص لم ينتفع منهُ فتوقف نموه . وانهُ لما اضاف الى ذلك الطعام قليلاً من اللبن الطبيعي بدت على الحيوان دلائل الحياة والنمو . وكذلك جرب اللبن المختلف واضاف اليهِ عصير بعض الخضروات فاستمر النموّ في اطراد ولكنهُ لما اطعم الحيوان اللبن ولم يضف اليهِ شيئاً من عصير الخضروات توقف النمو فاتضح له من هذه التجارب ان اللبن (الحليب) والخضراوات تحتوي على مادة ضرورية لقوام التغذية الجيدة وانهُ اذا خلا منها طعام ما بطلت فائدتهُ الغذائية . وبرهنت ابحاث اخرى على وجود مواد بمقادير صغيرة جدًّا في عناصر المآكل الطبيعية وان لوجودها فيها شأناً كبيراً لاستيفاء شروط التغذية الصحيحة ودفع الامراض الناشئة عن عدم وجودها كداء الكساح والاسقربوط وغيرهما . وقد اثبت العلماء حديثاً ستة انواع منها اسموها بالفيتامينات ووصفوها بحسب مفعولها فوجدوا فيتامين A ضرورياً للنمو والانتاج وكل طعام ينقصهُ هذا النوع من الفيتامين يصاب آكله بالضعف العام ويتوقف الجسم عن النمو ويصبح اشد استعداداً للعدوى بالامراض المعدية . ويكثر وجوده في اللبن الحليب والبيض والكبد وزيت السمك واوراق الخضروات

وفيتامين B والاصوب ان نقول فيتامين B المركّب هو عنصران متحدان وانما مستقلان في مفعولها فوجود احدهما في طعام يقي آكله من الاصابة بالتهابات عصبية ويدعى فيتامين B او F ووجود الآخر يقي من الاصابة بمرض البلاغرا ويدعى فيتامين G . او B وان هذا الفيتامين المركب ضروري لتنبيه القابلية والنمو والانتاج وادرار اللبن وتنظيم الجهاز الهضمي ومقاومة العدوى بالجراثيم وهو منتشر بكثرة في عالمي النبات والحيوان . وطعام مؤلف من الحبوب مثل الفول والحمص والعدس والفصوليا الخ واللبن والخضروات يحتوي ولا شك على هذا الفيتامين . ثم هنالك فيتامين C وعدم وجوده في طعام يسبب داء الحفر او الاسقربوط وقد اثبت الباحثين خطورته في منع داء الروماتزم في الاطفال والبالغين وهو يقوي الاسنان ويدفع عنها التسوس الباكر وافضل المصادر لهُ البرتقال والليمون وانواع الفاكهة والطماطم وانواع الحبوب

اما فيتامين E فشهور بالفيتامين ضد العقم وهو يشبه في بعض تركيبه فيتامين A وفيتامين D ولكنهُ يختلف عنهما في انتشاره واماكن وجوده وهو ضروري للانتاج وعدم ادخاله في طعام لمدة طويلة يسبب العقم وليس موجوداً في زيت السمك وانما يوجد في زيوت النبات والحبوب

وفيتامين D مقاوم لمرض الكساح فالطعام الذي يخلو منهُ يصاب آكله بمرض الكساح

واعظم اصاباته تكون في الاطفال وفي حال اضافته الى طعام المصابين بهذا الداء تظهر عليهم دلائل الصحة والشفاء منهُ . واعراض داء الكساح لين بالعظام وتضخم في اطرافها وعدم التئام اليافوخ ولين في نواحي عظام الجمجمة وتغيرات حؤولية في انشية الكبد والطحال واعراض التهابات عصبية وحرارة وتشعريرة واسابه نقص المادة الحيرية والفصفورية في غذائهم ويوجد نوع من الكساح خاص بالبالغين . واهم مصادر هذا الڤيتامين زيت السمك وشعاع الشمس والاشعة البنفسجية وفائدة زيت السمك للاطفال المرضى بذلك الداء معروفة من سنين عديدة وكذلك فائدة تعريض الاطفال لاشعة الشمس تقيهم غائلة ذلك المرض علاوة على انها تشفي المصابين به . ويقولون ان للاشعة البنفسجية هذه الخاصة اي انها تشفي مرض الكساح وتعيد اليهم صحتهم وفضارتهم ولذلك راجت صناعة تعريض بعض الاطعمة لضوءها وكان لها فيها تأثير حسن في مقاومة ذلك المرض والشفاء منهُ . وقد اكتشفوا مادة ارجُسترول Ergosterol في الاطعمة وبمجرد تعريضها للاشعة تصح اداة قوية الاثر في الوقاية من مرض الكساح . ان هذه المادة موجودة في الجلد وان من تعريض الجلد لشعاع الشمس او للاشعة البنفسجية ينشأ ڤيتامين D . وثبت ان الارجسترول اذا تعرض للاشعة يتحول بالفعل الى ڤيتامين D وسمي لذلك ڤيوسترول وقد ادخلوا هذا العنصر الى بعض الزيوت تسهيلاً لاستعماله وجني فوائده واهم هذه الفوائد انهُ يقي من داء الكساح ويشفي المصاب به وله تأثير خاص في حالات اضطرب فيها نظام تمثيل الاملاح الحيرية والفصفورية واصبحت بسبب ذلك عرضة لداء الكساح وغيره من الادواء . وهذا يعني ان في اكتشافهم عنصر الڤيوسترول وفوائده وادخاله بعض الزيوت والادوية قضوا على ذلك الداء وشموهُ من الذيوع ولو الى حد ما وأراحوا الاطفال من طعم زيت السمك الكريه مع انه يحتوي على مائة ضعف ما يحتويه زيت السمك من فائدة غذائية ودوائية ولهذا يجدر بان لا يتناوله احد الا برأي الطبيب المعالج

وكان لاكتشاف ڤيتامين D في تعريض بعض المآكل للاشعة ان جعل لها تأثيراً كبيراً في معالجة داء الاسقربوط او الحفر وأكسبها ميزة دوائية فضلا عما لها من الفائدة الغذائية . وقد يعترض معترض فيقول ان هذه الابحاث لا تزال في دور التجربة والاختبار فلا ينبغي وهي في هذا الدور ان يقطع بصحة ما قيل فيها ووصلوا اليه من نتائج حسنة في بحثها الا بعد ان تجتاز ذلك الدور وتدخل في دور الاستقرار . وهذا حسن وقول معقول ولكن مع ذلك فان النتائج التي وصلوا اليها في ابحاثهم هذه تدل دلالة قاطعة على صحتها وثبوت ما ذهبوا اليه من فوائدها . وفي الامكان ان نعول على تأثير الڤيوسترول وفائدة

مزجه بزيت السمك وغيره من الزيوت والمآكل في مداواة مرض الكساح والاسقربوط وغيرهما من امراض الطفولة وقد اختفت بصحتها الهيئات الرسمية وأُنيلت العامل على التفنن في ادخال هذا العنصر الى انواع كثيرة من الادوية والمآكل

واذا شئنا ان نجمع الى فيتامين A فيتامين C و D فليس علينا ان نأخذ مع زيت السمك عصير البرتقال الذي هو من احسن مصادر فيتامين C

وليس من خوف على البالغين الا يكون في طعامهم احدى هذه الفيتامينات او كلها فان اي طعام دخل في تركيبه الخبز والزبدة والبيض والخضروات الطبيعية والمطبوخة فقد اندمج ولا شك في بعض عناصره احدى تلك المقومات للحياة . وانما الخوف على الاطفال الا يكون في غذائهم الصناعي ما يجب ان يكون من تلك الفيتامينات اللازمة لنموهم ونضارة صحتهم ودفع الامراض عنهم

الصحة واطالة الحياة

لسر وليم اوبوتنوت لاين

[خاصة بالمقتطف]

شاقنا ما رأيناه في السنين الاخيرة من الاهتمام بمسألة اطالة مدى الحياة وما دار بهذا الصدد من المناقشة في تقدير عدد السنين التي يعيشها الفرد العادي المملوء صحة ولا يشكو مرضاً . والجواب السديد عن ذلك يتوقف على معيشة الشخص والنظام الذي يتبعه في حياته . وما من شك في ان الناس يعيشون اليوم عمراً اطول مما كانوا يعمرون منذ خمسين وستين سنة مضت ، ومع ذلك فقد يكون في اطالة مدى الحياة لمن لا يتمتع بصحة جيدة شقاء وبلاء غير مرغوب فيهما . وانه يوجد أفراد تجاوزوا المائة سنة ولكن معظمهم ضعيف الجسم والعقل لا يصلح لعمل ما فهم موجودون بالصورة فقط وانت لا تحب ان ترى العالم مملوءاً بهؤلاء كما وانك لا تحب ان تعيش عالة على سواك وانما تريد ان تكون حائزاً على صحة جيدة وقوة ونشاط وانت في المائة كما لو كنت في الستين من العمر

والمسألة الكبرى التي تشغل بالنا ونريد معالجتها الآن هي الاهتداء الى وسيلة تمكن بها من انتاج شعب سليم من الامراض او في مناعة خلقية من شرها وان يكون متمتعاً بصحة ونشاط جيدين. ومسألة كهذه لا تتم في دقائق ولا في ساعات وانما تحتاج الى سنين وأجيال . ومن البديهيات ان ليس في امكان احد ان يعمر طويلاً ما لم يولد سليماً من

الامراض قوي البنية. ويثبى على القواعد الصحية . والانسان في جسمه وتركيب اعضائه اشبه بمكنة سيارة فان كانت جيدة التركيب والصنعة والمعدن استطاعت ان تعمل طويلاً. كذلك الانسان ان احب ان يعيش طويلا عليه ان يعتني بصحته والنظام الذي يتبعه في معيشته . والغريب ان يعتني الانسان بسيارته اكثر مما يعتني بصحته فكثيراً ما تجده يختار لها اجود انواع البنزين والزيوت ويتفقدها بالنظافة وما تحتاج اليه من اصلاح وترميم ولا تجده يعتني مثل هذه العناية بصحته ونظام معيشته وأنواع ما يتغذى به من طعام . وقد تحار في تعليل هذا الاهمال منه بصحته والعناية بسيارته ومع ان كثيرين من النشء الجديد قد بدأوا يراعون القواعد الصحية ، فلا يزال هناك نقص كبير فيها ولا يزال باب العمل للمصلحين مفتوحاً على مصراعيه . وكم هو يا ترى عدد الذين يعتنون بما يأكلون ويفكرون فيه ويلتفتون اليه كما ينبغي ؟ ولا شك ان عددهم قليل ولكنه على ازدياد . لم يكن يعيش الانسان في الماضي القريب على الخبز الابيض كما يفعل اليوم وقد ساقه الى نبذ الخبز الاسمر من طعامه حبه في الجري على سنن الحضارة والمدنية ولكن لحسن الحظ ادرك بعض العقلاء فوائد الخبز الاسمر وافضليته على الخبز الابيض فأقلعوا عنه وعادوا الى اكل الخبز الاسمر. وقام موسوليني في ايطاليا فأمر وأمره نافذ كما تعلم ان يطل الشعب الايطالي اكل الخبز الابيض. ومن الثابت ان نتيجة ذلك الامر بدت في التحسن الذي ظهر على صحة الشعب الايطالي منذ تنفيذه

ومن ادل الدلائل الاخرى على ان البعض قد ابتدأ يفكر بصحته ويعيرها قسماً وافراً من اهتمامه اكثاره من اكل الخضروات والفاكهة وانت تعلم مقدار ما يجنيه الجسم من الفائدة منها ولا سيما اذا كانت غير مطبوخة . وقلما يهتم الانسان بمقدار الماء الذي يجب ان يشربه وفي الغالب يشرب كثيراً من الشاي والقهوة وغير الشاي والقهوة ولكنه لا يشرب الا في النادر المقدار الذي يحتاج اليه جسمه من الماء مع ان اعضاء الجسم الداخلية تحتاج الى الماء للتنظيف والتخلص من بعض المفرزات والجسم العادي يحتاج الى عشرة ارطال من الماء في اليوم وبعضهم مع الاسف لا يشربون هذا المقدار في سنة . والخلاصة ان الانسان على العموم غير متبع في تغذية جسمه النظام الذي يعلم انه النظام الاصلح فتراه لا يعنى لا كثيراً ولا قليلاً في طعامه وبدلاً ان يأكل المفيد النافع له منه يختار ما فيه من تفاهة في الغذاء تمشياً مع روح الاناقة والمدنية وبذلك يحرم نفسه اهم العوامل في اطالة الحياة

ويظهر مما تقدم ان اول ما يجب عمله في خلق شعب سليم من الامراض قوي البنية

يعيش افراده بصحة تامة هو ان نعلم النشء الجديد القواعد الصحية ولاسيما الفتيات لانهن امهات المستقبل ولهن الاثر الحميد في تربية الاطفال تربية صالحة . وهناك عوامل كثيرة تمكننا من مساعدة الفرد على التنعم بصحة جيدة ولكن هذا لايعني ان في استطاعة احد ان يعمر طويلاً لان للوراثة التي لا حكم لنا عليها دخلاً كبيراً في ذلك انما في امكان كل واحد تقريباً ان يعيش على نظام صحي اذا شاء الاهتمام بصحته وان يمد في اجل حياته حتى يدرك المائة

وليس من الضروري ان يموت بسبب مرض السرطان او غيره من الادواء بل يجب ان يذهب من هذه الدنيا وقد حان اجله وقد ما في سراج الحياة من زيت كما تذهب السيارة ويبطل عملها لنفاد ما كان فيها من صلاحية للعمل

بخر الفم

أصبت وأنا في الثالثة من عمري أي منذ عشرة سنوات بالرائحة الكريهة في فمي ولا ازال اعاني هذا المرض للآن حتى قنطت من الشفاء فهل هناك دواء لدائي وهل يمكن الشفاء منهُ بعد كل هذه المدة الطويلة مع العلم ان اسناني سليمة

م . ي . ص
بمصر الجديدة

لهذه العلة اسباب عديدة . نبحث عنها في الفم اولاً فاذا وجدنا الاغشية سليمة لا التهابات ولا قروح فيها . يحثنا الاسنان فقد يكون في جذورها التهاب غير منظور ولا محسوس به ولا يكشفه غير الاشعة . ثم نبحث الانف فقد تصاب الاغشية الداخلية بالتهاب او قروح خبيثة . وبعد الانف نبحث المعدة وعصيرها قبل الاكل وبعده واذا وثقنا من سلامة الشاء لا قرحة فيه ولا التهاب وكان تفاعل عصيرها عادياً عمدنا الى الدم

فانت ترى ان الاسباب عديدة وقد يتشعب منها اسباب غيرها لم نذكرها للاختصار ، ولذلك يستحيل علينا تعيين الدواء قبل الثبت من اسباب الداء ومع هذا نشير عليك ان تستعين بطبيب لتحري عن السبب ومتى عرف السبب سهل العلاج والتغلب على الداء . وربما كان غسل المعدة بالماء الفاتر في الصباح مفيداً ومثله الاكثار من اكل الخضرة ولك ان تستعمل هذا الدواء Euthymol صنع بارك ذافيس فانهُ مفيد ويستعمل غرغرة وشرباً . وعلى رغم استعصاء هذه العلة احياناً فلا أرى ما يدعو الى اليأس من الشفاء منها الا اذا تعذر علينا معرفة اسبابها

باب الزراعة والاقتصاد

تركيب النحل

للدكتور احمد زكي ابو شادي وهو فصل عملي من كتابه الجديد « تربية النحل »

من يظن ان الطفل الصغير يكون قليل الصبر امام الدراسة العلمية الصميمة متى كانت جذابة فهو يخطىء كثيراً . وقد برهن تحالي الطفل صدق هذا الحكم اتم برهان ، لاني بينما كنت اشفق عليه من جفاف هذا الموضوع كان هو يبرهن بالتفاته واستماعه اني على غير صواب في استنتاجي . وتركته برهة ذهبت فيها الى المنحل وعدت ببعض نماذج من النحل في انبوبة زجاجية مغطاة وبينما تحل حملت الطفل على ارجلها الخلفية

قلت : جميع هذه النحل يابني (سواء هذه الملكة التي احتفظت بها لهذا الدرس وإن كانت ميتة ، او النحل العاملة او الذكور) لها هيكل خارجي مؤلف من هذه الدرعة المتينة المسماة بالحلبتين يغطيه شعر دقيق من صنفه في معظمه ، وعندي ان هذا اوفق من هيكلنا العظمي للستر . وبعض هذا الشعر له وظائف خاصة : فمنه ما هو عضو لحاسة اللمس ، ومنه ما يصلح فرشاة . ومنه ما يجمع به الطلع ، بل منه كذلك ما هو شبيه بالدثار او الواقي ومنه ما هو مظهر للزينة وترى يابني ان جسم النحلة — بغض النظر عن جنسها — مؤلف من ثلاثة اجزاء رئيسية : الرأس والصدر والبطن ، وهي امامك واضحة في هذه النماذج المتنوعة الصغيرة والكبيرة ، كما لحظتها بلا شك في صورة قطاع النحلة النصفي المستطيل الذي ترى فيه جهازها الدموي وكذلك جهازها العصبي وجهازها القصبي الهوائي ، فضلاً عن الحاجزين الحاجزين الحلقي والاماسي فتأمل في كل ذلك فهذا اوانه

الرأس

يتألف رأس النحلة من جملة اعضاء ظاهرية وباطنية . ففي الظاهر ترى هذه العيون البسيطة في هذا المثلث الصغير الواقع في المسافة الفاصلة بين العينين الكبيرتين في كل من الملكة والعاملة وفي مقدم الوجه في البمخور ، وترى هذين القرنين (وهما من الزوائد المفصلية الحساسة) وترى اجزاء الفم . ويحتوي الرأس في باطنه المخ وامتداد الدورة الدموية وغدد

التغذية وغير ذلك ، وهذا موضح الى حد ما في هذه الصورة الكبيرة التي تمثل قطاعاً مستطيلاً في منتصف جسم النحلة العاملة ، وهذه الصورة اول ما استرعى انتباهك في هذه الترفة . واليك العدسة المكبرة فانظر بها الى رأس الملكة والى رأس العاملة ولاحظ الاختلاف النسبي في مقاييسهما . واني احب ان ترى هذه الاشياء مكبرة لان التكبير يساعدك على تبين اسرارها ، ومن اجل ذلك اعرض عليك كثيراً صوراً مكبرة ، ولكن لا ينبغي ان ينسيك هذا مقاييسها الحقيقية كما تشاهدها بنفسك

وفائدة هذه العيون الصغيرة انها تساعد النحلة على تقديرها المسافات تقديراً صحيحاً خارج الخلية وعلى تبين الاشياء القريبة منها داخل الخلية

وأما العينان الكبيرتان فوضعها — كما ترى — على جانبي الرأس وهما صغيرتان نسبيًّا في النحلة العاملة وكبيرتان في اليعسوب حيث تتصلان ببعضهما في منتصف الرأس بينما تفترقان في كل من رأسي الملكة والعاملة . ولكبرها في اليعسوب صلة باكتشافه السريع للملكة العذراء اثناء طيرانها للتلقيح . وتتألف العين المركبة من عيون صغيرة (عينات) دقيقة مترابطة . ويبلغ عدد هذه العينات في اليعسوب ٢٦٠٠٠ وفي العاملة ١٢٠٠٠ وفي الملكة ١٠٠٠٠ عينة مكونة للعين المركبة ، وكل عينة عبارة عن عدسة سداسية الشكل . وبهذه القوة البصرية العظيمة المسيطرة على كل اتجاه تقريباً تستطيع النحلة ان تشرف بنظرها على مجال فسيح من المرئيات لا يمكن ان ندركه بواسطة العين البسيطة

ونرى في الرأس هذين القرنين الاسطوانيين ، وهما يمتدان بالقرب من بعضهما امام الرأس . ويغطيهما شعر خفيف يمكنك ان تراه بواسطة هذه العدسة المكبرة وتستطيع النحلة تحريكهما بسرعة في اي اتجاه تقريباً لان مفاصلها العديدة (وعددها ١٢ مفصلاً في كل من الملكة والعاملة و ١٣ مفصلاً في اليعسوب) تصف كروية ، وتسيطر على كل منها ثلاثة عضلات نشيطة . ولهذين القرنين فائدة عظيمة لحاسة اللمس في التخاطب بين النحل . فهما بمثابة العلمين الصغيرين اللذين يحملهما الجندي او الكشاف المكلف بالتراسل بواسطة الاشارة مع زميل له . وهكذا تستطيع النحلة بواسطة حركات قرنيها ان تخبر زميلتها بما تشاء ، فهما اذن — على ما يرجح — أداة للتعبير والافصاح تحل محل الكلام بين النحل

ولعل اهم ما يسترعي انتباهك من اجزاء الفم هذان الفكان وحركتهما جانبية ، وهما مغطيان بالشعر ولهما قوة محسوسة في العمل وفي الدفاع . وتجدهما مفلولين وخشنين في كل من الملكة واليعسوب . وأما الشفة العليا الواقعة بينهما فتتحرك الى اعلى . وأما المبلغ

منظر جانبي لنحلة عاملة وهي تنقل قشرة شمع الى فمها

نحلة عاملة حاملة بحملها من الطلع الى الخلية

السطح الداخلي لرجل الخلفية
من نحلة عاملة

السطح الخارجي لرجل الخلفية
من نحلة عاملة

السطح الخارجي لرجل البيخور الخلفية

منظر جانبي لنحلة عاملة وهي تفصل قشرة شمع
مشطف ١ اكتوبر ١٩٣٠

منظر امامي لنحلة عاملة وهي تفصل قشرة شمع
إلى الصفحة ٣٣٦

صورة نحلة طائرة وهي تضرب على كريق الطلع برجليها المتوسطتين لكي تحزمها جيداً

صورة نحلة طائرة تمثل حركة رجليها الخلفيتين أثناء جمع الطلع

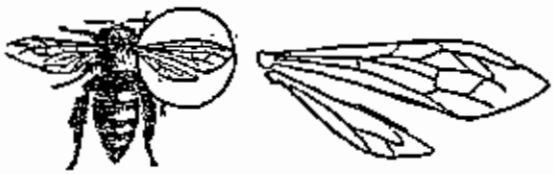

جناحا النحلة العاملة على الجانب الايمن ، وترى النسمة المكبرة هيئة الخطاطيف في الحافة الامامية للجناح الخلفي كما ترى ثنية الاشتباك في الحافة الخلفية من الجناح الامامي وبهما ينفصلان احدهما عن الآخر

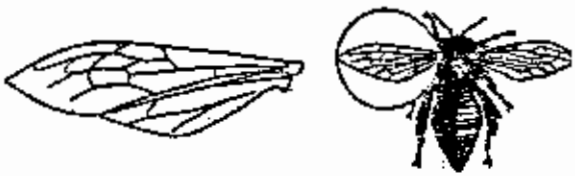

جناحا النحلة العاملة على الجانب الايسر وهما في حالة اشتباك

رأس الملكة

رأس العاملة

او رفرف الثة فلا يظهر لك الا عند ما ترشف النحلة سائلاً وحينئذ يكون سنداً للسان ويساعد على تحويله الى خرطوم . وبعبارة اخرى أن الفكين هما عضو القضم في النحلة ، وهي تستعملها لتناول الشمع والعلك (بكسر العين وتسكين اللام) والتصرف في شكلها كما تشاء ، كما أني اراها تستعين بالفكين في حسن تهيئة بيوت الاقراص قبل أن تبيض الملكة فيها وهذا مما يساعد على اطالة النفع لعيون الاقراص القديمة، وكذلك لتلس المواضع الخشنة — مثل ردهة الخلية — التي لا ترغب في بقاء خشونتها وهو ما يمكنك يا بنيَّ ان تشاهده بنفسك اذ ترى النحلة المشغولة بهذا الواجب تثبت ارجلها الاربعة المؤخرة وتترجح بقية جسمها الى الامام والى الخلف وفكاها على سطح ردهة الخلية محاولة تضم ما يعترضها من خشونة . وهذا مشهد تلذذت برؤيته تكراراً وكنت في اول الامر حائراً في تفسيره. ولفكي النحلة فائدة في الدفاع وذلك بعض جزء من عدو مهاجم مثل احد ارجل الثفور او رجل نحلة سارقة ، وكذلك في طرد اليعاسير والقضاء عليها

وأما عن لسان النحلة فانها تخفيه منثنيًا تحت ذقنها وتبسطه حسب الحاجة وذلك بتأثير عضل قابض وآخر باسط . ويغطي اللسان غلاف عليه شعر بعضه حساس ، وفي طرف اللسان توجد ملعقة صغيرة لها شعر دقيق جداً . فاذا ارادت النحلة امتصاص مقدار كبير من سائل حركت لسانها بقوة الى الامام والى الخلف بتأثير الانسجة المطاطة في وسط اللسان فيتجمع السائل على شعره ويمتص بواسطة الانبوبة التي يكونها مع الاعضاء الحافة به حتى يبلغ البلعوم فتبتلع النحلة هذا السائل . وللملعقة التي في طرف اللسان فائدة عظيمة في جمع المقادير القليلة من السوائل . والمعروف بالقياس العلمي ان لسان النحلة العاملة أطول من كل من لسان الملكة واليعسور وذلك لانها تستعين به في جمع الرحيق من الازهار بعكس الآخرين

الصدر

وأما عن صدر النحلة — وهو هذا القسم المتوسط من جسمها — فيتألف من ثلاث فلق تدمج بعضها في بعض في النحلة البالغة بحيث يصعب تمييز هذه الفلق. والصدر هو مصدر حركة النحلة لانه جامع بين اجنحتها وأرجلها . والفلقة (بكسر الفاء وتسكين اللام) الامامية المجاورة للرأس هي التي تحمل الرجلين الاماميين ، وتتصل بالفلقة الثانية الرجلان المتوسطتان والجناحان الاوليان ، حيما تتصل بالفلقة الثالثة الرجلان الخلفيتان والجناحان الثانويان ، وتدمج هذه الفلقة الصدرية الخلفية بالفلقة الامامية من البطن . وهكذا نجد النحل ثلاثة ازواج من الارجل وزوجين من الاجنحة ، وكلها متصلة بفلق الصدر الذي يغطيه شعر دقيق تراه اكثر ما يكون في النحلة العاملة لانه يساعدها على جمع الطلع من الازهار ،

تراه اقل كثيراً في الجمهور كما تجده فيه خشناً اهلب وهذا يساعده على التشبث بالاشياء، حينما صدر الملكة يبدو شبه مجرد عن الشعر . وأما عن ارجل النحلة فكل منها تتألف من تسع فلق وهاك زوج من المخالب في طرف الفلقة الاخيرة . وتلاحظ ان الفلقتين الاوليين قصيرتان وتتبعهما الفلقتان الرئيسيتان وهما الفخذ والساق ، وأما بقية الفلق الخمس فتؤلف القدم وتلاحظ ان اولى هذه الفلق القدمية كبيرة وتكاد تماثل الساق في حجمها

ولهذه الارجل وظائف متعددة الى جانب وظيفتها الرئيسية وهي الحركة فعلى كل من الرجلين الاماميتين جهاز مخصص لتنظيف القرنين . وهذا « المنظف » عبارة عن حز مستدير بقرب قاعدة الفلقة الاولى الكبيرة من القدم وله اسنان شبيهة بأسنان المشط كما ترى — إذا ما دققت النظر بهذه العدسة — ان لهذا الحز شوكة بارزة الى الخلف من نهاية الساق بحيث تقفل الشوكة هذا الحز في حالة انثناء الرجل فاذا ما ارادت النحلة تنظيف قرنها سحبته داخل هذا الحز المستدير وبذلك تستطيع بمشط قرنها وتخليص ما عليه من تراب ، الخ . وترى على كل من الرجلين المتوسطتين شوكة في الطرف الاسفل من الساق لاجل الاستعانة بها على حل كريات او حبيبات الطلع التي تحملها النحلة على رجليها الخلفيتين عند ما تحضرها الى الخلية غذاء لها ولديدانها الكبيرة . وأما الرجلان الخلفيتان فأهميتها عظيمة ، وتحمل كل منها ثلاثة اجهزة هامة وهي : (١) كلابة الشمع — وهذه موضعها عند المفصل الواقع بين الساق والفلقة الاولى الكبيرة من القدم . ومن حيث انها عريضتان فان المفصل يكون زاوية حادة بين طرفيها تختفي وتظهر بثني الرجل وباستقامتها تباعاً عند هذا المفصل ، وهكذا تستعمل النحلة هذه الزاوية من الفراغ عند هذا المفصل كما تستعمل نحن الكلابة وهذا الجهاز تنتفع به النحلة احياناً في حل قشر الشمع المفروز من تحت بطنها وان كانت غالباً تكتفي باستعمال اشواك الشعر الذي على الساق والقدم . (٢) مشط الطلع — وهذا عبارة عن اسنان عديدة شبيهة بأسنان المشط تجدها على السطح الداخلي للراجبة الكبيرة من راجبات القدم (ويطلق على هذه الراجبة كذلك اسم « الوظيف »)

واعلم يا بني ان النحلة عند ما تزور زهرة من الازهار فانها تجمع الطلع بلسانها وبرجليها الاماميتين ويشتبك جانب منه في شعر الصدر . وحينئذ تسرح النحلة هذا الشعر بواسطة « مشط الطلع » وتنقله الى (٣) سلة الطلع — وهذه السلة موجودة على السطح الخارجي من الساق الخلفية ، اي ان للنحلة سلتين . وهذه السلة عبارة عن حاشية من الشعر تحيط بسطح مقعر املس هو في الواقع معظم السطح الخارجي للساق . ويوضع فيها الطلع (العكر) محزوماً بعد ان تمشطه النحلة من على شعرها ، ثم تنقله الى عيون الاقراص المخصصة له

في الخلية . وهذه اعتيادياً تواجه آخر قرص للحضنة من اليمين ومن اليسار ، كما ان من عادة النحل ان لا تخلط كل طلع بآخر بل تبقيه خالصاً ، فتبدو عيون الطلع في القرص مختلفة الالوان . ويحسن بي ان اشير الى ان مشط الرجل الخلفية اليمنى تساعد على ملء « سلة الطلع » في الرجل الخلفية اليسرى ، العكس بالعكس . وها انت ترى يا بني بين نماذج النحل في هذه الانبوبة الزجاجية من تحمل طلعاً اصفر من رجليها الخلفيتين وهو من زهرة البرتولاكا التي اعدها من احسن ازهار النحل العسلية . وأرجوك ان تلاحظ كذلك ان كلاً من الملكة واليعسور مجرد عن هذه الاجهزة التي اشرت اليها اذ لا حاجة لها بها . ولكن من حيث ان الملكة كثيرة المشي على اقراص الخلية ، بل هي تقضي حياتها مشياً في البحث عن العيون الخالية لتبيض فيها — متى وجدت التشجيع الصالح لها من الغذاء والجو ومن عناية نابماتها — فقد منحتها الطبيعة ارجلا اكبر من ارجل العاملة واليعسور في حين ان اليعسور له اصغر الارجل

وأما عن قدم النحلة فيتألف — على ما ذكرت لك — من خمس قلق ، وللقلقة الرسغية الاخيرة خطافان ، ويمكنك التحقق من كل ذلك بواسطة هذه العدسة المكبرة . ولهذين الخطافين قوة عظيمة ، ويمكن تليهما إلى أعلى او الى اسفل حسب مشيئة النحلة . وتستطيع النحل بواسطة هذه الخطاطيف ان تتعلق باقراصها أو بأشياء أخرى مثل أعلى الخلية كما تستطيع أن تتعلق بعضها ببعض في هيئة حبال أو سلاسل أثناء بناء أقراص الشمع أو إذا ما اجتمعت لها بعد الاشياء . وتوجد بين هذين الخطافين وسادة صغيرة تفرز مادة زيتية لزجة تستعين بها النحلة على المشي فوق السطوح الملساء (كالزجاج ونحوه) او على الالتصاق بها

وأما عن اجنحة النحلة — وهي متصلة كذلك بالصدر — فعددها اربعة وترى جناحي كل جانب على صلة وثيقة ببعضهما بحيث يظهران كجناح واحد . وهذه الصلة بين الجناحين يحققها صف من الخطاطيف على الحافة الامامية للجناح الخلفي تشتبك في ثنية للحافة الخلفية من الجناح الامامي . وتقوى اجنحة النحلة شبكة من الخطوط متجهة في جهات معينة ، وترى الاجنحة غشائية رقيقة بين هذه الخطوط

ويهمك أن تعلم يا بني أن اشتباك الاجنحة اثناء الطيران يزيدها قوة ، وهذا مثال آخر لنتيجة التعاون ، فتزداد سرعة طيران النحلة . ومتى استقرت النحلة بعد طيرانها انفصلت هذه الاجنحة عن بعضها وغطت ظهر البطن ، وبذلك تستطيع النحلة أن تدخل جسمها طي عين من عيون القرص لافراغ ما معها من رحيق او طلع . ولا تنس أن تلاحظ أن أجنحة اليعسور اكبرها في حين أن أجنحة النحلة العاملة هي اقصرها . وقد احصى

العلماء اهتزازات هذه الاجنحة في الثانية فاختلفت من ٩٠ إلى ٤٤٠ اهتزازة فتأمل في هذه القوة العجيبة ! كذلك ربما ادهشك أن تعلم أن النحلة تستطيع أن توقف أجنحتها فوراً كما تستطيع أن تطير الى الخلف. وعندما تعاد النحل السارحة خلية تطير بسرعة تختلف ما بين ١٥ و ٢٠ ميلاً في الساعة، وتخف السرعة عند عودتها إلى الخلية وهي مثقلة بالعسل أو الطلع أو بكليهما ، فقد لا تتجاوز السرعة حينئذٍ ١٢ ميلاً في الساعة بل ربما هبطت إلى نصف ذلك في حالات استثنائية كهبوب ريح مضادة مثلاً . ويمكننا ان نعتبر مدى طيران النحلة في المتوسط مسافة ميلين ، وإن جاز ان تسرح النحل في حالات استثنائية الى ثمانية اميال بحثاً عن غذائها

البطن

البطن هي آخر الاجزاء الثلاثة المكونة جسم النحلة. وهي في ظاهرها بسيطة التركيب لانها تتألف من مجموعة من الحلق متراكبة بعضها على بعض وليست لها حواش ظاهرة . وهي متصلة بالصدر بواسطة أنبوبة صغيرة تسمى « الخصر » أو « البيول » . وتلاحظ أن بطن هذه النحلة لها في ظاهرها ست حلقات أو حلقات مكونة من المادة الدرعية التي تسمى « الحيتين » . وكل من هذه الحلقات مؤلف من صفحتين إحداهما خلفية والاخرى أمامية، ولا يفوتك ان بطن الملكة أطول من بطن كل من العاملة واليعسور ويجد طرفها مستدقاً ، كذلك لا يفوتك ملاحظة أن أغشية فرز الشمع لا توجد إلا عند العاملات

وتوجد في البطن اجهزة هامة يختلف بعضها باختلاف النحلة لان اعضاء التناسل مثلاً في اليعسور غيرها في الملكة ، وكذلك كيس العسل في النحلة العاملة ميزة خاصة بها

يوجد كيس العسل في مقدمة البطن وهو متصل في اعلاه بالمرىء أي بمجرى الطعام إلى الصدر ثم الى الفم ، ومتصل في اسفله بالمعدة وهذه متصلة بالمعا الدقيق ثم بالمعا الغليظ (القولون) . ويوجد بين كيس العسل والمعدة « فم المعدة » الذي تستطيع النحلة بواسطته أن تمنع محتويات كيس العسل من التسرب الى المعدة او تسمح لها بذلك . والغرض من كيس العسل ان يكون مستودعاً للرحيق الذي تجمعه النحلة من الازهار حتى تعود الى الخلية فتمجه (مرجعاً الى فمها بواسطة انقباض العضلات) في احد عيون القرص ومتى نضج هذا الرحيق في القرص سمي « عسلاً » . ويتم هذا النضوج بواسطة التبخير وبواسطة ما اضافته النحلة اليه من خميرة غددها اللعابية . اما اذا شاءت النحلة ان تتغذى بجانب من هذا الرحيق المجموع او بكله فمن السهل عليها ان تسمح بمروره من صمامة فم المعدة الهاضمة. ولاشك عندي في انك تريد ان تعلم ما هو حجم كيس العسل ، فاعلم يا بني أن فراغه لا يحمل اكثر من ثلث قطرة من العسل وان كانت النحلة لا تحمل في المعتاد اكثر من خمس قطرة

ومن محتويات البطن إبرة النحلة وهذه تتألف من غمد صلب ينتهي الى شفرة حادة مسننة مرشدة لسنان الابرة . ولهذه السنان حواف شائكة وهي متصلة في اعلاها بمثلات مركبة تساعد النحل على طعن ابرتها في الاشياء الجامدة . ويتصل بغمد الابرة كيس السم الذي يستمد محتوياته من غدة خاصة . وعند ما تلسع النحلة يدفع هذا السم بقوة من الكيس الى قنوات السنان وإلى الفتحات بين اشواكها حتى يبلغ عمق الجرح الذي احدثته اللسعة وحتى يفرغ كيس السم محتوياته ما لم تنزع الابرة فوراً من محل الاصابة وفائدة اشواك السنان انها تثبتها في الجزء الملسوع ، وتبعاً لذلك لا تستطيع النحلة اخراج ابرتها الا بحركة لولبية على مثال اخراجنا المثقب من الخشب وما لم تكن النحلة متعجلة بعد اللسعة او ما لم يلجأ الملسوع الى قتلها من فرط الالم في امكاننا مشاهدة ذلك ؛ ولكن المعتاد أن النحلة تترك ابرتها في محل اللسعة ومعها كيس السم وغدته . ولكيس السم حركة منعكسة بمعنى انهُ يستمر على انقباضه مستقلاً حتى بعد انفصاله مع الابرة عن جسم النحلة ، ولذلك ينبغي نزعها فوراً من محل الاصابة بطرف الظفر مع الحذر من الضغط على كيس السم ، كما يوضع فوراً على محل الاصابة قليل من صبغة الصبر أو من محلول النشادر أو من البلة المستعملة في المخلل . والنحلة بغريزتها تعلم ما تستهدف له من القضاء على حياتها بعد ان تلسع احداً ، وهي لذلك تتجنب اللسع جهد طاقتها الا في الدفاع عن النفس او عن طاقتها ، وهذه فضيلة عظيمة . فمن الواجب علينا إذن يابنيَّ أن لا نستثير غضب النحل ، بل علينا أن ندرس طباعها وحسن معاملتها الواجبة واعلم ان لسع النحل مفيد طبيًّا على اي حال ضد الروماتزم ، وان النحال يكتسب مناعة ضد اللسع بحيث لا يسبب ورماً يذكر عنده فيما بعد ، ومع كل فالورم الذي ينشأ عن لسع النحل ينصرف بسهولة وليس مؤذيًا كلسع الزنابير والشفافير القذرة لان النحلة حشرة نظيفة لا تحط الا على الازهار والحلوى وليس سمها قاسياً كسم الزنابير والشفافير . ومما يدهشك أن تعلم أنهُ يندر ان ترى النحلة دافعة بابرتها للسع بغير ان تتبين الجسم الذي تريد لسعه وذلك بواسطة ملامسين بالقرب من طرف ابرتها ، ولهذين الملامسين شعور حساسة وأطراف عصبية دقيقة تساعد الحشرة على ان تكتشف هل الموضع الذي تنوي لسعه صالح لذلك أم لا . وعلينا أن نلاحظ ان ابرة الملكة منحنية وليست مستقيمة كابرة العاملة كما انها اطول . وهي تعرف بغريزتها أهميتها للطائفة ولذلك لا تستعمل ابرتها سلاحاً لها لا في الهجوم ولا في الدفاع الا اذا اضطرت أشد اضطرار الى ذلك . واذا استعملتها فانما يكون ذلك ضد ملكة منافسة أو ضد نحلة مهاجمة . وليس للمخور ابرة ، فان الابرة خاصة بالانثى سواء كانت كاملة (ملكة) أو غير كاملة (عاملة) ، ذلك لان اصل الابرة في الواقع

جزء من جهاز البيض إذ انهُ يقود البيضة في خروجها سالكة الى موضعها من عين القرص

واما عن الاجهزة التناسلية في كل من الملكة والبحور (وهي موجودة في داخل البطن وتتصل بخارج الجسم من الخلف) فليس هذا اوان درسها نظراً الى كثرة تفاصيلها وصعوبة فهمها الآن ، فالاولى بنا تركها حتى تبلغ مدرستك الثانوية . ويكفيك اني لن احرمك جميع النقط العملية الهامة المتصلة بذلك ، واعلم يابنيَّ ان الملكة مبيضين كبيرين وانها تستطيع ان تخرج منهما في مدى عمرها زهاء مليون بيضة ونصف مليون بيضة . وهذا المقدار الهائل من البيض لو تخيلناه متصلاً بعضهُ ببعض في خط واحد لوجدناه يشغل مدى ميل وثلاثة ارباع الميل . وتستطيع الملكة الجيدة — خصوصاً في جو بلادنا المعتدل — ان تبيض بمعدل بيضتين في كل دقيقة على مدى اسابيع متوالية . فهي تستطيع ان تبيض يومياً نحو ضعف وزنها من البيض بل اربعة اضعاف وزنها الحقيقي لان اكثر من نصف وزنها اثناء الموسم يرجع الى ما في جسمها من بيض . وكما عنيت النحلة برعايتها وتغذيتها المتواصلة نشط مبيضاها وانتجا . وقد اثبت الاحصاء الدقيق عن ملكة جيدة انها استطاعت ان تبيض ٥٠٠ و ٧٣ بيضة في احد وعشرين يوماً ، اي بمعدل ٥٠٠ و ٣ بيضة يومياً ، وهذا ما يجعل صلاحية الملكات محدودة العمر مع الطرائق العصرية التي تستدعي استعمال خلايا كبيرة ، إذ قلما تصلح الملكة بعد مرور ثلاث سنوات إن لم تتخل عنها النحل قبل ذلك وتقضي عليها حينما تشعر بعجزها . وقد اخبرتك يابنيَّ ان الملكة تستطيع ان تلقح البيض الذي تبيضه حسب مشيئتها من ذخيرة الحيوانات المنوية التي تتلقاها من الذكر عند طيرانها في اول حياتها للتلقيح الجنسي . وهذا اعجوبة اخرى في حياة النحل

وما دمنا قد تكلمنا عن داخل البطن فدعني اذكرك بأنها تحتوي — الى جانب ماذكرناه من جهازها الهضمي — على جانب من جهازها الدمي ، وقد تحدثنا عنه في اول جلستنا هذه . وكذلك تمتد اليها كما تمتد الى بقية اجزاء الجسم جميع فروع اعصاب النحلة اي اجزاء من مجموعها العصبي ، ولكن ليس في الامكان يابنيَّ ان نتناول بالتفصيل كل هذا ، وفي الحق اني اطري مثابرتك على متابعة هذا الدرس الطويل الذي قد يعده كثيرون غيرك جافاً ، وستتاح فرص كثيرة لك في المستقبل للتوسع في دراسة تشريح اعضائها

ولكن تلميذي النابه الصبور تململ وكأنه عدَّ ذلك بخلاً مني ، وفي الواقع اني كنت تعبت كما قدرت ان ماذكرته له فوق الكفاية في سنه . ولكني رأيت من الحكمة ان اعرض عليه بصفة عامة التشريح الداخلي للنحلة او على الاصح ما لم اتناوله فيما مضى باطالة لان ما سيكسبه من معلومات في هذا الدرس سيكون ذا اثر عظيم في تطبيقه العملي فيما بعد

التشريح الداخلي

يؤلف غطاء النحلة الخارجي هيكلاً لطيفاً نظراً لصلابته التي تسند وتصون الاعضاء الداخلية ويتألف الحائط الخارجي لجسم النحلة من طبقات متراكبة بحيث ان الجزء المتراكب يكون رقيقاً وغير صلب بالنسبة للجزء المكشوف ، وهكذا يبقى قابلاً للانثناء وهو ما يتطلبه نشاط النحلة وحركاتها . وتوجد تحت هذا الهيكل الخارجي مباشرة ومتصلة به عضلات لقبض وانحناء اجزاء النحلة ، فمثلاً انقباض العضلات التي في الجانب الاسفل من جسم النحل يؤدي الى انحنائه الى اسفل ، وبعكس ذلك انقباض العضلات العليا . وتشغل القناة الغذائية منتصف جسم النحلة من الداخل ممتدة من طرفها الامامي الى طرفها الخلفي وتجد الجزء الرئيسي من القلب في الوسط واقعاً ما بين القناة الغذائية وعضلات الظهر

ويتكون الجزء الرئيسي للمجموع العصبي من عقد صغيرة خلايا عصبية يصلها بعضها ببعض حبلان مستطيلان . وأحد هذه العقد هو مخ النحلة وهو واقع في أعلى نهاية القناة الغذائية وتوجد بقية هذه العقد العصبية في فلق الجسم (كل عقدة في فلقته) ما بين الحائط الامامي والقناة الغذائية . وأما الحبلان المستطيلان اللذان يصلان بين هذه العقد العصبية فيمران على جانبي المرىء حتى يتصلا بالمخ

ومن أغرب اعضاء النحلة الداخلية جهازها التنفسي إذ أنها لا تتنفس من فمها كما نفعل نحن ، بل لها اكثر من متنفس في صورة عدد قليل من الثقوب على جانبي جسمها وهذه متصلة بالجهاز التنفسي . وهذه الثقوب دقيقة جداً بحيث يصعب الكشف عنها لغير الباحث الخبير ، وتستطيع النحلة فتحها واغلاقها بعضل خاص حسب مشيئتها . وعند دخول الهواء فيها يمضي إلى قصبات هوائية متشعبة عديدة (ومتسعة في مناطق بشكل اكياس) الى جميع اجزاء الجسم حتى كأنما جسم النحلة جميعه بمثابة رئة للتنفس ! وأهم هذه الاكياس الهوائية يوجد في الجزء الامامي من بطن النحلة العاملة والبمخور فتساعدها على الطيران ، لان نفخ هذه الاكياس بالهواء يزيد حجم النحلة ويغير من ثقلها النوعي ويقلل من الجهد الضروري لطيرانها السريع الطويل . وعند تشريح جسم النحلة تبدو هذه القصبات الهوائية كخيوط فضية نظراً للهواء الذي تحتويه . ولعلك لاحظت ان النحلة المستريحة لا تستطيع الطيران المتواصل الا اذا تنفست قبل ذلك سريعاً لملء اكياسها الهوائية . ومن هذا ترى ان غمس النحلة في سائل طويلاً لا بد ان يؤدي الى اختناقها ، وكذلك سد هذه المتنفسات بالأتربة ومن أجل ذلك كانت هذه الثقوب مهيأة بشعر دقيق لحمايتها من الغبار الذي يفسد التنفس ومن الطفيليات المرضة

وقد سمحتني اذكر الغدد الغذائية واللعابية ، ومن حقك يا بني أن تعرف شيئاً عامًّا عنها ما دمت حريصاً في غير ملل على زيادة المعرفة ، لا سيما وان هذه الغدد ذات اهمية عظيمة للنحّال . فاذا ابتدأنا بدودة النحلة وجدنا لها غدتين قنويتين تفرزان الحرير الذي تصنع النحلة منهُ الشرنقة ، وتفتح هاتان الغدتان في مجرى مشترك توجد تحتهُ الخارجية بقرب فم الدودة . وفي النحلة الكاملة الخلقة توجد اربع مجاميع من الغدد (كل منها تتألف من اثنتين) تفتح في فم النحلة ، وهي : (١) غدد فوق المخ — وهي كبيرة الحجم في النحل الصغير ومنكمشة في النحل المسن ، ولا توجد طبيعيًّا الاّ في العاملات والمظنون انها المسئولة عن افراز الغذاء اللبني الذي تغذى به الديدان ولا سيما ديدان الملكات فضلاً عن تغذية الملكة طول حياتها ، في حين ان ديدان اليا خير والعاملات تغذى بعد الايام القليلة الاولى بغذاء نصف مهضوم من العسل واللقاح غالباً ، (٢) غدد خلف المخ و(٣) الغدد الصدرية ، و(٤) الغدد الفكية — وهذه الغدد جميعها تفرز اللعاب الذي لهُ فوائد متعددة فانهُ يساعد على الهضم ، كما يحول سكر الرحيق الى سكر العسل البسيط السهل الامتصاص ، ويساعد اللعاب كذلك على جبل (عجن) الشمع والعلك ، كذلك تستعمل النحلة لعابها لتخفيف العسل حينما يكون كثيفاً ولترطيب حبيبات الكبر وتطريتها اذا ما اصبحت جافة ، ولا تتردد النحلة في استعمال لعابها لتنظيف شعرها اذا ما ابتلَّ بالعسل . وليست فوائد اللعاب للنحلة بالقاصرة على ذلك فقط

وأما غدد الشمع فموجودة في العاملات فقط ، وتوجد اربعة ازواج منها وهي واقعة في السطح الامامي للبطن في الجزء المستتر من الفلقات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة . وكل غدة عبارة عن مسطح شبيه بالقرص مؤلف من خلايا رقيقة ناعمة من بطانة الجلد أي من الجلد التحتاني ، وهذه تتغذى من الدم وتحوّل بطيئها هذا الغذاء الى شمع . ويرشح الشمع من خلال هذه الاقراص الغددية متجمعاً في شكل قشور تكيفها النحلة كما تشاء وتبني بها الاقراص أو تغطي العيون

وأحسبك مكتفياً بما ذكرتهُ لك عن كل من الجهاز الدمي والجهاز الهضمي ، فهو واف بحاجتك الحاضرة فيما ارجح . والآن هل تريد أن اسألك بعض الاسئلة قبل ان تفترق ؟ فلم ألق منهُ إلا ابتساماً وارتياحاً وكله ثقة بالاجابة الصحيحة ، ولم يخطىء ظني في الحكم مثل خطئي هذه المرة لما وجدت تلميذي الصغير النابه يفوق كل حسباني في اتقانه وفهمه واستيعابه ، فكان مصداقاً للمثل المشهور : « حيثما وجدت الرغبة وجدت الحيلة » . . .

مكتبة المقتطف

كتاب المجمع المصري للثقافة العلمية

صفحاته ٢٢٨ طبع بمطبعة المقتطف — ثمنه ١٥ قرشاً

صدر الكتاب السنوي الخاص بهذا المجمع مشتملاً على المحاضرات التي القيت في مؤتمره سنة ١٩٣٠ وهي احدى عشرة محاضرة لطائفة من اكبر المشتغلين بالعلم والصحافة العلمية في القطر المصري . نذكرها من المحاضرات التي لم ينشرها المقتطف: محاضرة الاستاذ اسماعيل مظهر في : « التطور واثره في مستقبل الفكر الانساني » ومحاضرة الدكتور جورجي صبحي في : « اللغات التي استعملت في مصر من ابتداء التاريخ الى الآن » ومحاضرة الدكتور شخاشيري في : « التأمين على صحة العامل » ومحاضرة الاستاذ سلامه موسى في : « الاحلام وطريقة التفكير» ومحاضرة الدكتور مدكور في : « تحديد الزمن» ومحاضرة الدكتور علي حسن في : « التغذية والصحة العامة »

فانت ترى ، اذا اضفت الى هذه المحاضرات ما نشرناه في المقتطف، ان الكتاب يضم مباحث علمية متنوعة ، غربية وشرقية ، باقلام رجال توفروا على درسها علماً وعملاً . فهو من هذا القبيل جدير بان ينال اقبالاً من مثقفي الشرق . لانهم باقبالهم على مطالعته يجتنون من فوائده العلمية ويؤيدون مجمعاً ناشئاً غرضه الاول نشر العلم وخدمة اللغة العربية

صحة الاسرة

للطبيب احمد حمدي الخياط — استاذ فن الجراثيم وعلم الصحة في المعهد الطبي العربي بدمشق

صفحاته ٣٨٠ قطع المقتطف بنط ٢٤ — طبع بمطبعة الاعتدال بدمشق

الكتاب ثلاثة اجزاء تتناول موضوعاتها : «صحة البلوغ لتهيئة تربة صالحة للنشء وهو اهم اساس ترتكز عليه سلامة الامة . ثم الزواج وفيه بدء التكوين . ثم صحة الحمل والحامل لمداراة تلك البزرة في تربتها . ثم الولادة وما يلزم فيها من مداراة لسلامة وضع الثمرة ومحافظة التربة . ثم العناية بتلك الثمرة في ادق ادوارها واشدها لزوماً لهذه العناية»

واسلوب الكتاب عربي سليم فصيح الالفاظ دقيق التعبير . وهو نظري عملي ويجدر بالذين اجتازوا سن المراهقة او الذين اقبلوا حديثاً على الحياة الزوجية ان يطالعوه ويعملوا بارشاداته المفيدة

تربية النحل

للدكتور احمد زكي ابو شادي صفحاته — ٢٤٠ قطع المقتطف بنط ٢٤
طبع بمطبعة الشباب وثمنه ١٠ قروش

هذه ناحية اخرى من نواحي الشخصية الفذة المعروفة بابوشادي — ابو شادي الشاعر صاحب دواوين الشعر وناظم الاوبرات — وابو شادي البكتيريولوجي العامل المكتشف في هذا الميدان طريقة جديدة لاظهار باشلس السل افضل من الطريقة القديمة. والدكتور ابوشادي ذو شهرة عالية في عالم النحالة . فقد كان مؤسساً لنادي ايبس بانجلترا ومحرراً لمجلة عالم النحل (ذي بي ورلد) فيها وعضواً في لجنة النحل الاستشارية بوزارة الزراعة الانجليزية. وهو الآن سكرتير لرابطة ملكة النحل المصرية ومحرر لمجلتها

يرى القراء في باب الزراعة والاقتصاد من هذا الجزء فصلاً مسهباً للدكتور ابوشادي في تركيب جسم النحلة وتشريحها الداخلي . وهو فصل يفتن العقل بما يكشفهُ له من اسرار الخلق واعجاز التكوين . يفهمهُ الطفل لانهُ كتب لهُ ويرضى بهِ العالم لانهُ يشتمل على اهم التفاصيل التي ينطوي عليها الموضوع وينشرح لهُ صدر اللغوي المحافظ والمجدد لان اسلوبهُ بليغ والفاظهُ عربية صميمة. هذا الفصل منقول عن كتاب تربية النحل الذي نحن بصدده باذن من صاحبهِ فليطالعهُ القراء وليطالعوا بعده الكتاب لانهم يجدون فيهِ من المباحث النظرية والعملية ما يحير العقل ويساعدهم على جني عسل ممتاز بايديهم في آن واحد

ولا يخفى ان جني العسل من النحل صناعة شرقية قديمة . ولكن الوسائل التي كانت تستعمل في العصور الغابرة لا تكفل صحة النحل ونقاوة العسل وكثرة الجني وغير ذلك من المسائل التي لها اكبر شأن في الموضوع من وجهتهِ الاقتصادية . وقد بين الدكتور ابو شادي في عددٍ سابق من المقتطف انهُ اذا احسنت العناية بالنحل في مصر على الاساليب الحديثة باذاعتها وتعليم الناس استعمالها تمكنت مصر من ان تجني قدراً من العسل يغنيها عن العسل المستورد فضلاً عن كونهِ افضل منهُ ويبقى عندنا ما نستطيع تصديرهُ الى الخارج . والجوّ المصري ملائم كلَّ الملاءمة لذلك والاشجار المصرية والنباتات المصرية كثيرة الازهار واري بعضها عطري الرائحة فيخرج العسل منها غزيراً ذا نكهة ممتازة

فعسى ان يعنى اولو الامر في وزارة الزراعة ووزارة المعارف بهذا الموضوع فيوجهون اليهِ عنايتهم الخاصة من حيث تعليمهِ في المدارس وبثهِ بين الفلاحين . فان العسل محصول اذا انمي لا يصح ان تحتقرهُ او نعرض عنهُ

الخطابة

تأليف الدكتور خليل فياض — نشرته ادارة الهلال — صفحاته ٢٤٨ قطع وسط

الخطابة فن من الفنون التي تنشأ وتترعرع في البلدان الدمقراطية ويشتد ساعدها وتبلغ اوجها في الحركات السياسية والاجتماعية العنيفة. فهي وحرية الفكر صنوان لا يفترقان. لانه حيث يجتمع جمهور من الناس وتطلق فيه حرية الافصاح فالكلمة البليغة والاشارة المحكمة والنظرة القوية المقام الاول في اقناع الجمهور واستمالته. وشواهد التاريخ كثيرة. فاليونان في عهد دويلاتها كانت مهداً لنشأة فن الخطابة في مجالس الامة العامة. « وقد كانت فرص القول متعددة لان الاعمال الاجتماعية كانت تقضي جهاراً ويجادل فيها امام الجميع وكانت المسائل العمومية تدرس في مجتمع الامة حيث يحق لكل وطني ان يبدي رأيه وكانت الدعاوى تعرض امام المحاكم الشعبية فيباح الكلام لمن اراد حتى المتهم. اضف الى ذلك اجتماعات الادب والعلم .... وأشهر خطباء ذلك العصر برقليس وازدكرات واشين وديموستين... وكان ديموستين آخر ما سمعته اثينا قال البلاغة لا تعيش بدون الحرية »

ولما جاءت النصرانية بعثت في الخطابة روحاً جديدة وقام الرسل بالتبشير فكانوا كلهم خطباء اذ قيل لهم سيروا في الارض وعلموا الامم

واهم الحركات العنيفة التي بلغت فيها الخطابة أوجها هي الثورة الفرنسية. وقد خلد التاريخ لنا ذكر خطباء لا يحصى عددهم. وقد كان للخطابة يومئذ المقام الاول لان الجمهور كان ثائر العاطفة والعقل معاً فالكلام الذي يقع منه الموقع الحسن افعل فيه من حد الحسام

وضرب العرب بسهم وافر في فن الخطابة وخصوصاً لما جاء الاسلام « ساعد على انتشار الخطابة تأييداً للدعوة الكبرى للامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فكان « لها من آي القرآن معين لا ينضب . . . وأعظم خطباء هذا العصر هم بعد النبي دعاته وقواده وخلفاؤه »

والخطابة انواع منها السياسي ومنها العسكري ومنها الديني ومنها العلمي ولكل منها اصول وقواعد يجب مراعاتها في سياق المعاني وايراد العبارات وتأدية الاشارة

وهذا الحال لو توسع المؤلف قليلاً في موضوع الخطابة السياسية لان هذا الموضوع يهم الشرق وقد اقبل من عهد قريب على الحياة النيابية. ولكنه ذكر ما يجدر بان ينقش في صدر المحافل النيابية في الشرق والغرب اذ قال : « اهم واجبات الخطيب النائب ان لا يقرب خلتين الاول الغضب لانه آفة العقل والرزانة والثانية استعمال الفاظ سافلة تدعو الى الاسف والندم » ومما قاله : « وقلما نجد من خطباء السياسة من لم يذق في احتكاكه بالجمهور لذة الانتصار او لوعة الانكسار » لان « حركات الامة تهيج مد وجزر فيتبع الخطيب

هذه الامواج أمراً في القوم او خاصاً لرغائبهم» وويلٌ له لخطيب اذا هم لم يخضعوا او هو لم يجار

ان كتاب « الخطابة » الذي وضعهُ الدكتور فياض حافل بالدروس المفيدة في هذا الموضوع العمومي الخطير . وهي مما يتعذر علينا تلخيصهُ هنا فنكتفي بالاشارة اليها — القسم الاول : البلاغة نظريًّا وعمليًّا — القسم الثاني : امثلة طيبة ووصايا صحيحة — القسم الثالث امثلة من خطب العرب والافرنج

ولا ندري لماذا كتب اسم الفيلسوف سقراط هكذا «سوكراط» وهو غير الرسم الذي ذكرهُ به العرب والكتاب المحدثون . ولا ندري كذلك لماذا لم يختر المؤلف من خطباء الانكليز والاميركيين القدماء والمحدثين سوى لنكن . ومع هذا لم يختر للرئيس لنكن ابلغ خطبة لهُ فعني — خطبة جتسبرج . ان امثال بت وغلادستون ووبستر وهنري كلاي ووليم برن وتيودور روزفلت وورودرو ولسن . في مثل هذا الاختيار يجب ان تراعى النسبة بين مختارات الامم المختلفة حتى لا يتبادر الى الذهن ان الخطابة في اوربا واميركا تكاد تكون وقفاً على الفرنسيين

الاسمدة

تأليف حسني المقدادي — مهندس زراعي من جامعة مونبلي — صفحاته ١٦٧ من القطع الوسط بنط ٢٤ — طبع بمطبعة الفواد بطرابلس الشام

وهذا كتاب زراعي ايضاً فنرحب به . لأن هذه الكتب الزراعية تدل على ان بلدان الشرق اخذت تنبهُ الى وجوب الاخذ بوسائل الغرب الفعالة في حراثة الارض وزراعتها . وازدياد استعمال الاسمدة الكيماوية جعل الزراع في حاجة شديدة الى دليل عملي موجز في ماهية الاسمدة واستعمالها . فسدَّ هذه الحاجة وضع هذا الكتاب . القسم الأول منهُ نظري يشتمل على بحث في تركيب النباتات والعناصر التي تحتاج اليها وبناء التربة والعناصر التي يجب اضافتها اليها لكي تغذي النبات . وحبذا لو عهد المؤلف بالرسوم البيانية الى خطاط بارع ليكتب الفاظها كتابة فنية واضحة . والقسم الثاني عملي يتناول الاسمدة وانواعها وتسميد الفصائل النباتية المختلفة

العلوم الرياضية عند العرب

جمعه ونقله احمد فهمي ابو الخير — ليسانسيه في العلوم — صفحاته ٧٤ وقد طبع بمطبعة الاعتماد

رسالة تبحث في اثر العرب في ميدان العلوم الرياضية وانتقالها الى اوربا نشرت مقالات متسلسلة في مجلة الهندسة واعتمد كاتبها في وضعها على دائرة المعارف البريطانية وعلى كتاب كاجوري في تاريخ العلوم الرياضية الابتدائية وكتاب بول في مختصر تاريخ الرياضة

الخواطر الحسان في المعاني والبيان

تأليف المرحوم جبر ضومط — صفحاتهُ ٢٤٠ قطع كبير — مطبع مطبعة الروح ببيروت

عني الاديب نجيب افندي ضومط بطبع ما خلفهُ والدهُ المرحوم الاستاذ جبر ضومط من مخطوطات واعادة طبع الكتب التي نفدت النسخ من طبعاتها السابقة . وكان الاستاذ رحمهُ الله قد عني قبيل وفاتهِ باعادة طبع «الخواطر السراب في النحو والاعراب» وهاهوذا نجلهُ الكريم ينفحنا الآن بطبعة جديدة منقحة من « الخواطر الحسان في المعاني والبيان» وعسى أن لا تتأخر النسخة الجديدة من « فلسفة البلاغة»

ومما يجدر ذكرهُ في هذا المقال ان المرحوم اسعد يانف التاجر اللبناني المشهور في البرازيل جاء بيروت سنة ١٩٢٠ ورغب الى الاستاذ ضومط في أن يعيد طبع « الخواطر الحسان » وتبرع بنفقة طبعهِ . ولكنهُ توفي قبلما مست الحاجة الى اعادة الطبع . ودرت السيدة الفاضلة قرينتهُ عفيفة ناصيف يانف بذلك فكتبت الى المؤلف رسالة ملؤها الشعور الكريم طالبة نشر الكتاب نزولاً على رغبة زوجها وسحبت كتابها بحوالة مالية لتأدية نفقات الطبع

أما الكتاب فاليك خطتهُ ملخصاً من كلام مؤلفه . قال : اني بعد ما جهدت في علاقة العلوم الثلاثة النحو والبيان والمنطق بعضها ببعض وانفراد كلٍّ منها بنسخة من البحث خاصة به وبعد أن اشبعت الكلام في الفصاحة والبلاغة لانهما غاية علم البيان وذكرت من الملاحظات ما تعظم فائدتهُ علماً وعملاً وأكثرها عما وجدتهُ في مواضع متفرقة من كتب ائمة الفن وفلاسفته عمدت الى فصل في التصورات والافكار توصلت فيه الى الجملة ما هي . ولما كانت الجملة عمدة هذا العلم جعلت الكلام دائراً فيها وقسمت الكلام بحسب ذلك الى ثلاثة اقسام

اولاً : تقسيم الجملة الى ثلاثة اقسام هي الجملة البسيطة والجملة المركبة والجملة المؤلفة

والثاني : ذكر العوارض التي تعرض للجملة من ذكرٍ وحذفٍ وتقديم وتعريف وتنكير واتباع وفصل الخ

الثالث في الاوصاف التي تتصف بها الجملة من خبرية وانشائية وايجاز واطناب وما ذكرهُ القوم مما يتعلق بالخبر وانشاء انواع الايجاز والاطناب — وختمت بهذا القسم مباحث المعاني وجعلتهُ كتاباً على حدة

وكان في النية ان يتبعهُ بكتابين آخرين احدهما في البيان والبديع والآخر في اساليب الانشاء ونظن ان « فلسفة البلاغة » المذكورة سابقاً احدهما

كتاب الالبان

تأليف الاستاذ عمر الزعبلاوي مدرس تربية الخيل والانعام وعلم الالبان بمدرسة سلمية الزراعية في سوريا ومنشىء مجلة « الزراعة الحديثة »

وهو يبحث في الالبان وتناتجها وفي صناعتي الزبد والجبن . ذكر المؤلف الفاضل في مقدمته ان في سورية ما ينيف على اربعة ملايين رأس من الضأن والماعز وما يزيد على ثلث المليون من البقر والجاموس ولا يقل ما تدرُّه هذه الحيوانات عن ٢٧٥ مليون لتر من اللبن (الحليب) يبلغ ثمنها زهاء مليونين ونصف مليون دينار ذهباً . ولا ندري هل يقصد بالدينار جنيه مصري او ليرة عثمانية او ليرة انكليزية . ثم قال « واذا أدركنا ان في سورية من الاراضي والمراعي ما يربي عشرة ملايين رأس من الغنم والمواعز ومليوني بقرة وجاموس ادركنا الفوائد التي تستطيع البلاد اجتناءها من العناية بتربية هذه الحيوانات عناية تنطبق على قواعد الفن الحديث »

هذه النبذة تبين لنا قيمة البحث العلمي والارشاد العملي في موضوع الالبان . وقد عالجها المؤلف الفاضل معالجة فنية دقيقة . فتناول الحليب (اللبن) اولاً وعرفهُ وبحث في المواد التي يتكوَّن منها بحثاً كيماويًّا صناعيًّا ثم تناول خواص اللبن الطبيعي والالبان غير الطبيعية مفصلاً ذلك في لبن المرأة والبقر والجاموس والابل والماعز والغنم والخيل والاتانة والكلاب والغيلة . وفي الفصل الثاني يدور البحث على الوجهة البكتيريولوجية من وجهات البحث وفي الثالث على دور الحلابة وآنيتها ووسائط تعقيمها والادوات المستعملة لوزن الالبان وتصفيتها وتبريدها الخ ثم استطرد في الفصل الرابع الى مراقبة اللبن وقياس نظافته وحموضته وتخمره وكثافته وما يفرز منهُ من القشدة والسمن وغير ذلك

ولا نستطيع ان نفصل موضوعات الفصول الاخرى ولكننا نقول اننا نتناول عملية الفرز والقشدة وأنواع الجبن وصناعة الالبان الراثبة واللبنة والكشك وغير ذلك من الاطعمة التي تصنع من اللبن . والبحث في كل ذلك علمي وعملي موضح بالصور الكثيرة ليكون معواناً للفلاح في طبع عمله بالطابع العلمي العملي الحديث

كان المرحوم منشىء المقتطف يفضل مقالاً في صناعة الجبن على مقالٍ بليغ في موضوع شعري او خيالي لانهُ كان يدري ان بامثال هذه الصناعة وغيرها تثري الامم ومتى اثرت تمهدت امامها سبل الثقافة العقلية والنشاط الفكري . فبوحي منشىء المقتطف نهيء الاستاذ الزعبلاوي على كتابه النفيس ونعود اليه فنقتطف منهُ ما نراه مناسباً في باب الزراعة والاقتصاد

باب الأخبار العلمية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

التأم مجمع تقدم العلوم البريطاني في الاسبوع الاول من سبتمبر الماضي برآسة الاستاذ بوَر العالم الباتي في مدينة برستول بانكلترا . فالقى فيه الرئيس خطبة الرآسة وموضوعها « الشكل والحجم في النباتات » وتلت ذلك اجتماعات الاقسام المختلفة واليك بيان موضوعات الخطب التي تلاها رؤساؤها

١ — قسم الرياضيات والطبيعة رئيسها الدكتور سمث وموضوعهُ « المغنطيسية الارضية »

٢ — الكيمياء رئيسهُ الاستاذ مورغن وموضوعهُ «تجربة الدولة في البحث الكيماوي»

٣ — قسم الجيولوجيا رئيسهُ الاستاذ جونز وموضوعهُ التاريخ الجيولوجي لبرزخ برستول

٤ — قسم الحيوان رئيسهُ الدكتور كَنْسن وموضوعهُ التصنيف في مملكة الحيوان

٥ — قسم الجغرافية رئيسهُ الاستاذ رُكْسبي وموضوعهُ « الجغرافية الانسانية »

٦ — قسم العلوم الاقتصادية والاحصاء رئيسهُ الاستاذ غرغوري وموضوعهُ يدور على مشكلة البطالة ومعالجتها

٧ — قسم الهندسة رئيسهُ السر ارنست مور وموضوعهُ التواكل بين العلم والهندسة وبعض امثلة

٨ — قسم الانثروبولوجيا رئيسهُ الدكتور هرسن وموضوعهُ « نشوء الحضارة »

٩ — قسم الفيزيولوجيا رئيسهُ الاستاذ ريبر وموضوعهُ « التركيب في الخلاية الحيوانية »

١٠ — قسم الصيكولوجيا رئيسهُ الاستاذ ڤالنتين وموضوعهُ « اساس فلسفة الاطفال العقلية »

١١ — قسم النبات رئيسهُ الدكتور هيل وموضوعهُ « مشاكل اليوم في علم النبات الاقتصادي وتصنيف النباتات »

١٢ — قسم التعليم رئيسهُ لورد اسنس يرسي وزير المعارف سابقاً وموضوعهُ « خطة التعليم العالي »

* * *

اما الاستاذ بوَر رئيس المجمع هذه السنة فمن اكبر علماء النبات المعاصرين . عيّن اولاً محاضراً في النبات بكلية العلم الامبراطورية بلندن ثم استاذاً للنبات في جامعة غلاسجو سنة ١٨٨٥ فظلَّ في منصبه هذا اربعين سنة امتدَّ فيها كباحث ومعلم الى دوائر علم النبات في انحاء العالم . ولهُ

مؤلفات عديدة في النبات اشهرها « اصل النباتات البرية » نشرهُ سنة ١٩٠٨ وآخر في النباتات السرخسية (ferns) نشر سنة ١٩٢٣ وهي من الكتب التي لا يعنى بها الاَّ العلماء . ولكنهُ لم ينسَ الجمهور فأخرج كتابين في اسلوب قريب التناول هما «النبات والانسان » و« فلسفة النبتة الحية ». ومن المداليات التي ناطها المدالية الملكية من الجمعية الملكية ومدالية ليبوس من الجمعية الليونية وجائزة نيل من جمعية ادنبره الملكية. وسنلخص من هذه الخطب النفيسة في الاعداد القادمة ما يجدر بقراء المقتطف الاطلاع عليه

رحلة البلون البريطاني الى كندا

وصل البلون البريطاني الكبير «ر ١٠٠» الى مونتريال في اواسط اغسطس الماضي . ويؤخذ من سجله الذي نشر الآن انهُ لم يقع ما يستحق الذكر في المراحل الاولى من رحلته. وكان اكبر اسباب التسلية للركاب اللعب بالورق والنوم وظلوا متمتعين بالضوء طول الوقت من غير ان يضطروا الى لبس ملابس الطيران الخاصة او فتح المدافئ الكهربائية في غرف نومهم . واصيبت زعنفة الجانب الايمن من البلون في اليوم الثالث بعطل فوق آخر خليج سنت لورنس فاصلحت في ساعتين ومن ثمَّ مرَّ البلون في عاصفة شديدة ممطرة اضطربت منها مجاري الهواء اضطراباً شديداً فاضطر البلون ان يرتفع على عجل من علو ١٥٠٠ قدم الى علو ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر واصيبت زعنفة الجانب الايسر بعطل يسير

ووصل البلون الى مونتريال ونزل على الارض فيها في الساعة التاسعة والدقيقة ٢٠ صباحاً بحساب الوقت في غرينتش فيكون قد ظلَّ في الجو من بدء رحلته الى منتهاها ٧٩ ساعة منها ثماني ساعات تأخير نشبت عن اصلاح ما لحق بالبلون من العطل وكان لا يزال في حياض البترول لما نزل البلون على الارض خمسة اطنان ، ثم عاد من كندا الى انكلترا في نحو ٥٢ ساعة

اكبر قصر عائم في العالم

اذا صحت التجارب التي تجريها شركة بواخر كونارد الآن في لفربول بنت هذه الشركة اكبر باخرة في العالم طرًّا . والمنظور أن تبلغ نفقات هذه الباخرة ست ملايين جنيه وأن تكون حمولتها ٧٠٠٠٠ طن وسرعتها ٣٠ ميلاً في الساعة وتكون مقسومة الى ثلاثة اقسام يكون كل قسم منها باخرة بحد ذاته ويسير في البحر مستقلاً عن القسمين الآخرين اذا انفصل عنهما

ولهذه الباخرة فائدة كبيرة من الوجهة الحربية لانهُ يتيسر تحويلها الى سفينة حربية مساعدة لاسيما انهُ سيعد فيها أماكن خاصة لوضع المدافع الكبيرة فيها ويبنى مقدمها على منوال مقدمات البوارج بانشاء فراغ وراءه لا ينفذ اليه الماء اذا نفر المقدم بنطحة قوية او صدمة شديدة

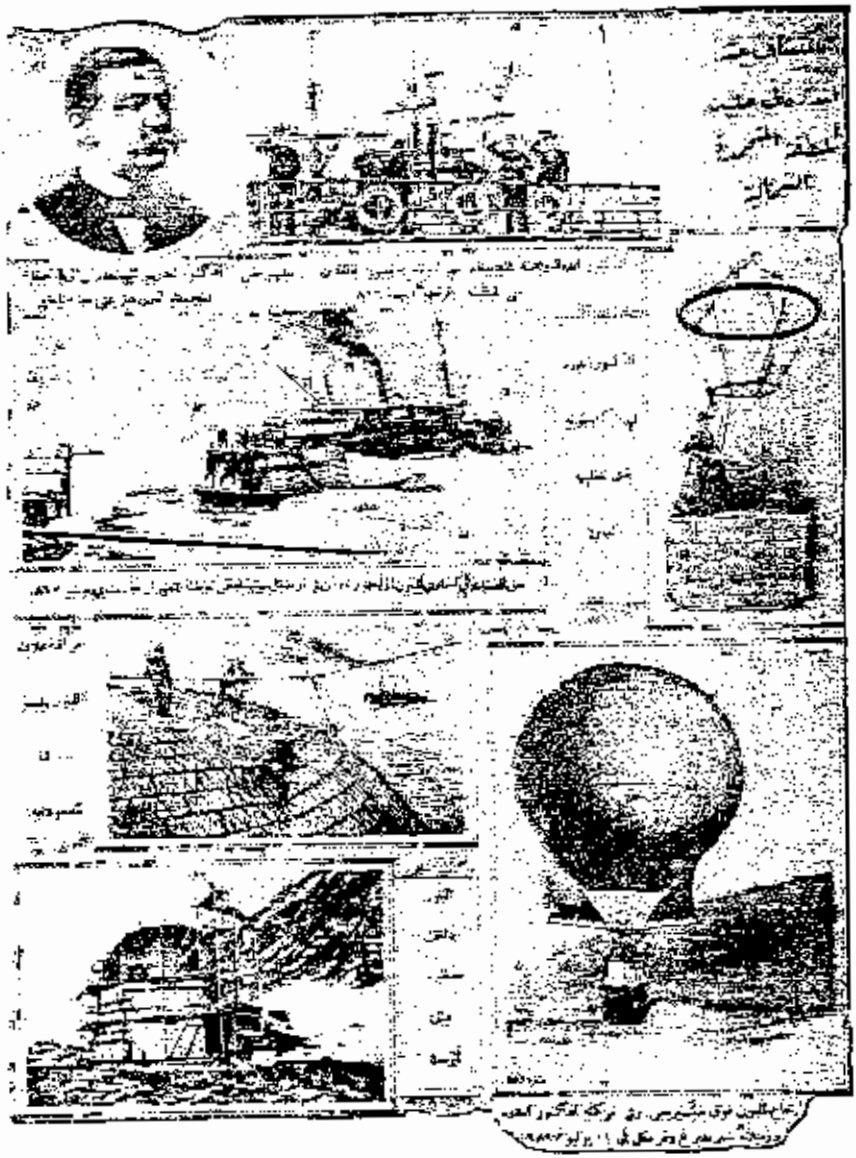

اول من حاول الطيران الى القطب الشمالي

منذ ٣٣ سنة

في الاخبار العامة

العثور على جثة اندره ومذكراته

عثرت البعثة العلمية النروجية الى اصقاع القطب الشمالي برآسة الرحالة هورن في الجزيرة البيضاء بأرض فرنسوى جوزف على جثة الرحالة الاسوجي الشهير اوغست اندره الذي طار هو واثنان معه في شهر يوليو سنة ١٨٩٧ ببلون جرمه خمسة آلاف متر مكعب من جزيرة سبتسبرجن لارتياد القطب الشمالي من الجوّ. والمنتظر ان يميط هذا الاكتشاف التام عن آخر مجهود بذله الانسان في الوصول الى القطب الشمالي

وكل ما عرف حتى الآن ان جثة اندره لا تزال في حالة سليمة

وفي تلغرافات اخرى بعد ذلك ان مدينة استوكهلم عاصمة اسوج باتت في شغل شاغل بهذا الاكتشاف وقد اخذت صحفها تصدر الملاحق تباعاً بالاخبار التي تصل عنه . ويؤخذ من آخر الانباء التي وصلت من بعثة هورن باللاسلكي انهم عثروا ايضاً على مذكرات اندره اليومية وسواها من المذكرات وهي تدل على انه هو ورفيقاه لم يقتلوا بسقوط البلون وتحطمه على الارض بل عاشوا بعد ذلك عدة اشهر ان لم يكن عدة سنوات . والظاهر انهم وصلوا الى المستودع الذي اعدوه قبل التوغل في طيرانهم شمالاً ولذلك يظن ان المؤونة لم تعوزهم. وهذه الحقيقة تفسر اسطورة رائجة بين الاسكيمو من زمن طويل وهي ان ثلاثة من البيض هبطوا من الجو وهم يحملون اسلحة نارية فكان ذلك رائد عودة الحضارة الى اصقاعهم على يد الرحالتين نوط ورستصن اللذين عثرا على بقايا من بلون اندره في اكواخ الاسكيمو

نقل رفات اندره الى اسوج

صدرت الاوامر للمدفعية سفنكند الاسوجية بالسفر الى اصقاع القطب الشمالي لنقل رفات الرحالة اندره ورفقائه الى استوكهم لدفنها فيها وسيسافر على هذه المدفعية الاستاذ هورن والاستاذ ليتيج ليحنط الاول جثة اندره ويجمع الثاني مذكراته والآلات التي كانت مع بعثته الجوية

ومما يستحق الذكر ان المدفعية سفنكند هي نفس السفينة الحربية التي نقلت اندره ورجال بعثته من ثلاث وثلاثين سنة الى سالكون وهو المكان الذي بدأوا منه رحلتهم الجوية الى القطب الشمالي

رواج الصناعة اللاسلكية

قلّ من الناس من يدرك مدى الرواج الذي اصابته صناعة الادوات اللاسلكية في الولايات المتحدة الاميركية . فقد انفق الشعب الاميركي في السنة الماضية ما يزيد على مائة مليون جنيه لشراء هذه الادوات. ومن ثمان سنوات كان في طول البلاد وعرضها ٦٠ الف جهاز لاسلكي لا فطفقط . اما اليوم فالعدد يبلغ عشرة ملايين . وفي آخر المجلات

اللاسلكية الاميركية ان قطعة من مدينة نيويورك (جزيرة منهتان) قائمة بين الشارع ٤٨ والشارع ٥٢ وبين الافنيو الخامس والافنيو السادس تمهد الآن ليبنى عليها مايعرف بمدينة الراديو. هذه المدينة ستشتمل على بناية مؤلفة من ستين طبقة فيها مكاتب لشركات الراديو المختلفة واربعة مسارح يتسع اكبرها لسبعة آلاف نسمة والثاني وهو للصور المتحركة يتسع لخمسة آلاف وردهة واسعة للروايات الهزلية واخرى للموسيقى . وينتظر ان ينفق عليها خمسون مليوناً من الجنيهات ويستغرق بناؤها ثلاث سنوات . والقائمون بهذا العمل مقتنعون بان كل الحوائل الفنية التي تحول دون تعميم التلفزة ستزول قبل الفراغ من بناء مدينة الراديو

الوفيات الناجمة عن الزلازل

نشرت جريدة التيمس في عددها الصادر في ٣١ يوليو الماضي مقالاً للدكتور دافيسون اتى فيه على بيانات جديدة لاحصاء الذين يموتون كل سنة بسبب الزلازل . ففي القرن الماضي (١٨٠٠ — ١٨٩٩) ذُكرت ٣٦٤ زلزلة من القدر الاول في شدتها و٥١٠ زلازل من القدر الثاني . اما الزلازل الصغيرة التي دون هذين القدرين فلا تفتك بالنفوس فنكتفي بذكر . والمعروف ان الذين قتلوا في اثناء الزلازل في ايطاليا من سنة ١٦٠١ — ١٩٠٠ بلغ متوسطهم ٤٢٢٢ في كل زلزلة من القدر الاول و٨٫٣ في كل زلزلة من القدر الثاني . فاذا اتخذنا هذا المتوسط مقياساً بلغ عدد الذين يموتون بالزلازل كل سنة ١٥٤١٠ نسمات . اما زلازل اليابان الكبيرة التي حدثت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فبلغ متوسط ما فُقد في كل منها ٣٨٩٢ فاذا بنينا الخسارة العالمية كل سنة على هذا المتوسط بلغت ١٤١٦٩ نسمة . وعليه يخلص الدكتور دافيسون الى النتيجة بان نحو ١٥ الف نسمة تموت كل سنة بفعل الزلازل . وهذا العدد ينقص كثيراً عن عدد الذين يموتون في الولايات المتحدة وحدها تحت عجلات السيارات

الانكليس في الاوقيانوس الباسفيكي

ابنّا غير مرة في المقتطف ان الدكتور شمت اثبت ان الانكليس يتولد في الاوقيانوس الاتلنتيكي في نقطة قريبة من اميركا وتجري صغارهُ شرقاً وشمالاً الى ان تدخل بحر الروم عند بوغاز جبل طارق وتنتشر من هناك وتصل منهُ الانهر التي تصب فيه ومنها نهر النيل

وقد عني الدكتور شمت حديثاً بالرحلة الى المحيط الباسفيكي لدرس طبائع الانكليس فيه فوجدها مماثلة لطبائع الانكليس في المحيط الاتلنتيكي اي انهُ يتولد في نقطة واحدة ومنها تجري صغارهُ في كل الجهات. انما وجد ان مدى هجرة الصغار في الباسفيكي اقل من مداها في الاتلنتيكي

لجنة الطيران الدولية

عقدت اللجنة الدولية لتعاون شركات الطيران في جنيف في اواسط سبتمبر برآسة المسيو دوبركر العضو في مجلس الشيوخ البلجيكي للبحث في احتمال عقد اتفاقات دولية لتسهيل المواصلات الجوية وحضر اجتماع هذه اللجنة مندوبون من جميع بلدان العالم وفي جملتهم مراقب من الولايات المتحدة

وتلا المسيو دوبركر بعد افتتاح اعمال اللجنة رسميًّا كتباً مرسلة من خبراء بفن الطيران كالدكتور اكنر والكولونل لندبرغ والسنيور بالبو وزير الطيران الايطالي وقد قال الدكتور اكنر في كتابه ان عقد اتفاقات دولية شرط اساسي للمواصلة بين انحاء العالم بواسطة البلونات وناشد الدول ان تجعل الجو بينها مملوءاً بحسن القصد وطيب النية بدلاً من عدم الثقة وسوء الظن

وأبان الكولونل لندبرغ ما للمواصلات الجوية من الشأن الكبير في توثيق الصلات الدولية

اسرع قطرات سكك حديد

تبين من جداول مواعيد سكك الحديد التي بدىء بالعمل بها الآن في انجلترا ان القطرات الانجليزية هي اسرع قطرات في العالم . واسرع هذه القطرات كلها هو اكسبرس تشلتنهام المعروف بالاكسبرس الطائر لشركة الجرايت ايسترن فانهُ يقطع المسافة بين سوندون ولندن بسرعة اكثر من ثمانين ميلاً في الساعة وهناك قطاران آخران يسيران على خطوط الشركة نفسها بمثل هذه السرعة أيضاً . ولهذه الشركة ثلاثة وخمسون قطاراً تسير بسرعة متوسطها ٥٥ ميلاً في الساعة

وشركات سكك الحديد في الولايات المتحدة تدعي ان قطراتها أحرزت قصب السبق في السرعة وانها سجلت في ذلك رقماً قياسيًّا لم يعرف لهُ مثيل غير ان الخبراء في سكك الحديد يقولون ان السرعة التي بلغتها القطرات الاميركية كانت في فترات غير مستمرّة

بين انكلترا والاسماعيلية

قالت جريدة الدايلي مايل ان وحدة البلون ر ١٠٠ الى كندا نجحت نجاحاً باهراً وينتظر ان يطير البلون الآخر ر ١٠١ من انكلترا الى الهند ثم من الهند الى انكلترا في اكتوبر الحالي . وبعد ذلك ينتظر أن يرحل البلونان طائفة من الرحلات من لندن الى الاسماعيلية طبقاً لبرنامج معين لكل رحلة . وينتظر ان تستغرق الرحلة من انكلترا الى الاسماعيلية يومين ويومين للاياب من الاسماعيلية الى انكلترا . فاذا تحقق ذلك انشىء خط تجاري لنقل الركاب بينهما في السنة القادمة فيكون اول خط منتظم للسفر بالسفن الجوية (البلونات) في التاريخ

عيد الكيماوي نوثار مير

احتفل في ١٩ اغسطس الماضي بانقضاء مائة سنة على ولادة الكيماوي الالماني المشهور يوليوس لوثار ميَر. ان اسمهُ يعيد الى الذهن اسماء طائفة من اكبر علماء القرن التاسع عشر. فقد كان تلميذاً لفركو ولدوغ وبنصن وكرشوف ونيومن ورفيقاً لبير وروسكو وأخاً للطبيعي اوسكار اميل مير وخلفاً لفتج في الكرسي كيمياء بجامعة توبنجن وزميلاً لمندليف نال معه مدالية دايفي من الجمعية الملكية بلندن

ولد في ١٩ اغسطس ١٨٣٠ ودرس الطب في زوريخ وفرزبرغ فأشار عليه لدوغ ان يتفرغ للكيمياء فقصد الى جامعة هيدلبرج حيث حضر دروس بنصن وكرشوف. ثم عيّن «بريفادوزنت» في برسلو سنة ١٨٥١ حيث ادار معمل البحث في المعهد الفسيولوجي وفي سنة ١٨٦١ نشر كتابهُ في « نظريات الكيمياء الحديثة » فذاع به اسمهُ في اندية العلم الكيماوي. ثم تقلب في مناصب التدريس الى ان دعتهُ جامعة توبنجن ليخلف العلامة فتج وذلك سنة ١٨٧٦ فبقي في هذا المنصب الى حين وفاته في ١١ ابريل ١٨٩٥

وعلى تعدد فروع الكيمياء التي اشتغل بها سيظل اسمه مقروناً بالجدول الدوري الذي اشار به مندليف اولاً. وقد اشار الى ذلك الكيماوي نورب فقال :

وأول كيماوي كبير تمكن من ان يدرك قيمة التعميم الذي اشار به مندليف هو لوثار مير الذي تناول من البدء احدى صفات العناصر الخاصة تعني صفة الحجم الجوهري (الذري) وتوسع في ترتيب العناصر الدوري من ناحيته فرتبها على حدة ترتيباً يكاد يكون متفقاً مع جدول مندليف فمنح لذلك مدالية دافي سنة ١٨٨٢

زيادة طبقات الجو العليا

في اباء الولايات المتحدة الاميركية ان الدكتور روبرت جودرد استاذ الطبيعيات في جامعة كلارك قد انجز معداته لزيادة طبقات الجو العليا بواسطة الصواريخ. وقد استنبط لذلك مادة مفرقعة سائلة يقول انها تفوق البارود وغيره من المفرقعات الاخرى وينتظر ان يطلق الصاروخ في الجو من برج مبني بالصلب في بلدة تدعى كلب ديفنس قرب جامعة كلارك. وقد جرب هذه البرج باطلاق صواريخ صغيرة منهُ الى بضع مائة قدم. فوهب المستر دانيال جوجنهايم احد المثرين الاميركيين هبة مالية للجامعة لكي تمكن الدكتور جودرد من التوسع في تجربته فعينت لجنة خاصة لتعاونهُ في ذلك. ومتى صار في الامكان اطلاق الصواريخ الى ارتفاع عشرات الكيلو مترات بدلاً من مئات الاقدام تضاف الى الصاروخ بعض الادوات العلمية لقياس الضغط ودرجة الحرارة وغير ذلك وتجهز بمظلة تهبط بها هذه الآلات من ذاتها الى الارض

مؤتمر علم التربة الدولي

عقد مؤتمر علم التربة الدولي اجتماعه الثاني في الاسبوعين الاخيرين من شهر يوليو الماضي في لننغراد وموسكو واشترك فيه ممثلون من حكومات شيلي وتشكوسلوفاكيا والدنمارك وفرنسا والمانيا وبريطانيا وهولاندا والهند واليابان وجزائر ملقا وفلسطين ورومانيا واسبانيا والسودان وأسوج وسويسرا والولايات المتحدة الاميركية . واذا صرفنا النظر عن الحفلات الرسمية والمآدب وبعض الخطب العامة تجلّت مباحث المؤتمر دارت في الجانب الست . فالاولى اختصت بمباحث تركيب التربة والثانية بدرسها من الوجهة الطبيعية والثالثة من الوجهة الكيماوية والرابعة من الوجهة البيولوجية والخامسة من وجهة الخصب والسادسة من حيث تقسيمها ورسم خرائط لها . وقد اشتركت بعض اللجان في بحث موضوعات مشتركة بينها كما حدث لما تناول المؤتمر موضوع المادة العضوية في التربة وصفاتها الطبيعية والمواد القلوية

وقد خطت اللجنة التي عهد اليها في وضع خريطة دولية لتربة البلدان المختلفة خطوات واسعة في السنتين اللتين انقضتا بعد اجتماع المؤتمر سنة ١٩٢٧ وفي نيتها الآن ان تضع خرائط للبلدان التي تحيط بالبحر الابيض المتوسط ويليها سائر البلدان في قارة افريقية ثم جنوب اميركا . وقد زار اعضاء المؤتمر دوائر البحث العلمي الخاص بالتربة في لننغراد وموسكو فاعجبوا بالهمة التي يبذلها العلماء والتأييد المالي الذي تبذله الحكومة . ثم قرّر ان يجتمع المؤتمر ١٩٣٥ في انكلترا وانتخب السرجون رسل مدير حقول التجارب في روثامستد رئيساً

بركان يزوف وآثاره

نشر الاستاذ رك مقالة تدور على حالة البراكين في جنوب ايطاليا استعرض فيه مباحث مالادرا وفريد ليندر في مجاري الحمم التي انطلقت من بركان يزوف في سنة ١٩٢٦ و ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩ مبيناً ان الحمم التي جرت في السنتين الاخيرتين كانت أعلى حرارة وأكثر غازاً وخصوصاً غاز الحامض الهدروكلوريك مما كانت عليه قبلاً . فاستدلّ بذلك على ان يزوف في طريقه الى ثوران كبير كثورانه الذي حدث سنة ١٩٠٦ . فالقرى القائمة على سفحه الجنوبي مهددة بالخطر لان جدران فوهته الجنوبية ضيقة ومشققة والراجح ان حممه تنطلق الى الجنوب اكثر من الطلاقها الى الجهات الاخرى . اما المناطق التي ينتظر ان يغطيها الرماد والدخان فلا يستطاع التكهن بها لان ذلك يتوقف الى حد كبير على هبوب الريح يوم الثوران . والظاهر ان بركان اتنا سائر سير بركان يزوف كما يستدل بحرارة مقذوفاته التي قذفها سنة ١٩٢٨ ومع انهُ لا يوجد علاقة مباشرة بين ثوران البركانين وخمودهما الا انهُ اتفق مراراً ان ثارا معاً مما يشير الى احتمال تأثرهما بعوامل جيولوجية واحدة

الاصلاح الصحي في يوغوسلافيا

نشرت جريدة التيمس في عددها الصادر في ٤ أغسطس رسالة لمكاتبها البلقاني وصف فيها الاصلاحات الصحية التي تمت في يوغوسلافيا في خلال السنوات العشر الاخيرة، والجانب الاكبر من الفضل فيها يعود الى الدكتور اندريا شتامپار الذي عين رئيساً لقسم الصحة العامة (الهيجين) في وزارة الصحة سنة ١٩١٩ . وكانت صحة البلاد العامة حينئذٍ في حالة يرثى لها نتيجة للحرب وللاهمال . ومما يدلك على ذلك ان ٨٠ او ٩٠ في المائة من السكان كانوا ملوثين بجراثيم الملاريا والزهري . وكان انتشار الحمى المعوية والحمى التيفوس والجدري واسع النطاق . فكان اول عمل قام به الدكتور شتامپار ان جمع حوله طائفة من المعاونين الذين يصح الاعتماد عليهم فاختارهم من الذين تلقوا علومهم في جامعات أوربا واميركا ثم حاول ان يقنع الحكومة بوجوب اعتماد مبالغ كافية للاصلاح المنشود . ولم يشرع في عمله الا سنة ١٩٢٣ فانشأ حتى الآن تسعة معاهد صحية مركزية في تسع ولايات وثمانين معهداً صحيًّا في مقاطعات الولايات ونحو ٥٠٠ مركز صحي في القرى. اما المعاهد المركزية فتشتمل على اقسام للبكتيريولوجيا والطفيليات والطب الاجتماعي والهندسة الصحية. ومعاهد المقاطعات تشتمل على اقسام للعناية بالامهات والاطفال وعيادات للزهري والسل ومعامل بكتيريولوجية وحمامات . اما المعهد القروي فهو في الغالب في ادارة ممرضة قانونية وفيه صيدلية صغيرة وممرض صحي بسيط وحمام (دوش) وقد الحق بمعهد زغرب المركزي مدرسة لتعليم الهيجين ولا يقتصر تعليمها على الاطباء والممرضات ولكنهُ يشمل الفلاحين الاذكياء ايضاً . وقد نال الدكتور شتامپار عوناً مالياً سخيًّا من مؤسسة روكفلر وتأييداً من الملك اسكندر ونتيجة ذلك انهُ لم يقع في كل البلاد في السنتين الاخيرتين اكثر من مائتي حادثة تيفوس . وقطع دابر الجدري فلم تقع حادثة واحدة منهُ في مدى السنة الاخيرة . وقلَّت حوادث الملاريا من ٨٠ في المائة الى ١٠ في المائة

جريدة الهدى النيويوركية

نقلت جريدة الهدى النيويوركية لمنشئها الصحافي الكبير نعوم مكرزل الى بروكلن حيث شيد صاحبها بناية فخمة جديرة بأن تكون داراً لاقدم الصحف السورية في اميركا الشمالية وأوسعها انتشاراً وعنوانها الجديد 169 Court St. بروكلن. ومن الذين انتظموا في قلم انشائها الاديب الاريب لسيب عريضة وكيل المقتطف الجديد في الولايات المتحدة الاميركية فنهنىء الهدى بدارها الجديدة ونتمنى لها زيادة الذيوع ولصاحبها الصحة والنشاط لمواصلة جهاده الصحافي المتسم بسمة الاستقلال والانفة

عيد كبلر

المعترف به بين علماء الفلك ان كبلر من مؤسسي علم الفلك الحديث. ومكتشفاته في هذا الميدان يدرسها كل طالب في العلوم الطبيعية. فقد كان كبلر في المانيا ما كأنه غليليو في ايطاليا ونيوتن في انكلترا ولذلك يسرنا ان نعلم ان المعدات تعد في المانيا للاحتفال بانقضاء ثلاثمائة سنة على وفاته في ١٥ نوفمبر القادم

مات كبلر في سنة ١٦٣٠ وحرب الثلاثين سنة على قدم وساق فدفن في دار كنيسة في راتسبون ولكن الكنيسة هدمت في المواقع التي تلت ذلك فدرست معالم القبر. وفي سنة ١٩٠٣ عني امير دالبرغ باقامة نصب لذكرى كبلر في مدينة راتسبون وكان المنتظر ان تبدأ حفلات الذكرى في ٢٤ سبتمبر اذ يجتمع حشد كبير امام هذا النصب ويلقي الدكتور فون ديك من اساتذة المدرسة الفنية العالية بمونيخ خطبة تذكارية. وفي الليلة ذاتها تجتمع الجمعية التاريخية وجمعية التاريخ الطبيعي لهذا الغرض وفي اليوم التالي يلقي الاستاذ بوشنغر من اساتذة جامعة ليبزغ في وجهة عامة براتسبون خطبة اخرى. وتختم الاحتفالات بزيارة الى تمثال كبلر النصفي خارج المدينة

هذا في راتسبون حيث دفن كبلر ولكن مدناً كثيرة غير راتسبون تنوي الاشتراك في الاحتفال بذكره

خطبة لستر

التي لورد مونهام رئيس كلية الجراحين بلندن خطبة لستر السنوية في الاجتماع السنوي الذي عقدته الجمعية الطبية البريطانية في وينبغ بكندا. فقال ان المورد لستر اعظم محسن مادي الى البشرية. وقد خلص من الارواح اكثر مما قُتل في كل الحروب في مختلف عصور التاريخ. فقد فتح لستر ميداناً جديداً للجراحة باستنباط طريقة تمكنه من منع الالتهاب في الجروح ومن معالجة الجروح الملتهبة. وهذا العمل نشأ من ادراك لستر لمبدإ حيوي جديد وهو ان الالتهاب الجراحي ينشأ من كائنات دقيقة حية تستطيع ان تتكاثر بسرعة غريبة. وبكلمة اخرى ان نجاح لستر يعود الى تطبيقه في الجراحة نتائج مباحث باستور في الاختمار والانحلال. اما الذي وجه عناية لستر الى مباحث باستور فهو توماس اندرسن استاذ الكيمياء في جامعة غلاسجو وذلك سنة ١٨٦٥ وظن لستر اولاً ان مكروبات الهواء هي السبب الاكبر في التهاب الجروح ثم عدل عن فكره هذا وحسب صواباً ان اصابع الجرّاح وادواته ابعد اثراً في تلويث الجراح بالمكروبات من الهواء ورغماً عن تهكم طائفة من اشهر جرّاحي العصر تمكن من ان يخفض نسبة حوادث بتر الحرة والغنغرين والتيتانوس (الكزاز) وغيرها من الامراض الناجمة عن تلويث الجراح بالمكروبات تخفيضاً كبيراً حتى ازالها في عملياته

مجمع تقدم العلوم البريطاني

في العام المقبل ينقضي على هذا المجمع قرن كامل مذ بدأ سعيهُ لتوسيع نطاق العلم وتوجيه عناية الجمهور اليهِ بعقد مؤتمراته السنوية في مختلف بلدان الامبراطورية البريطانية. وسيحتفل المجمع بانقضاء قرن على تأليفهِ في سبتمبر القادم بلندن فانتخب لرآستهِ الجنرال سمطس المعروف في دوائر العلوم البيولوجية والفلسفة والسياسة. ولهذا الغرض دعا مجلس المجمع الغيورين على العلم الى التبرع بمبلغ ٤٠ الف جنيه لينفق منها على احتفال السنة القادمة ويوفر ما يبقى منها على البحث العلمي وحفظ دار دوّن (اي دار داروين) وتحويلها اذا امكن الى معمل بحث في العلوم البيولوجية بدلاً من ابقائها مزاراً فقط. فالى محبي العلم في كل الاقطار يوجه هذا النداء

العدسات في العصور القديمة

جاء في عدد يوليو من الجرنال البريطاني للبصريات الفيولوجية رسالة للسر تايلر موضوعها اصل العدسات في العصور القديمة ونشأتها قال فيها ان الفضل في صنع العدسات للتكبير يعود الى الكريتيين حوالي ١٨٠٠ سنة ق. م. فقد حمله بحثهُ في متاحف بلدان الشرق الادنى على الاستنتاج بأن العاج والستياتيت Steatite كانا يستعملان قبل ٢٠٠٠ ق.م. لصنع الحرز للتجمل والزينة. ثم ابدلا بالبلور والجزع والعقيق فلما اكتشفوا ان خرزة من البلور تكبر المرئيات في بعض الاحوال اخذ الصناع الاقدمون يصنعون خرزاً في شكل حبوب العدس. فنشأت منها العدسات التي وجدت في كنوس بكريت ومنها عدسات لا ينقصها شيء من الاتقان والصقل وهي محفوظة الآن في متحف كنديا بكريت. وكلها عدسات محدبة تكبر الاجسام المرئية خمسة اضعاف الى ٨ والظاهر ان الفينيقيين نقلوا العدسات الى طروادة وصور ونينوى وبريطانيا. وقد عثر في اطلال قرطاجنة على ٥ عدسات زجاجية اثنتان منها تكبر الجسم المرئي ٥ره الضعف وقد وجدت في ناووس احد الاعيان والمحتمل انهُ كان مصاباً بطول البصر فأراد ان يحمي نفسهُ منهُ بعد الموت

قهر الاتلنتيكي

فاز الطيران الفرنسيان كوست وبلونت بالطيران في اول سبتمبر من باريز الى نيويورك في نحو ٣٧ ساعة. وهذه اول مرة يفوز بها الطيارون في اجتياز الاتلنتيكي من فرنسا الى الولايات المتحدة الاميركية في مرحلة واحدة. فرحلتهما تقابل رحلة لندبرغ ولكنها اصعب منها لان الرياح كانت تهبُّ في وجه طيارتهما فتؤخرها ولكنها كانت تهبُّ من ورائهِ فتدفعهُ الى الامام. وفي الصفحة المقابلة يرى القارىء صورة الطيارة الجبارة بعد اعدادها لاجتياز المحيط الاتلنتيكي وعلى متنها ركاب وبريد وأمتعة

ادهان الوجه في اور القديمة

عهد مديرو متحف جامعة بنسلفانيا الى الدكتور كنث غراهام في فحص الآثار النفيسة التي استخرجتها بعثة المتحف من اطلال اور بالاشتراك مع بعثة المتحف البريطاني فوجد ان البرونز في الآثار البرنزية لا يفوقه برونز قديم او حديث . اما الفضة والذهب فلم يبلغا من النقاوة من الشوائب المرتبة التي يستطيعها الصوّاغ في هذا العصر . بيد ان دقة الفن في صنع الادوات جديرة بكل اعجاب . بل ان بعض هذه الآثار مما يفخر به الصوّاغ المحدثون . ثم فحص ادهان الوجه التي كانت تستعملها الملكة صب اد فحصاً كيماوياً فوجدان ما كانت تستعمله لدهن شفتيها وزجيج حاجبيها يحتوي على قدر خطر من الرصاص . وفحص نموذجاً من مادة دلغانية زرقاء توجد فيها مقادير كبيرة من الالومنيوم والفصفات والنحاس والرصاص والكربونات وآثار طفيفة من الحديد والكلسيوم والرمل . والمرجح انها فيروز مسحوق . وحمل مسحوقاً اسود شبيهاً بالكحل فوجد فيه مقادير كبيرة من المنغنيس والرصاص وآثار طفيفة من النحاس والالومنيوم والفصفات والكربونات والرمل والحديد . ويلاحظ ان هذه المواد الاخيرة وجدت كذلك في الفيروز المذكور آنفاً . وسواد المسحوق الاخير عائد الى وجود المنغنيس فاكسيده اسود ويوجد في الطبيعة . اما الرصاص والكربونات فقد اضيفا خصيصاً لان اكاسيد الرصاص اذا مزجت بالمعادن المذكورة آنفاً خرجت المركبات الجديدة بالوان مختلفة كالبني والاحمر والارجواني في طيوفها المتباينة . والظاهر ان نساء ذلك العهد كنّ يفضلن ان يتبرجن بالوان مختلفة ولم يقتصرن كاكثر نساء هذا العصر على الاحمر والاسود او الازرق الغامق

نظائر عنصر الايكاتنتالوم

يذكر قراء المقتطف اننا نشرنا في عدد فبراير الماضي مقالا موضوعه البروتكتنيوم عنصر جديد . وقلنا انهُ من العناصر المشعة وان عددهُ الجوهري (الذري) ٩١ . وقد اطلعنا الآن على مقال في « جرنال الجمعية الكيماوية الاميركية » لمستفرده الاستاذ غروس بين فيه أن الاستاذ مندليف صاحب الجدول الدوري في الكيمياء تنبأ بوجود هذا العنصر سنة ١٨٧١ وقد عرف منهُ حتى الآن ثلاثة نظائر كلها مشعة وتعرف بالبريفيوم Brevium والبروتكتينيوم Protactinium والاورانيوم Z. والبروتكتينيوم اهم هذه النظائر كشف عنهُ الاستاذ صدي سنة ١٩١٧ وفي السنة نفسها كشف عنهُ الاستاذان هان وميتنر على حدة وهو يوجد في تبر الاورانيوم بمتوسط اعشار الغرام منهُ لكل غرام من الراديوم . وقد

فشلت كل المساعي لاستفراده وقيلاً لشدة شبهه بعنصر التنتالوم. ولكن الدكتور غروس ذهب الى انهُ اقرب الى الثوريوم والاورانيوم منهُ الى التنتالوم فبحث عنهُ في تبرها فنجح في استفراد ٤٠ ملغراماً منهُ

وفاة كونن دويل

مات انباء لندن في ٧ يوليو الماضي السر ارثر كونن دويل من اشهر الكتاب الانكليز في هذا العصر. ولد في ٢٢ مايو سنة ١٨٥٩ وهو نجل تشارلس دويل من رجال الفن المعروفين ولما كبر ادخلهُ ابوه كلية ستونهرست في المانيا ثم انتقل الى جامعة ادنبرج فتخرج فيها ونال شهادة بكالوريوس في الطب سنة ١٨٨١ ثم شهادة الدكتوراه في الطب سنة ١٨٨٥ وكان عارس صناعة الطب لما اصدر في سنة ١٨٨٧ رواية عنوانها « ستدي إن سكارلت » ومن ثمَّ لم يقتصر على الطب بل نزعت نفسهُ الى الكتابة القصصية فألف قصة « ميكاه كلارك » سنة ١٨٨٨ وهي تاريخ ثورة موعاوت فقصة « علامة الاربعة » في سنة ١٨٨٩ و « الشركة البيضاء » في سنة ١٨٩١. و« حجر رودني » في سنة ١٨٩٦ ثم الف سلسلة من القصص التي راجت عن حروب نابوليون بعنوان « مآثر البريجادير جيرار » في سنة ١٨٩٦ غير ان الذي اكسبهُ الشهرة وذيوع الصيت هو قصص « حوادث شرلوك هولمز » وقد نشرت اولاً في سنة ١٨٩١ في مجلة الستراند مجازين فاقبل الجمهور على قراءة هذه القصص واعجبوا بمراعاة السر ارثر كونن دويل في ما عزاه الى شرلوك هولمز من المهارة في الكشف عن الجنايات وفتح مغاليق اسرارها حتى اخذ كثيرون من الكتاب يحذون حذوه. وقد انعم عليهِ في سنة ١٩٠٢ برتبة فارس مع لقب سر

والف السر ارثر كونن دويل عدة قصص وروايات اخرى منها « قصة وترلو » سنة ١٨٩٤ « ونيران القدر » سنة ١٩٠٩ « وبيت تمبرلي » في السنة عينها الخ. والف كتابين دفاعاً عن الجيش الانكليزي في جنوب افريقية احدهما بعنوان « حرب البوير الكبرى » سنة ١٩٠٠ والثاني بعنوان « الحرب في جنوب افريقية واسبابها سيرها » سنة ١٩٠٢

وفي اثناء الحرب الكبرى كان السر ارثر كونن دويل ينشر رسائل لبث الدعوة لمصلحة الحلفاء ومنها كتابه « سبب الحرب الكبرى وسيرها » وقد ترجم الى ١٢ لغة

وقضى السر ارثر كونن دويل السنين الاخيرة من عمره يعتقد بمخاطبة الارواح وقد الف كتباً في هذا الموضوع. وآخر مؤلفاته « تاريخ الحملة البريطانية في فرنسا والفلاندر » وكتاب « رؤيا جديدة » وكتاب « تاريخ علم الارواح » في جزءين وقد الفهُ في سنة ١٩٢٦ وكتاب « مذكراتي ومخاطراتي » الفهُ سنة ١٩٢٤

اخصاء المجانين

قال الدكتور جل Gill المتوفر على الامراض العقلية انهُ يستحسن كثيراً اخصاء بعض المجانين امرأة كانت او رجلاً قبل السماح لهم في العودة الى بيوتهم والسكن مع اهلهم ولاسيما الذين يعاودهم المرض وتبدو عليهم اعراضه. وفائدة عملية الاخصاء ظاهرة لا تحتاج الى تدليل او تبسط فهي تدفع عن الهيئة الاجتماعية مرضاً يحتمل حدوثه في طفل ينقل في جسمه اسباب ذلك المرض وتخلي المصاب من تبعة القيام باعباء العائلة فتريح منهم من لا قبل له بهم وذكر شاهداً تأييداً لرأيه فقال صحت اداره مستشفى كالدوتون Calderaton لاربع مئوات في العودة الى منازلهن فلم يمض على وجودهن مع اهلهن بضعة اشهر الاّ وظهرت عليهن دلائل الحمل وقبل الوضع بدت عليهن اعراض الجبل والبلاهة فلو اجريت لهن عملية منع الحمل لما عاودهنّ المرض ولكنّ اوغن على العودة الى المستشفى للتداوي ولدُّغ بذلك عن البيئة خلق اربعة اطفال يحملون استعداداً غير قليل لنقل مرض والديهم. فعملية منع التناسل في هذه الطائفة المسكينة ضرورية بل واجبة رحمة بهم ووقاية لمن يتصل بهم من اهل

فرجيل : الشاعر القديم الجديد

تابع المنشور صفحة ٣٢٠

وهذه الحقيقة الاخيرة تبدو خلابة فتانة في « الجورجكس » التي نظمها لتمجيد الحياة الريفية وهو في الحادية والاربعين من العمر لعلهُ يزجر بها الشبان عن هجرة الريف الى المدن. فالكتابان الاولان يتناولان حراثة الارض وجني الغلال . اما الثالث فيتناول انتاج الخيل والماشية والرابع حياة النحل . ان هذا الفصل يضاهي اروع ما كتب في هذه المخلوقات العجيبة في العصور المتأخرة . اما القطعة التي تهمنا فهي السطور التي انفجر فيها سيل بلاغته وهو يقول : ما اعظم سعادة الفلاحين لو علموا . ان شرور الحياة المدنية من طمع وطموح وحسد لا تقلقهم والفقر يمنع عنهم القاتل والسارق . ولو جرى فرجيل على اصول المنطق لقال هنا انهُ يؤثر المعيشة في الريف ولكنهُ كأكثر الذين يمجدون الريف لا ينوي ان يعود اليه . فلنا خير بين محبة الريف والرغبة في المعرفة فضل الثانية. اصغ اليه يقول: اما انا فرغبتي الاولى ان تأخذني ملائكة الشعر المحبوبة تحت رعايتها وتعلمني افلاك السماء ومدارات النجوم وكسوفات الشمس، وجوه القمر واسباب الزلازل وقصر ايام الشتاء. ولكن اذا كان قلبي بطيئاً في تفهم هذا العلم فليكن جذلي (وهذا اختياري الثاني) في الريف، في الجداول والحراج ولو تخطتني الشهرة . سعيد هو الانسان الذي يستطيع ان يفهم علل الاشياء ويقدر ان يرتفع فوق الخرافات، فوق خوف المصير ورهبة الموت. ولكنهُ سعيد كذلك من يعرف آلهة الحراج، بان وسلفانوس والملائكة

في الشهر القادم تتمة هذا الفصل وفيها تشخيص لاهم مزاياه في الايفيد . وهو ملخص من مقال لجون ارسكين الكاتب الاميركي في مجلة هاربر

الجزء الثالث من المجلد السابع والسبعين

صفحة
٢٤١ خواطر في التاريخ والعمران
٢٤٥ ترشيح مياه الشرب ومراقبته . للدكتور باسيلي فرج
٢٤٩ تطور اللغة العربية . للآنسة (مي) زيادة
٢٥٦ ما مصير القوم . لخليل بك مطران
٢٥٧ الشرق والحضارة الغربية . خطبة : للدكتور منصور فهمي (مصوّرة)
٢٦٤ التدوين في الاسلام . للاستاذ محمد كردعلي
٢٦٧ الدفاع عن النفس . لا ديب عباسي
٢٧٣ فلسفة اللون الاصفر . لفنسنت هنلوك ألِس (مصورّة)
٢٧٦ التاريخ الطبيعي للعواطف الاجتماعية . للدكتور الفرد ادلر النمسوي
٢٨١ مجمل من ترجمة الرئيس لنكن . لفؤاد صرُّوف (مصورة)
٢٨٨ الصيف في باريس . لا دوار فارس
٢٨٩ علوم الاوائل والاواخر . للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٢٩٤ هي هذا ولدي ؟ !
٢٩٨ الشرع الدولي في الاسلام . للدكتور نجيب الارمنازي
٣٠٥ ابن مهد الانسان : افريقية اوآسيا . الاستاذ اليوت سمث
٣١١ الامواج اللاسلكية القصيرة في العلاج
٣١٤ تصنيف الحيوان والنبات . للدكتور محمد شرف
٣١٧ فرجيل : الشاعر القديم الجديد

٣٢١ باب المراسلة والمناظرة * حول روايات الاغاني
٣٢٩ باب شؤون المرأة * تأثير الفيتامين في الصحة (مصورة) . الصحة واطالة الحياة . بخر الفم
٣٣٥ باب الزراعة والاقتصاد * تركيب النحلة (مصورة) : للدكتور ابو عادي
٣٤٥ مكتبة المقتطف
٣٥١ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٨ نبذة (مصورة)

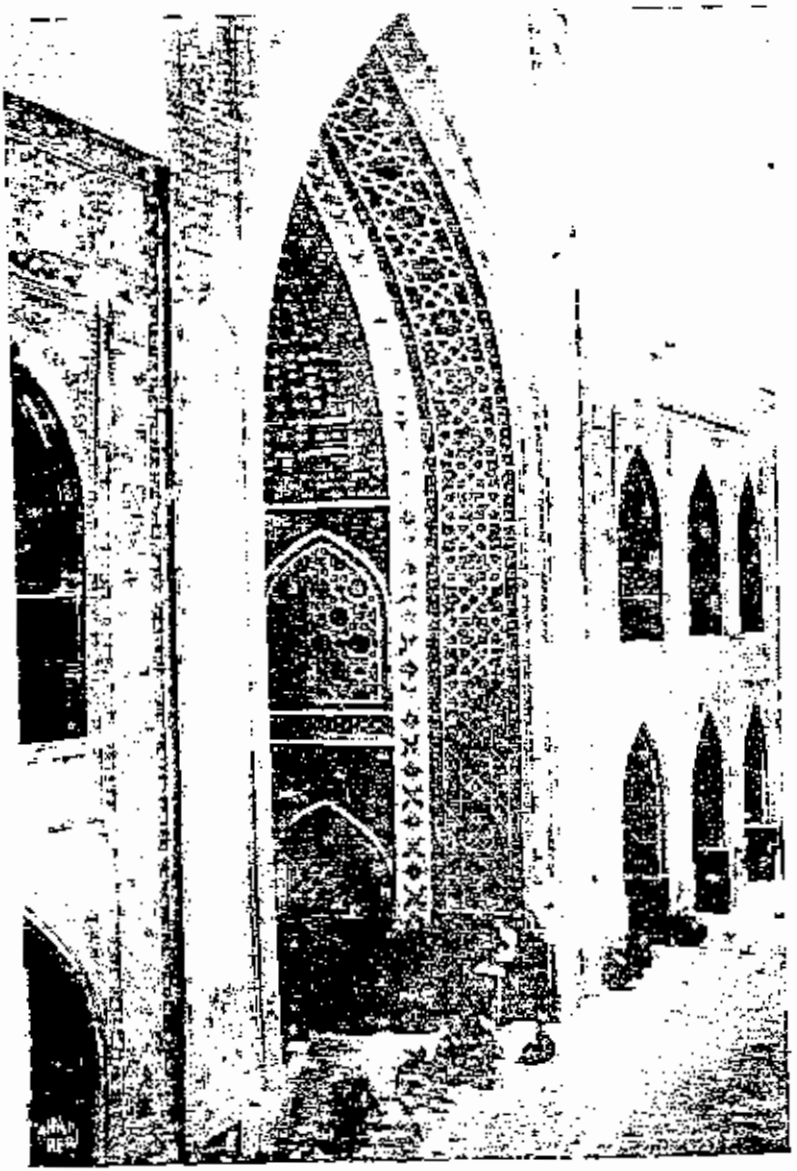

تعدُّ المعدات الآن لاقامة معرض في لندن خاص بنفائس التحف الفارسية في شهر يناير المقادم وعلى ذكر ذلك نشرت جريدة انباء لندن المصوّرة صوراً بديعة لجامع جوهر شاه الذي تمَّ بناؤهُ سنة ١٤٢١ فاخترنا لنشر هذه منها